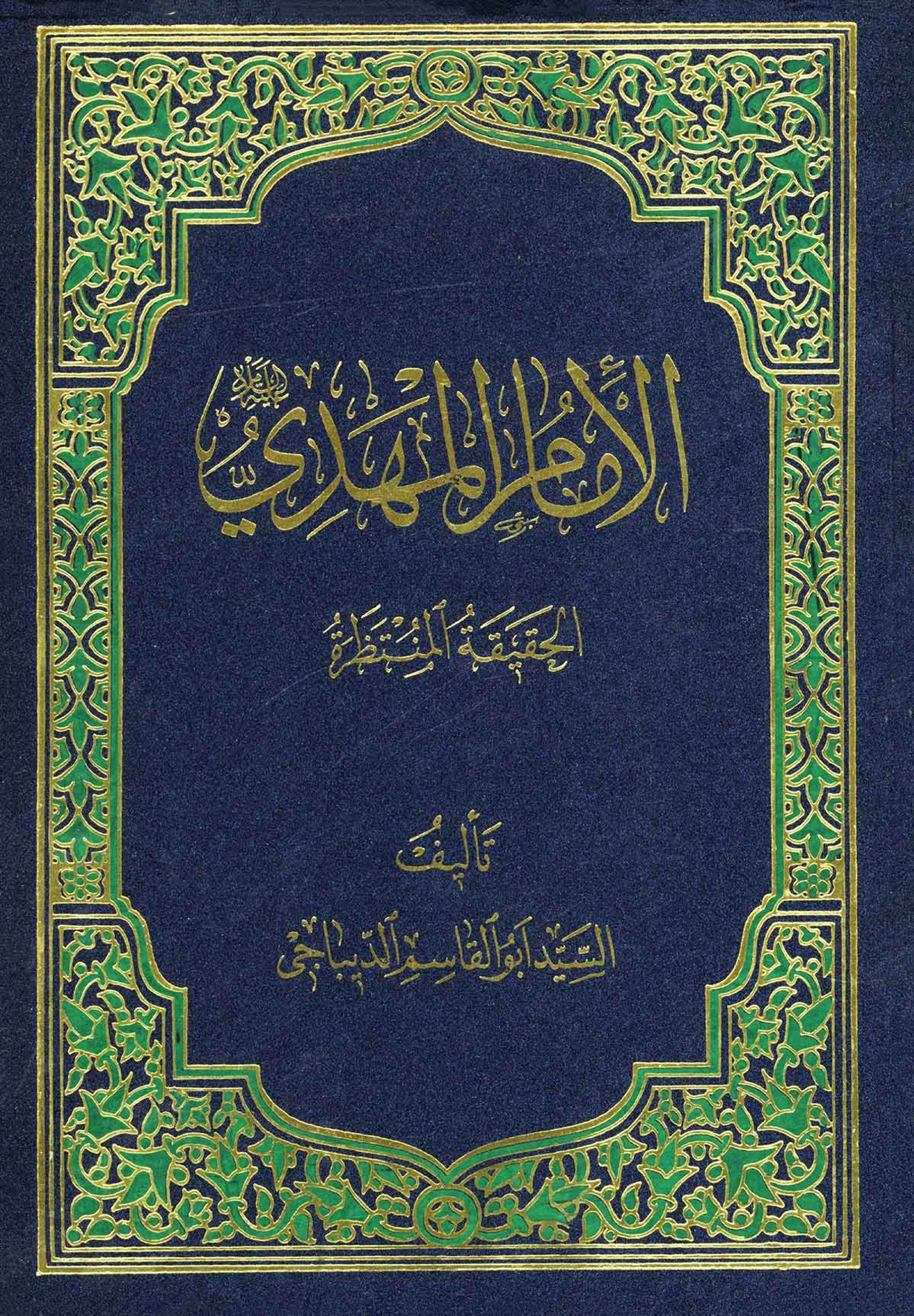


الإمام المهدي عليه السلام
الحقيقة المنتظرة
تأليف
السيد ابو القاسم الديباجي

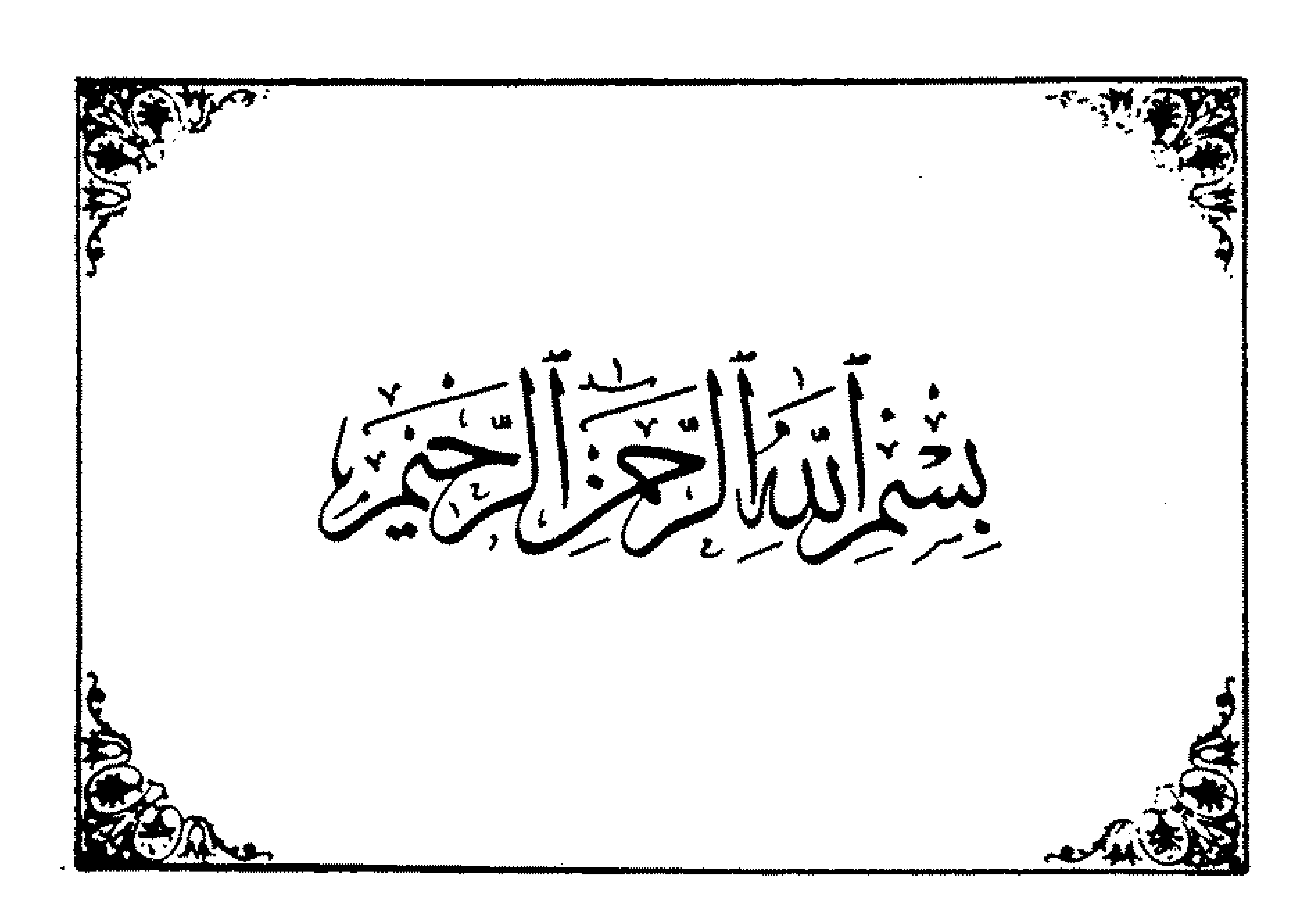
الإمام المهدي عليه السلام

الحقيقة المنتظرة

تأليف
السيد ابو القاسم الديباجي

هويـة الكتاب

اسم الكتاب :	الإمام المهدي (ع) ... الحقيقة المنتظرة
المؤلّف :	السيّد أبو القاسم الديباجي
الناشر :	المؤلّف
الإخراج الفني :	عباس الشهرستاني
الطبعة :	الأولى ١٤١٦ هـ
المطبعة :	ستاره
الكمية :	٥٠٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـداء :

الىٰ الأمل الذي طال في انتظار اشراقـه الزمـان ، وتواترت في غيبته علىٰ أُمَّته المآسي والاحزان .

الىٰ الوجود المستتر بالسحاب ، والمواریٰ بها قهراً لدهور مرَّة تطاولت حتىٰ أصاب العيون المترقِّبة له القرحُ، والباكية لفقده الجدبُ.

الىٰ الحقيقة المنتظَرة ، والوجـود المـقدّس للإمـام المغيَّب أُهدي هذه الوريقات الزهيدة المسطَّرة في سني البعد وحلقاته المعتمة ، وأُقدمها في ساحة قدسه ، وفناء بركته ، عربون طاعة ، ودليل ولاء .

المؤلّـف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أبلغ كلمات الحمد وآياته، والثناء عليه أسمى عبارات الثناء وغاياته، وصلّى الله على نبيّه المصطفى، ورسوله الأوفى، ورحمته الكبرىٰ، محمَّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله)، وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين المعصومين، سيّما وراث علومهم، وبقيّة تراثهم الإمام المهدي المنتظر، ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فلا نأت بجديد اذا قلنا بأنّ الرسالات السماوية المتعاقبة الممتدة منذ خلق البشرية على أرض هذا الكوكب السماوي البسيط وحتى يأذن الله تعالى بفنائه ودماره وهلاك من فيه وما فيه تشكّل فيما بينها حلقات مترابطة الاطراف والاوصال تبدأ منذ البداية، ولا تنتهي حتى النهاية.

بلى فلا يسع أحد أن يقول بأنّ رسالة كل رسول لا صلة لها بغيرها من الرسالات والأديان الاخرى التي جاء بها غيره من الانبياء والمرسَلين، بل يتفق الجميع على وجود ذلك الترابط العضوي الثابت بين جميع تلك الرسالات، منذ أوّل رسالة وحتى آخرها، وهو الإسلام العظيم، بيد أنّ يد التحريف والتشويه التي طالت الرسالات السابقة، وأخص منها بـالذكر اليهودية والمسيحية جعلت منهما مسخاً غريباً مشوّهاً تجد عند مطالعتك

في كثير من مفرداته بوناً شاسعاً وكبيراً بين الحقيقة والواقع ، وهذا ليس بخاف على الباحثين والدارسين .

نعم إنّ إدراك كون صدور جميع الرسالات من مشكاة واحدة ، وانبعاثها من نور واحد فحسب ، يظهر بلا ريب وجود هذا التناقض الغريب والشاذ ، ويؤكّد بالتالي عند معارضة وتجاوز عقد التشويه والتحريف على وحدة الدعوة واستمراريتها ، وهذا هو قطب الرحى ومدار الأمور .

إنّ الله تبارك وتعالى عندما خاطب ملائكته بأنّه خالق في الارض بشراً يكون له تعالى خليفة فيها ، وخاطبته الملائكة بأنّ من سمة البشر الفساد وسفك الدماء وغيرها من المعاصي ، رد عليهم جلّ وعلا بأنّه يعلم ما لا يعلمون ، وذلك ما يوضحه قوله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **وَأذْ قالَ رَبُّك لِلمَلائِكَةِ انِّي جاعِلٌ في الارضِ خليفَةً قالوا أتَجعَل فيها مَنْ يفسدُ فيها ويسفكُ الدّماءَ ونحنُ نُسبِّحُ بحمدِكَ ونقدِّسُ لكَ قالَ اني أعلَمُ ما لا تَعلمونَ** ﴾[1] .

ثم انّه جلّ وعلا خلق آدم وعلّمه ما يشاء ثمّ عرضه على الملائكة وحاججهم به ، فلمّا عجزوا قدّم هذا المخلوق الطيني عليهم ، وجعله احق بحمل رسالته في ارضه ، ونشر آياته فيها .

﴿ **وَعَلَّمَ آدمَ الاسماءَ كلَّها ثُمَّ عَرَضَهم على المَلائِكَةِ فَقالَ انبِئوني بأسماءِ هؤلاءِ إنْ كُنتُم صادِقينَ*قالُوا سُبحانَكَ لا عِلمَ لَنا إلاّ ما عَلَّمتَنا انَّكَ أنتَ العَليمُ الحَكيمُ*قالَ يا آدَمَ أنبِئْهُم بأسمائِهِم فلَمّا أنبأهُم بِأسمائِهِم قالَ ألَمْ أقُلْ لَكُم انّي أعلَمُ غَيبَ السَّمواتِ وَالارضِ**

---

(١) البقرة ٢ : ٣٠ .

وأعلَمُ ما تُبدونَ وَما كُنتُم تَكتمونَ*وإذْ قُلنا لِلمَلائِكَةِ اسجُدوا لآدَمَ فَسَجدوا...﴾[١].

وهكذا جعل الله تعالى من ابن آدم خليفة له في ارضه، يحمل رسالته ،وينفذ دعوته وارادته... ولكن قوى الشر والفساد، والظلم والانحراف لا يمكن لها ان تدعه ينساب في مسيرته المقدسة، ويؤدي رسالته ومهمته، بل هي له بالمرصاد، تقيم له العثرات، وتقطع طريقه بالعقبات والمعضلات...

نعم كلّ هذا ويجب أن تقام مشيئة الله تعالى في ارضه، وتنفذ فيها أحكامه وأوامره، ولذا تحتّمت ضرورة قيام الداعي إلى إتّباع هذه المشيئة وهذه الإرادة، وهذا الضرورة دائمة دائبة طالما هذه الارض معمورة، وعلى ارضها البشر، وفيهم الخير والشر، فتوالت رسل الله تعالى وانبياؤه (عليهم السلام)، نبي يلحق بنبي، وبين اولئك الانبياء اوصياء يواصلون مسيرة انبيائهم ولا يعدون انبياء، ولكنهم أُمناء على حفظ رسالة النبي الذي عاصروه ثم ادركه الموت، وهذه سنّة الله تعالى في ارضه.

قال الإمام علي (عليه السلام): لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، امّا ظاهراً مشهوراً، وامّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته[٢].

وقالالإمام الباقر (عليه السلام): والله ما ترك الله الأرض ـ منذ قبض الله تعالى آدم ـ إلّا وفيها إمام يُهتدى به الى الله، وهو حجّة الله على عباده، ولا تبقى الارض بغير حجّة على عباده[٣].

---

(١) البقرة ٢ : ٣١ ـ ٣٣.
(٢) شرح نهج البلاغة ١٨ : ٣٤٧.
(٣) علل الشرائع : ١٣/١٩٧.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّلنا لَهُمُ القَولَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرون** ﴾[١]

قال: إمام الى إمام[٢].

وقال المجلسي رحمه الله تعالى في بيان له: لعل المعنى وصلنا لهم القول، اي الحق والانذار وتبليغ الشرائع بنصب إمام بعد إمام، أو القول والاعتقاد بولاية إمام بعد إمام، والمراد به قوله تعالى ﴿ **إنِّي جاعِلٌ في الارضِ خَليفةً** ﴾[٣] أي هذا الوعد، التقدير متصل الى آخر الدهر[٤].

ولمّا كانت هذه سنّة الله تعالى في أرضه، فكانت يجب أن تجري بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحيث تمثّلت في وصيه الإمام علي (عليه السلام)، وحيث امتدت بعده الى ذريّته من المعصومين (عليهم السلام)، واحد من بعد واحد، حتى انتهت الى الإمام المهدي (عليه السلام)، بنص صريح وثابت، يعضده الدليل العقلي بوجوب استمرار حلقات الإمامة لتكميل مسيرة الخط النبوي.

اذن فالإمام المهدي (عليه السلام) يشكّل خلاصة عالم البشرية الواسع والمترامي الاطراف، والبعيد الغور والعمق، وحيث يتركّز هذا العالم في أفضل موجوداته وأقدسهم، وهم الانبياء والاوصياء (عليهم السلام).

روى الصدوق في كمال الدين عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام): أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أنا سيّد النبيّين، ووصيي سيّد الوصيين، وأوصيائي سادة الاوصياء، إنَّ آدم سأل الله عزَّ وجلَّ أنْ يجعل له وصيّاً صالحاً،

---

(١) القصص ٢٨ : ٥١ .

(٢) الكافي ١ : ٤١٥/١٨ .

(٣) البقرة ٢ : ٣٠ .

(٤) بحار الانوار ٢٣ : ٣١ .

فاوحى الله عزّ وجلّ اليه: إنّي أكرمت الأنبياء بالنبوّة، ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء. ثم اوحى الله عزّ وجلّ اليه: يا آدم اوص الى شيث، فاوصى آدم الى شيث، وهو هبة الله بن آدم، وأوصى شيث الى ابنه شبان... وأوصى شبان الى مجلث، وأوصى مجلث الى محوق - الى أنْ قال (صلى الله عليه وآله) - وأنا أدفعها اليك يا علي، وأنت تدفعها الى وصيّك، ويدفعها وصيُّك الى أوصيائك من ولدك، واحد بعد واحد، حتى تُدفع الى خير أهل الارض بعدك...[1].

وهكذا نرى أنَّ الوصية تتوالى من نبي الى نبي، كل واحد يليه وصي له يتولى ادامة دعوته، وهداية أمَّته من بعده الى سبل رسالة نبيها ورسولها، وحيث تركّزت الرسالات في خمسة من الرسل هم اولي العزم، وأصحاب الكتب السماوية، وهم: نوح، وابراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد (عليهم السلام)، ولم يرحل أي منهم حتى خلَّف وصياً من بعده.

فقد أوصى نوح ساماً، وأوصى ابراهيم الى ابنه اسماعيل، وأوصى موسى الى يوشع بن نون، وأوصى عيسى الى شمعون (عليهم السلام) جميعاً

وأوصى نبيُّنا محمَّد (صلى الله عليه وآله) الى أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكان لا بد بعد وفاته من أن تستمر سلسلة الوصيين لارتباطها العضوي مع استمرار الرسالة النبوية، فانتقلت من إمام الى إمام، أي من وصي الى وصي، فكان الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمَّد بن علي، ثم جعفر بن محمَّد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمَّد بن علي، ثم علي بن محمَّد، ثم الحسن بن علي، ثم الى آخر الاوصياء بنص رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهوالإمام المهدي (عليه السلام)، الذي سيظهر

---

(١) كمال الدين ١: ٢١١ / ١.

في آخر الزمان ليقيم حكم الله تعالى في أرضه، ويحقّق أهداف الانبياء والمرسَلين، وأماني المساكين والمستضعَفين، ثم لتسيخ الارض بعد موته، ويأذن الله تعالى بقيام يوم الحساب.

نعم يظهر (عليه السلام) بعد مخاض عسير ومشاق كبيرة تمر بها البشرية، ليعلن للناس جميعاً أنَّه خلاصة جميع الرسالات السماوية، وثمرة جهود جميع الانبياء والمرسَلين، والاوصياء المعصومين (عليهم السلام).

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): إن الإمام المهدي (عليه السلام) بعد ظهوره يخطب بالناس في الكعبة قائلاً: يا معشر الخلائق، ألا ومن أراد أن ينظر الى آدم وشيث فها أنا ذا آدم وشيث.

ألا ومن أراد أن ينظرِ الى نوح وولده سام فها انا ذا نوح وسام.

ألا ومن أراد أن ينظر الى إبراهيم وإسماعيل فها انا ذا إبراهيم وإسماعيل.

ألا ومن أراد أن ينظر الى موسى ويوشع فها انا ذا موسى ويوشع.

ألا ومن أراد أن ينظر الى عيسى وشمعون فها انا ذا عيسى وشمعون.

ألا ومن أراد أن ينظر الى محمَّد وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، فها انا ذا محمَّد وأمير المؤمنين.

ألا ومن أراد أن ينظر الى الحسن والحسين (عليهما السلام) فها انا ذاالائمة.

أجيبوا الى مسألتي فانِّي انبئكم بما نُبِّئتم به وما لم تُنبَّئوا به...[1].

نعم إنَّ هذه الخطبة صريحة وواضحة في إعلام الناس بحقيقة الإمام

---

(١) بحار الأنوار ٥٣ : ٩ / ١.

المهدي وكونه (عليه السلام) الخلاصة البديهية لكافة الانبياء والمرسَلين ، والائمة المعصومين (عليهم السلام) ، وأنَّ طاعته (عليه السلام) هي امتداد لطاعة الناس لانبيائهم ، لانَّه حامل لواء دعوتهم ، والمترجِم الفعلي لحقيقة برامجهم ، ولذا فانَّ في طاعته والتقيُّد ببرامجه يصل الناس جميعاً الى تحقيق امانيهم ورغباتهم ، وذلك هو الامل المنشود الذي كانت ولا زالت البشرية جمعاء تعيش على أمل تحقيق البعض منه ، ناهيك عنه كله .

الا تأمَّلت اخي القارئ الكريم فيما حواه دعاء الافتتاح الشهير من أبلغ الاماني التي تراود أذهان المؤمنين كحلم جميل ورغبة عظيمة المنال ، والتي ستتحقق بقيام دولة الإمام المهدي (عليه السلام) ان شاء الله تعالى .

بلى ولنتأمَّل سوية في هذه الفقرات العظيمة لندرك جلياً بعض تلك الثمار الطيبة التي ستأتي بها تلك الحقبة المباركة :

اللّهمَّ المم به شَعثنا ، واشعِب به صَدعَنا ، وارتِق به فَتقنا ، وَكثِّر به قِلَّتنا ، واعزِز به ذِلَّتِنا ، واغنِ بهِ عائِلَنا ، واقضِ بهِ عَنْ مغرَمِنا ، واجبُر بهِ فَقرَنا ، وَسُدَّ بهِ خِلَّتَنا ، وَيَسِّر بهِ عُسرَنا ، وَبَيِّضْ بِهِ وجُوهَنا ، وَفُكَّ بهِ أسرَنا ، وانجِحْ بِهِ طَلَبَتنا ، وَأنجِزْ بهِ مَواعيدَنا ، وَاستَجِبْ بهِ دَعوَتَنا ، وَاعطِنا بهِ سؤلَنا ، وَبَلِّغنا به من الدنيا والآخرة آمالَنا ، وَاعطِنا بهِ فوقَ رَغبَتَنا ، يا خَيرَ المَسؤولينَ ، وَأوسَعَ المُعطينَ ، اشفِ بهِ صُدورَنا ، واذهِبْ بهِ غَيظَ قُلوبَنا ، واهِدنا بِهِ لِما اختُلِفَ فيهِ مِنَ الحَقِّ باذنِكَ انَّكَ تَهدي مَنْ تَشاءُ الى صِراطٍ مُستَقيمٍ ، وَانصُرنا بهِ على عَدوِّكَ وَعَدوِّنا الهَ الحَقِّ آمينَ ...

فعند التأمُّل في هذه الفقرات المهمة نجد أنَّ هناك الكثير من المطالب والبرامج السياسية والاجتماعية والاخلاقية التي في تحقيقها تتوصل البشرية الىٰ اقامة مجتمع متكامل نموذجي هي بغية كل الرسالات

السماوية المتلاحقة والتي افنى الصالحون حياتهم سعياً نحو بعضها، طوال حقب ودهور متلاحقة شهدت صراعاً مريراً بين طرفي النقض العقائدي، الخير والشر، النور والظلام، ارادة الله تعالى وحبائل الشيطان، وحيث تُحسم هذه المنازلة الدموية الرهيبة في عصر الإمام المهدي بغلبة قوى الخير ونكوص واندحار قوى الشر الفاسدة...

واخيراً فانّا سنحاول في هذا الكتاب، ومن خلال فصول ستة ملخّصة، استعراض بعض الجوانب المهمة المتصلة بحياة الإمام المهدي (عليه السلام)، واهدافه، وبرامج دولته، سائلين المولى عز وجل أن يعيننا على تقديم هذه المباحث المهمة بشكل يحيط ـ رغم اختصاره ـ بأهم الابعاد الخاصة بهذا الموضوع الحسّاس والمهم، انّه الموفّق لكلّ خير.

وأخيراً فإنّ فصول هذا الكتاب الستة تختص بالمباحث التالية:

الفصل الأول: ما يتعلّق بولادته (عليه السلام)، وستر أبيه له في سنين عمره الاولى، وبعض ما يتصل بها.

الفصل الثاني: الغيبة الصغرىٰ وصلته (عليه السلام) بشيعته.

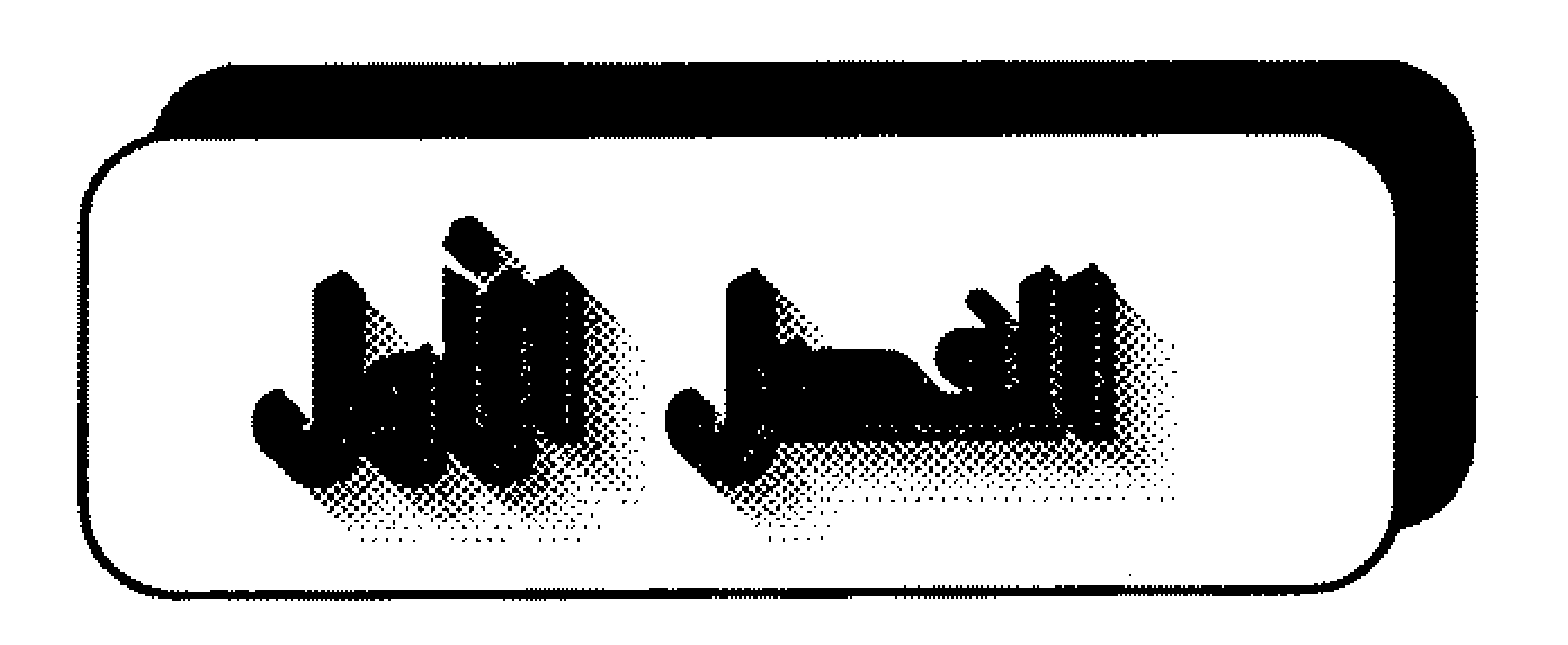
الفصل الثالث: غيبته الكبرىٰ (عليه السلام)، وانتظار شيعته لظهوره، وعلامات ظهوره.

الفصل الرابع: تساؤلات مع الإمام المهدي (عليه السلام).

الفصل الخامس: الإمام المهدي غذاء الروح.

الفصل السادس: حكومته (عليه السلام)، وعصره المزدهر بالخير والعطاء.

* * * * *



ولادته (عليه السلام)، وستر أبيه له وبعض ما يتصل بذلك

الانتظار الممض والمستمر طوال حقب متلاحقة متوالية لانبثاق نجم الإمامة المرتقب، والذي بشّر به وعلى امتداد التاريخ ودهوره المتعاقبة رسل الله تعالى وأنبياؤه وأوصياؤه (عليهم السلام)، بكلمات أيقظت في القلوب والمشاعر البصيص المفضي الى تحقُّق حلم الباحثين عن العدالة والأمن والسعادة في عالم البشرية المزدحم بالتكالب والتقاتل على اقتناص الشهوات المادية الزائفة والزائلة من قِبَل الكثير من بني الانسان الذين امتطوا بصلافة ظهر نزواتهم وأهوائهم، وتذرَّعوا بألف دعوة باطلة وساقطة لتبرير انحرافهم وسقوطهم، فانحدروا في هاوية لا قرار لها ولا منتهى، وحوَّلوا العالم الى غابة تخلو من الرحمة ومن الانسانية.

هو هكذا الصراع قائم منذ أن اصبح للانسان امتداد في هذه الارض، بل وتشكُّل وتجذُّر مع الايام والدهور، فتصاعدت معه اللهفة الى بعث المنقِذ والمنجي للبشرية من كابوسها المريع هذا، وحيث شاءت ارادة البارئ جل اسمه ان تتجسد تلك الرغبة العارمة، والامنية العزيزة في خلاصة ذرية النبي الاكرم محمَّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) وخاتمة اوصيائه الامام المهدي (عليه السلام) من صلب الإمام العسكري (عليه السلام)، لتكتحل برؤيته عيون العالم بعد مخاض عسير امتد لدهور طوال، وسنين متوالية متعاقبة.

نعم، لم تكن هذه الولادة المرتقبة بحادثة كما ذكرنا، بل هي حلم ودعوى رافقت البشرية منذ نشأتها، ولازمتها سني عمرها، وبشَّرت بها كلمات الانبياء والمرسَلين، والاوصياء والصالحين، حتى عاش على أملها المستضعَفون والمساكين، وتزوَّد من أريجها العابدون الصالحون، فكانت

نعم الزاد عبر هذا السفر الطويل، في هذه المفازة المترامية الاطراف.

بلى إنَّ الامنية العزيزة باقامة الحقِّ، وبسط العدل، والتي لن تتحقق أبعادها كاملة إلا في قيام دولة المهدي المنتظر (عليه السلام)، آخر الائمة المعصومين (عليهم السلام) من ذرية رسول الله محمَّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله) كانت الهاجس المعتمل في النفوس المغلوبة، والذي تعيش على أمل قدومه كل تلك الاحلام والاماني في عصور الظلم والاستضعاف المتوالية والمتلاحقة.

نعم، فرغم بقائه هاجساً، ووسمه حلماً الا انه كان بشرى وموعداً لابد له من القدوم في يوم من الايام، وحتماً سيتجسد واقعاً بعد ان ينال اليأس القلوب الضعيفة ويدفعها الى القطع بانه لن يأتي ابداً.

ولا يأتي كلامنا هذا من الخواء، ولا يصدر عن الفراغ، فقد توالت البشائر طوال حقب متلاحقة، ودهور متعاقبة، وعلى ألسِنة خير عباد الله تعالى في أرضه من الانبياء والمرسلين، والاوصياء المنتجبين (عليهم السلام) كما هو مدون ومعروف.

ولا غرو في ذلك، فهذا مما لا يخالفنا فيه أحد الا مكابرة وعناداً لا يصدر الا عن الحمقى والمغفلين، وهم أعجز من ان يخفوا الشمس بغربالهم، أو يحتووا البحر بفنجانهم.

بلى فانَّه لا يخفى على أحد توالي التصريحات الصادرة عن أهل بيت النبوَّة الطاهر بماهية هذا الامر وحتميته، وهذا ما سنحاول متعجِّلين الاشارة الى بعض منه بإذن الله تعالى، منتقلين منه الى الولادة المباركة لهذا الإمام الموعود.

* * * * *

النصـوص والبشـارات

كثيرة جداً هي النصوص الثابتة المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) بخصوص الإمام المهدي (عليه السلام)، والتصدي لاحصائها وحصرها يتطلب فحصاً واسعاً، وتتبعاً دقيقاً، ومساحةً واسعةً لا يسعنا هنا التمكّن منها، وان كان البعض من الباحثين المجدّين لم يأل جهداً في استقصاء ما تمكّن عليه في موسوعات مختصّة بهذا المبحث المهم والحسّاس، هي بمتناول الكثيرين.

ثم فى انّ التحدّث عن النصوص والبشارات المشيرة الى ولادة الامام المهدي (عليه السلام) وقدوم عصره الموسوم بالخير والعطاء والبركة لا يعني بأي حال من الاحوال اقتصار ذلك الامر على كتب الشيعة ومؤلّفاتهم كما يحلو للبعض جهلاً التمشدق به، والتقوّل من خلاله عبر قصاصات صفراء باهتة سقيمة.

بلى، فقضية الامام المهدي (عليه السلام) قضية عامة اشتركت في الحديث عنها ونقلها عموم فرق المسلمين، وازدانت بها كتبهم ومؤلّفاتهم، وأمست حقيقة وردية تداعب أحلام المظلومين والمقهورين على امتداد المساحة العامة للعقيدة الاسلامية، كما هي في غيرها من عقائد البشرية على طول الخطوط المتقاسمة بين الجميع.

نعم، انّ هذه الامنية العزيزة أمست لصيقة بكل مصاديق بسط العدل والامان على هذه الارض، حتى انّ المرء لتطالعه كثيراً أشكال استعارتها على امتداد التأريخ وعمق كيانه من قبل كثير من الامم والجماعات المتناثرة

والمتباعدة، والمتفاوتة العقائد والافكار.

بل ولكثرما تقمَّص بهذا الاسم المبارك الحكّام والخلفاء، بل ونسبه اليهم الشعراء والمتزلِّفون، كصفة تضفي على حاملها قدسية لا يسع غيره ادراكها او التلبّس بها، وصفحات التأريخ بمتناول الباحثين والدارسين لادراك سعي البعض نحو هذه الواحة المباركة والساحة المعطاءة.

فمضافاً الى التسمّي والتجلبب بهذا الاسم المقدَّس من قِبَل البعض، ترى حتى محاولة مصادرة ما يختص به من مواصفات ومن سمات مباركة.

فهؤلاء الامويون بفرعهم الاول المتمثل بالعنابسة بعد مصادرة السلطة من قبل الفرع الثاني لهم والموسوم بالعصاوصة، ومن قبل مروان ابن الحكم، يدّعون بأن مهديهم المزعوم سيأتي في آخر الزمان للاقتصاص من ظلم بني عمهم وشركائهم في الفساد، بل وأسموه السفياني قبَّحه الله تعالى وقبّحهم.

وعلى هذا المنهج سار أقرانهم العباسيون، فنسبوا المهدي اليهم، وجعلوه عباسياً!!

وأخيراً، وتجنّباً عن الاطناب والاطالة التي يستجرنا اليها الحديث المتوالي، فانّا سنحاول أنْ ندلي بدلونا في هذا المعترك المقدَّس من خلال الاشارة الى بعض تلك النصوص المقدَّسة الشريفة الصادرة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) والمتعلقة بولادة الامام المهدي (عليه السلام) وقيام دولته المباركة:

فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: لن تنقضي الايام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، يملؤها عدلاً

وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[١].

وروي عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: لو لم يبق من الدنيا الا يوم لبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله): يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي، وكنيته ككنيتي، يملأ الارض عدلاً كما مُلئت جوراً، فذلك هو المهدي[٣].

وقال (صلى الله عليه وآله): لا تذهب الايام والليالي حتى يملك رجل من أهل بيتي يملأ الارض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً[٤].

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله لولده الحسين (عليه السلام): التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، المظهِر للدين، الباسط للعدل[٥].

وقال (عليه السلام): أنا والحسن والحسين والائمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم، لا يفارقون كتاب الله تعالى ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حوضه[٦].

وقال (عليه السلام): صاحب هذا الامر من ولدي هو الذي يقال مات أو هلك، لا بل في أي واد سلك[٧].

وروى ابن نباتة قائلاً: اتيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فوجدته مفكّراً ينكت في الارض فقلت: يا أمير المؤمنين، مالي

---

(١) ارشاد المفيد ٢ : ٣٤٠.
(٢) مسند أحمد ١ : ٩٩، سنن ابي داود ٤ : ١٠٦/ ٤٢٨٢، الدر المنثور ٦ : ٥٨.
(٣) تذكرة الخواص : ٢٠٤
(٤) الملاحم والفتن : ١٠١.
(٥) كمال الدين ١ : ٣٠٤.
(٦) كمال الدين ١ : ٢٤٠ / ٦٤.
(٧) غيبة النعماني : ١٥٦ / ١٨.

أراك مفكِّراً تنكت الارض، أرغبة فيها؟

فقال (عليه السلام) لا والله ما رغبت فيها، ولا في الدنيا قط، ولكني فكّرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي، يملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، تكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام، ويهتدي فيها آخرون.

فقلت: يا أمير المؤمنين، وان هذا لكائن؟!

فقال (عليه السلام): نعم، كما انه مخلوق، انى لك بالعلم بهذا الامر يا أصبغ، اولئك خيار هذه الامّة مع أبرار هذه العترة.

قلت: وما يكون بعد ذلك؟

فقال (عليه السلام): ثم يفعل الله ما يشاء، فإن له ارادات وغايات ونهايات[1].

وروي عن الإمام الحسن (عليه السلام) قوله: ما منّا أحد الا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم الذي يصلّي روح الله عيسى بن مريم (عليه السلام) خلفه، فإنّ الله عز وجل يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة اذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة الاماء، يطيل الله تعالى عمره في غيبته ثم يظهر بقدرته في صورة شاب ابن دون اربعين سنة، ذلك ليعلم ان الله على كلّ شيء قدير[2].

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): قائم هذه الامّة هو التاسع من ولدي، وهو صاحب الغيبة، وهو الذي يُقسم ميراثه وهو حي[3].

---

(١) كمال الدين ١: ١/٢٨٩.
(٢) كمال الدين ١: ٢/٣١٦.
(٣) كمال الدين ١: ٢/٣١٧.

وقال (عليه السلام) أيضاً: في التاسع من ولدي سنّة من يوسف، وسنّة من موسى بن عمران، وهو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة(١).

وقال الإمام علي بن الحسين (عليه السلام): القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لاحد في عنقه بيعة(٢).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) مخاطباً احد أصحابه: يا أبا الجارود إذا دار الفلك، وقال الناس: مات القائم أو هلك، بأي واد سلك، وقال الطالب: أنّى يكون ذلك وقد بليت عظامه، فعند ذلك فارجوه، فإذا سمعتم به فأتوه ولو حبواً على الثلج(٣).

وقال (عليه السلام) أيضاً: من المحتوم الذي حتمه الله تعالى قيام قائمنا، فمن شك فيما أقول لقي الله تعالى وهو به كافر(٤).

وقال الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام): من اقرّ بجميع الائمّة وجحد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الانبياء وجحد محمّداً (صلى الله عليه وآله) نبوته.

فقيل له: يا ابن رسول الله ممّن المهدي من ولدك ؟

فقال (عليه السلام): الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، ولا يحل لكم تسميته(٥).

وقال (عليه السلام) أيضاً: إذا اجتمعت ثلاثة أسماء متوالية: محمّد وعلي،

---

(١) كمال الدين ١ : ١/٣١٧ .
(٢) كمال الدين ١ : ٦/٣٢٢ .
(٣) كمال الدين ١ : ٥/٣٢٦ .
(٤) بحار الانوار ٢٤ : ٤/٢٤١ .
(٥) كمال الدين ٢ : ١/٣٣٣ .

والحسن، فالرابع المهدي[١].

وروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام): القائم الذي يطهّر الارض من أعداء الله تعالى، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول امدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام، ويثبت فيها آخرون[٢].

وسأله محمّد بن زياد الازدي عن قول الله عز وجل ﴿ **وأسبَغَ عَلَيكُم نعمه ظاهِرةً وَباطِنةً** ﴾[٣] فقال (عليه السلام): النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الامام الغائب.

فقال له: ويكون في الائمة من يغيب؟

قال: نعم، يغيب عن أبصار الناس شخصه ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، وهو الثاني عشر منّا، يسهّل الله له كل عسير، ويذلّل كل صعب، ويُظهِر له كنوز الارض، ويقرّب له كل بعيد، ويُبير به كل جبار عنيد، ويُهلك على يده كل شيطان مريد، ذاك ابن سيدة الاماء الذي تخفى على الناس ولادته، ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله عز وجل فيملأ به الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً[٤].

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه، لانَّ امامهم يغيب عنهم لئلا تكون في عنقه بيعة لاحد اذا قام بالسيف[٥].

وقال الإمام الجواد (عليه السلام): انَّ القائم منّا هو المهدي الذي يجب أن

(١) غيبة الطوسي: ٢٣٣ / ٢٠١، كمال الدين ٢: ٢٣٣ / ٢.
(٢) كمال الدين ٢: ٣٦١ / ٥.
(٣) لقمان ٣١: ٢٠.
(٤) بحار الانوار ٢٤: ٥٣ / ٨.
(٥) كمال الدين ٢: ٣٧٧ / ١.

يُنتظر في غيبته ويُطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمَّداً بالنبوة، وخصَّنا بالامامة انَّه لو لـم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوَّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يخرجه فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملُئت جوار وظلماً[١].

وقال أبو هاشم الجعفري: سمعت أبا الحسن صاحب العسكر (عليه السلام) يقول: الخلف من بعدي ابني الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟

فقلت له: ولِمَ جعلني الله فداك؟

فقال (عليه السلام): لانكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه.

قلت: فكيف نذكره؟

قال (عليه السلام): قولوا الحجة من آل محمَّد (صلى الله عليه وآله)[٢].

وقال أحمد بن إسحاق: سمعت أبا محمَّد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) خَلقاً وخُلقاً، يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ثم يظهره فيملأ الارض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً[٣].

---

(١) كمال الدين ٢ : ١/٣٧٧ .

(٢) الكافي ١ : ١٣/٢٦٤ ، ارشاد المفيد ٢ : ٣٤٩ .

(٣) كمال الدين ٢ : ٧/٤٠٩ .

الولادة المباركة ودهور الظلم

ولد الإمام المهدي (عليه السلام) في بيت أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، في ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين هجرية في سر من رآى في العراق.

وكان بيت الامامة الطاهر قد طافت به الاحداث بين اقطار المسلمين تحت وطأة العداء والظلم والتعسُّف البغيض الذي تتوشح به مراكز قوى وحكومات ذلك الدهر، من المنافقين المتجلببين زوراً بالاسلام، ومن قادة وحكّام الامويين والعبّاسيين وأذنابهم، عاماً بعد عام، وحاكماً بعد حاكم، حتى لم تدع لهم (عليهم السلام) حقبة استقرار الا في حدود ضيقة ومحدودة.

فالامام علي (عليه السلام) ينتقل من مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى العراق ليستشهد على يد اشقى الآخرين.

وولده الحسن (عليه السلام) لا يلبث أن يدفعه الظلم الاموي الى العودة مرة اخرى الى المدينة المنورة، حيث يلقى حتفه مسموماً بأمر من معاوية ابن هند.

وأمّا الإمام الحسين (عليه السلام) فقد كان مصيره الاستشهاد المروع مع أهله واصحابه في طف كربلاء، في واقعة دموية لم يعرف له التأريخ مثيلاً ولا شبيهاً.

ثم تدفع السلطة بالامام السجّاد (عليه السلام) الى العودة الى المدينة المنورة ليعيش حياة التضييق والمراقبة ما تبقى من عمره فيها.

وكذا هو الحال بالنسبة للامامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، حيث

طوّحت بهم صروف الدهر التي يدبّرها أركان السلطة وأذنابهم من مكان الى مكان حتى يلحقا بآبائهما (عليهم السلام) ويواريا في أرض البقيع جوارالإمام السجاد (عليه السلام).

ثم يشتد كلب السلطة علىالإمام الكاظم (عليه السلام)، متمثّلاً بظلم طاغية عصره هارون، لينتقل من سجن الى سجن حتى يدس اليه السم في بغداد في حبس السندي بن شاهك في بغداد.

ولم تكتف السلطة بما سلف منها من التضييق على أهل البيت (عليهم السلام) طوال ما مضى من الحقب والدهور، بل تواصل سياستها بشكل متسلسل ومدروس وثابت، لادراكها بحقيقة ما يشكّله وجود هذا البيت من خطر أكيد على سياستهم المخالفة للدين وللشريعة الاسلامية الخالدة.

فينقلالإمام الرضا (عليه السلام) من المدينة المنورة الى خراسان بذريعة تقليده ولاية عهد المأمون التي لم تلبث أن تؤدي بحياته (عليه السلام) مسموماً غريباً بعيداً عن الأهل والأوطان.

ولحق به ولدهالإمام الجواد (عليه السلام) وعمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين فدفن في بغداد جوار جدّهالإمام الكاظم (عليه السلام).

وأمّا ولدهالإمام الهادي (عليه السلام) فقد أشخصه المتوكل ـ أشد حكّام العباسيين عداء لاهل بيت النبوة ـ مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة الى سرمن رآى، حيث سعى به متولي المدينة عبدالله بن محمّد، فبقي فيها حتى توفّي مسموماً على ما روي كحال آبائه (عليهم السلام).

نعم، هكذا سلسلة متصلة من التغريب والتشريد، والمضايقة والقتل ،لواحد بعد واحد من الائمة المعصومين (عليهم السلام)، وهم ورثة علوم رسولالله(صلى الله عليه وآله)، ونوّابه، وأمناء وحي الله تعالى، وعباده الّذين انتجبهم

واصطفاهم واختارهم ليكونوا خلفاء رسوله، وخزّان وحيه، عليهم التحية والتسليم.

بلى، هكذا توالت هذه النكبات مع امتداد خط الامامة المقدّس لتصل الى الامام العسكري، والد الإمام المهدي الموعود (عليهم السلام)، والذي انتقل مع أبيه الهادي (عليه السلام) الى سر من رآى عام ٢٣٤ هـ وله من العمر سنتان، فبقي فيها حتى وفاة أبيه (عليه السلام)، فاستقل بالامامة وله من العمر اثنان وعشرون عاماً، بيّد أنّه لم يعش بعد أبيه الا نحواً من ست سنين، عاصر فيها ثلاثة من الحكّام العبّاسيين، هم :المعتز، والمهتدي، والمعتمد، كان يمر فيها (عليه السلام) بظروف حسّاسة ودقيقة، لاسيّما وقد تكاثر عدد الشيعة في الكوفة، وسامراء، وبغداد، وايران، والمدائن ومصر، واليمن وغيرها من بلاد الاسلام، وكانت هذه الجموع الغفيرة تدين بالولاء لهذا الإمام المحاط باعين السلطة وجلاوزتها، حتى أن شيعته اذا أرادوا ان يُنفذوا اليه ما عليهم من الحقوق أوصلوها الى وكلائه المخلصين كعثمان ابن سعيد الذي يجعلها في جراب السمن ويرسلها الى الإمام (عليه السلام) بتستُّر وتكتُّم خوفاً من أعين السلطة ورجالاتها.

بيد أنَّ اشتداد هذا الامر على الإمام العسكري (عليه السلام) لم يثنه عن مواصلة توجيه الشيعة وقيادتهم، والاهتمام بامور المسلمين وقضاياهم، وهذا ما كان يقلق السلطة الحاكمة اشد القلق، لذا كانت تضيّق الخناق على الإمام واحصاء انفاسه، والتثبت من عدم ولادة أى مولود له، يرثه ويرث خط الامامة المقدس فى محاولة يائسة عقيمة ـ ليس هو أول من ابتدأها بل كان وريثاً لمن سبقه من حكام بني العباس ـ لقطع شجرة الامامة ومنعها عن الامتداد والنمو، لا سيّما والاخبار الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، ابتداء من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانتهاءً بالامام العسكري (عليه السلام)

تشير الى وجود امام ثاني عشر، من ذرية الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وانّه سيقيم دولة الحق في الارض، ويبير الظالمين، وانّه سيملأ الارض عدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وانّه السيف القاطع لدول الظالمين والمتجبّرين والمستكبرين.

نعم، لقد كان هذا هو الهاجس الذي يقلق الحكّام ويقض مضاجعهم، ولا يترك لهم سبيلاً للراحة والاطمئنان.

ومن هنا فقد كان المعسكران في أشد حالات التوجُس والحذر، السلطة بزبانيتها وازلامها المتربصة بالامام خوف ان يولد له هذا الرجل الموعود لاقامة العدل في الارض، والامام وخلّص اصحابه في خوفهم المريع من وصول السلطة الى هذا المولود المبارك، الذي يعني سقوط أحلامهم وتردي تخيلاتهم السقيمة، فكان ذلك الباعث الاكبر في حرص الامام العسكري (عليه السلام) وأصحابه على اخفاء هذا الامر والتستر عليه أشد التستُّر.

نعم، ولد الإمام المهدي (عليه السلام) في ظروف حسّاسة ودقيقة للغاية، عمد فيها والده الإمام الحسن العسكري على اخفائه عن عيون احد الا خلّص أصحابه وخيار شيعته ـ وهم ما سنتعرض آنفاً لذكر بعضهم ان شاء الله تعالى ـ خوفاً من عيون السلطة المترقبة لمثل هذا الحدث، والتي جهدت في منعه ما قدرت عليه، حتى انها عمدت الى ايداعه (عليه السلام) السجن عدة مرات كما يذكر ذلك الشيخ القمي رحمه الله في الانوار البهية، ويشير الى انَّ ثلاثة من الحكّام العبّاسيين حاولوا جاهدين التخلُّص من الإمام المهدي لعلمهم بأنّ ولداً سيأتي من صلبه هو القائم بدولة الحق، والمزيل لدولة الظلم والتفرعن[1].

---

(١) الانوار البهية: ١٨٣.

نرجس أم الإمام المهدي

حقاً انّنا لا يسعنا ان نلج في غمار ولادة امامنا المنتظر (عليه السلام) الا من بعد أن نتأمّل في بعض التدبيرات الالهية الموصلة الى هذه الولادة المباركة، ومنها كيفية زواج أبيه الإمام العسكري (عليه السلام) بامّه الشريفة النسب، والرفيعة الشأن، والتي قادتها التدبيرات السماوية لأن تتشرف بحمل وولادة وريث الانبياء والاوصياء، وولي الله تعالى في أرضه، ومقيم حكمه، ومنفِّذ ارادته.

نعم، تذكر الروايات المختلفة بانّها رومية الاصل تدعى بالاضافة الى نرجس ـ أشهر اسمائها والذي عُرفت به ـ بأسماء اخرىٰ: كسوسن، وريحانة، وصقيلة، ومليكة.

كما ان المصادر المختلفة تذكر بان هذه السيدة الجليلة لم تكن مغمورة مجهولة، بل كانت رفيعة النسب، وجليلة الاصل، حيث كانت واحدة من ابناء الملوك، وكان أبوها ـ ويدعى يشوعا ـ ابناً لقيصر الروم، بل وان امها كانت من ولد شمعون الصفا.

وتضيف هذه المصادر بأن جدها القيصر حاول تزويجها من ابن اخيه، وهي لم تزل فى الثالثة عشر من عمرها، بيد انَّ المشيئة الربّانية التي قدّرت لهذه المرأة الطاهرة ان تكون زوجة لإمام معصوم، وأم لإمام معصوم أيضاً حالت دون وقوع هذا الامر واتمامه.

وتضيف الروايات بأنّ هذه السيدة الطاهرة رأت في منامها آنذاك بأنّ مجلساً كان منعقداً في بيت جدها كان يضم المسيح (عليه السلام) وشمعون

وجماعة من الحواريين، ثم لم يلبثوا ان دخل عليهم جماعة يعلوهم النور، وتحيطهم الهيبة والوقار، عرفت انهم النبي محمَّد (صلى الله عليه وآله) وابن عمه ووصيّه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعدّة من أبنائهم، يرافقهم شاب بهي الطلعة عرفت أنَّه الإمام العسكري (عليه السلام).

تقول نرجس: فتقدّم المسيح (عليه السلام) اليه فاعتنقه، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا روح الله انّي جئتك خاطباً من وصيّك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأومأ بيده الى أبي محمَّد.

فنظر المسيح الى شمعون وقال له: قد أتاك الشرح فصل رحمك برحم آل محمَّد، قال: قد فعلت.

تضيف نرجس: فصعد ذلك المنبر فخطب محمَّد (صلى الله عليه وآله)، وزوَّجني من ابنه، وشهد المسيح(عليه السلام) وشهد أبناء محمَّد (صلى الله عليه وآله) والحواريون.

وتشاء الارادة الالهية أن تخرج نرجس في جيش جدها القاصد لحرب المسلمين، وتقع في أسرهم، وتعرض للبيع في سوق النخاسة في بغداد.

وفي ذلك الوقت كان الامام الهادي (عليه السلام) قد أرسل بشر بن سليمان لشرائها هناك، فاشتراها وقدم بها الى سامراء حيث يقيم الإمام (عليه السلام).

فدفعها الامام (عليه السلام) الى اخته حكيمة طالباً منها تعليمها الاسلام وعقيدته المباركة، تمهيدا لتزويجها من ولده الامام العسكري (عليه السلام).

فوجدتها حكيمة صالحة عابدة ناسكة انهمكت بشوق في التعلُّم والتزوُّد من هذه العلوم المباركة النقية من امنائه وحملته، فكانت خير

مجسد فعلي لما تعلمته، وبهرت من عرفها برفيع سلوكها، ودماثة اخلاقها حتى نالت حب جميع من تعامل معها واحاط بها.

ثم لم تلبث هذه المرأة الشريفة الرفيعة النسب ان زوّجت من الإمام العسكري (عليه السلام) لتكون وعاء طاهراً لحمل الإمام الموعود، والذي خفي حمله حتى على أكثر ـ ان لم يكن جميع ـ النساء القريبات منها، وتلك مشيئة ربانية وارادة الهية.

نعم، لقد كانت تلك المرأة الصالحة خير مؤتمن على هذه الامانة الثمينة، فأوصلتها كما ينبغي وأدت الدور العظيم المناط بها، وتتقلد الوسام الذي تحسدها عليه جميع نساء العالمين.

واختلف في وقت وفاتها، فقيل بانها قبل وفاة الإمام العسكري (عليه السلام)، وقيل بعده.

وقبرها الى جوار مرقد زوجها (عليه السلام)، في مدينة سامراء في أرض العراق مع الإمام الهادي (عليه السلام).

* * * * *

ولادة الإمام المهـدي (عليه السلام)

أطنبت الروايات في ذكـر كيفية ولادة الإمـام المـهدي (عليه السلام)، وتفاصيلها، ودقائق أحداثها، ولعلَّ التأمُّل في هذه الروايات المـذكورة يظهر للمتأمّل حقيقة لا خلاف فيها قاطعة على حدوث الكثير من الاعجاز والتكريم من لدن الرعاية السماوية لهذا المولود المقدّس.

ولا غرو في ذلك، فهو خاتمة الاوصياء، والمؤمَّل لاقامة العدل في الارض، بل وأمل جميع الانبياء والمرسَلين، والاوصياء والصالحين، منذ الخلق وحتى يومنا هذا، وسيبقى حتى تكتحل برؤيته المباركة أعين من يتشَّرف بخدمته واتِّباعه.

نعم، وسنحاول هنا استعراض بعض وقائع هذا الحدث المرتقب منذ سالف العصور برواية السيِّدة حكيمة عمَّة الإمام العسكري (عليه السلام)، والتي أوردها الصدوق في كتابه الموسوم بكمال الدين:

تقول حكيمة: بعث الي أبو محمَّد الحسن بن علي فقال: يا عمة، اجعلي افطارك الليلة عندنا، فانَّها ليلة النصف من شعبان، وانَّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجته على أرضه.

قالت: فقلت له: ومن أمُّه؟

فقال لي: نرجس.

فقلت له: والله ـ جعلني الله فداك ـ ما بها أثر!!

فقال: هو ما أقول لك.

قالت حكيمة: فجئتُ، فلمّا سـلَّمت وجلسـتُ جاءتْ تنزع خفي

وقالت لي: يا سيِّدتي كيف أمسيت؟

فقلت لها: بل أنت سيِّدتي وسيِّدة أهلي.

قالت حكيمة: فقلت لها: يا بنية، إنَّ الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيِّداً في الدنيا والآخرة.

قالت حكيمة: فجلستُ واستحيتُ، فلمّا أنْ فرغتُ من صلاة العشاءالآخرة وأفطرتُ واخذتُ مضجعي فرقدتُ، فلمّا أنْ كان في جوف الليل قمت الى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث، ثم جلستُ معقِّبة، ثم اضطجعتُ، ثم انتبهتُ فزعة وهي راقدة، ثم قامت وصلَّت.

قالت حكيمة: فدخلتني الشكوك، فصاح بي أبو محمَّد (عليه السلام) من المجلس وقال: لا تعجلي يا عمَّة، فإنَّ الامر قد قرب.

قالت: فقرأت ألم السجدة ويّس، فبينما أنا كذلك اذ انتبهتْ فزعة فوثبتُ اليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: تحسِّين شيئاً؟

قالت: نعم يا عمَّة.

فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي أمرك فهو ما قلت لك.

قالت حكيمة: ثم أخذتني فترة وأخذتها فطرة، فانتبهت بحس سيدي فكشفت عنه الثوب فاذا انا به ساجداً يتلقّى الارض بمساجده فضممته الي فاذا به نظيف منظَّف، فصاح بي أبو محمَّد (عليه السلام): هلمي الي ابني يا عمَّة.

فجئت به اليه فوضع يديه تحت اليتيه وظهره، ووضع قدميه على صدره، ثم أدلى لسانه في فيه، وأمرّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلَّم يا بني.

فقال: أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله). ثم صلّى على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وعلى الائمة (عليهم السلام) الى أنْ وقف على أبيه ثم احجم[1].

ولمّا ولد الإمام المهدي (عليه السلام) جهد أبوه في اخفاء أمر ولادته ـ كما ذكرنا آنفاً ـ الا عن خلَّص شيعته، وهم ما ذكرتهم المصادر الحديثية والروائية المختلفة في معرفتهم لهذا الامر بطرق وأساليب مختلفة، وحيث نُقل عنهم خبر ولادته (عليه السلام).

ومن هؤلاء: أبو هاشم الجعفري، وعلي بن بلال، وأحمد بن إسحاق الاشعري القمي، وأبو طالب البلالي، وأبو جعفر العمري، وأبو هارون.

كما عرضه (عليه السلام) على أربعين نفر من خلَّص شيعته اتماماً للحجة واظهاراً للدليل.

وسنحاول هنا استعراض بعض الروايات المختصَّة بهذا الامر كما وردت في كتب الحديث والرواية.

فقد روى أحمد بن إسحاق بن سعد الاشعري وكيل الإمام الحسن العسكري في قم أنَّه دخل على أبي محمَّد الحسن بن علي (عليهما السلام) وهو يريد أُن يسأله عن الخلف من بعده.

يقول ابن إسحاق: فقال لي مبتدئاً: يا أحمد بن إسحاق، إنَّ الله تبارك وتعالى لم يخل الارض منذ خلق آدم (عليه السلام)، ولا يخليها الى أنْ تقوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الارض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الارض.

---

(١) كمال الدين ٢: ١/٤٢٤.

قال : فقلت له : يا ابن رسول الله ، فمن الإمام والخليفة بعدك ؟

فنهض (عليه السلام) مسرعاً ، فدخل البيت ، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنَّ وجهه القمر ليلة البدر ، من أبناء الثلاث سنين ، فقال : يا أحمد بن إسحاق ، لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا ، انَّه سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنيه ، الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً .

يا أحمد بن إسحاق ، مثله في هذه الامَّة مثل الخضر (عليه السلام) ، ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها من الهلكة الا من ثبَّته الله عز وجل على القول بامامته ، ووفَّقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه .

فقال أحمد بن إسحاق : فقلت له : يا مولاي ، فهل من علامة يطمئن اليها قلبي ؟

فنطق الغلام (عليه السلام) بلسان عربي فصيح فقال : أنا بقيَّة الله في أرضه ، والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق .

فقال أحمد بن إسحاق : فخرجت مسروراً فرحاً ، فلمّا كان من الغد عدت إليه فقلت له : يا ابن رسول الله ، لقد عظم سروري بما مننت به علي ، فما السنَّة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين ؟

فقال (عليه السلام) : طول الغيبة يا أحمد .

فقلت : يا بن رسول الله ، وإنَّ غيبته لتطول ؟

فقال (عليه السلام) : اي وربي حتى يرجع عن هذا الامر أكثر القائلين به ، ولا يبقى الا من أخذ الله عز وجل عهده لولايتنا ، وكتب في قلبه الايمان ، وأيَّده بروح منه .

يا أحمد بن إسحاق ، هذا من أمر الله ، وسرٌ من سر الله ، وغيبٌ من

غيب الله، فخذ ما آتيتك واكتمه وكن من الشاكرين تكن معنا غداً في علّيين[١].

ثم انَّ أبا جعفر العمري روى أنَّ الإمام العسكري (عليه السلام) لما ولد له الإمام المهدي (عليه السلام) قال: ابعثوا الى ابن عمر [اي عثمان بن سعيد]. فبعث اليه فصار اليه، فقال له: اشتر كذا وكذا وفرّقه[٢].

وقال أبو الحسن الكرخي سمعت أبا هارون يقول: رأيت صاحب الزمان (عليه السلام) ووجهه يضيء كأنَّه القمر ليلة البدر، ورأيت على سرته شعراً يجري كالخط، وكشفت الثوب عنه فوجدته مختوناً، فسألت أبا محمد (عليه السلام) عن ذلك فقال: هكذا ولد وهكذا ولدنا، ولكنّا سنمر الموسى عليه لاصابة السنَّة[٣].

وروى الحسن بن المنذر، عن حمزة بن أبي الفتح أنَّه قال: جاءني يوماً فقال لي: البشارة، ولد البارحة في الدار مولود لأبي محمَّد (عليه السلام)، وأمر بكتمانه[٤].

وقال أبو الفضل الحسين بن الحسن العلوي دخلت على أبي محمَّد (عليه السلام) بسر من رآى فهنّأته بسيّدنا صاحب الزمان (عليه السلام) لما ولد[٥].

وروى عبدالله بن جعفر الحميري قال: حدَّثني محمَّد بن إبراهيم الكوفي أنَّ أبا محمَّد (عليه السلام) بعث الى بعض من سمّاه لي بشاة مذبوحة،

---

(١) كمال الدين ٢ : ٣٨٤/١ .
(٢) كمال الدين ٢ : ٤٣١/٦ .
(٣) كمال الدين ٢ : ٤٣٤/١ .
(٤) كمال الدين ٢ : ٤٣٢/١١ .
(٥) كمال الدين ٢ : ٤٣٤/١ .

وقال: هذه من عقيقة ابني محمَّد[١].

وعن عمرو الاهوازي قال: أراني أبو محمَّد (عليه السلام) ابنه وقال: هذا صاحبكم من بعدي[٢].

وعن معاوية بن الحكم، ومحمَّد بن أيوب بن نوح، ومحمَّد بن عثمان العمري قالوا: عرض علينا أبو محمَّد الحسن بن علي (عليهما السلام) ولده ونحن في منزله، وكنّا أربعين رجلاً، فقال: هذا امامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرَّقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما انَّكم لا ترونه بعد يومكم هذا.

قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت أيام قلائل حتى مضى أبو محمَّد (عليه السلام)[٣].

وروى مثل هذه الرواية الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى في الغيبة عن جماعة من الشيعة منهم: علي بن بلال، وأحمد بن هلال، ومحمَّد ابن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح، - في خبر طويل - قالوا جميعاً: اجتمعنا الى أبي محمَّد الحسن بن علي (عليهما السلام) نسأله عن الحجة من بعده، وفي مجلسه (عليه السلام) اربعون رجلاً، فقام اليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا ابن رسول الله أريد أن أسالك عن أمر أنت أعلم به مني.

فقال له: اجلس يا عثمان.

فقام عثمان مغضباً ليخرج، فقال (عليه السلام): لا يخرجن أحد.

---

(١) كمال الدين ٢ : ١٠/٤٣٢.

(٢) الكافي ١ : ٣/٢٦٤، غيبة الطوسي : ٢٠٣/٢٣٤، ارشاد المفيد ٢ : ٣٤٨.

(٣) كمال الدين ٢ : ٢/٤٣٥.

فلم يخرج منّا أحد، الى ان كان بعد ساعة، فصاح (عليه السلام) بعثمان، فقام على قدميه: فقال: أُخبركم بما جئتم به؟

قالوا: نعم يا ابن رسول الله.

قال: جئتم تسألوني عن الحجة من بعدي؟

قالوا: نعم.

فإذا غلام كأنه قمر أشبه الناس بأبي محمد (عليه السلام).

فقال (عليه السلام): هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، اطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وانّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا الى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة امامكم، والأمر إليه. في حديث طويل[1].

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٥٧/ ٣١٩.

توقف لابدّ منه

لعله من المثير للاستغراب أن يجد المرء من يعرض بجانبه وباصرار عجيب لا يبتني على فهم عقائدي سليم عن الآثار الاعجازية التي يمنُّ الله تعالى بها على من يشاء من عباده وأوليائه الصالحين المخلصين، متناسياً بأنّ القرآن الكريم قد حدَّثنا عن الكثير من الوقائع الشهيرة المتصلة بحياة وعمل هذه الثلة الصالحة التي بلغ بها ايمانها وتقواها أعلى درجات الرقي الروحي والعرفاني، حتى أمست روحها تحلّق بعيداً في سماء النور الالهي المبارك الذي يفيضه جلّ شأنه على هؤلاء الساعين حثيثاً في طريق المعرفة، ناهيك بمن يخوض في غمارها، ويغترف في عطائها، وذلك مَنٌّ من الله تعالى وفضلٌ لا يدانيه فضل.

نعم، فاذا كان الانسان العادي يصل به تقواه الى حالة من العرفان والمعرفة تؤهله لتسنم مرتبة المتقين العابدين الصالحين الذين يتحاشون ان ينالوا مخلوق ـ من نملة فما فوقها ـ بأذى وضرر، فان تقواه هذه تحجبه عن فعل أي أمر فيه معصية للخالق جل اسمه، وهي حالة روحية سامية لا يمكن أن ينالها الانسان الا بالجد والاجتهاد، وترويض النفس وتهذيبها، وعندها يرتفع الى مصاف الملائكة الذين لا يقارفون المعاصي أبداً ولا يجترجون السيئات، وذلك ممّا يؤهله لنيل جملة من الكرامات التشريفية التي يمن الله تعالى بها على من يشاء من عباده، وقليل ما هم.

ولا ريب في ان هذا التكريم الرباني، وهذا التشريف الالهي في حالة تناسب طردي مع الارتقاء الروحي والعرفاني للانسان، ناهيك عن

من هم حملة الرسالة السماوية ، وأمناء الله تعالى فى أرضه ، والمكلّفين بقيادة الامة وهدايتها بعد الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) .

نعم ، انّ هؤلاء هم أولى من غيرهم بهذا التكريم الالهي والمن السماوي مع ما يمنحه لهم من حجية قاطعة في دعواهم الى الله تبارك وتعالى .

ومن هنا فلا غرابة أن نطالع جملة متعددة من تلك المواهب الربانية المرهونة بالارادة الالهية تصدر عن هؤلاء الصالحين الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

ثم ان هذا الامر بما فيه من أبعاد مباركة مقدسة لم يخل في الطرف الآخر منه من الوضع والدس والكذب ، سواء من الغلاة قبّحهم الله تعالى ، أو من الناصبين الذين ابتغوا الاساءة والتوهين من خلال الطرح غير السليم وغير الواقعي ، أو من السذّج الذي يتصوّرون بأنّ نسبة الاعجاز بأيّ شكل كان الى المعصوم ، حتى مع القطع بعدم وقوعها ، أمر لا مؤاخذة عليه ، بل هو من الامور المستحسنة المرادة ، فوقعوا في الوهم والمغالطة وحمّلوا الحقيقة المشرقة بما لا ينبغي ، فتساووا مع الغالين من حيث لم يحتسبوا .

نعم ،انّ الله تبارك وتعالى إذ يمنُّ على من يشاء من عباده من الآثار الاعجازية الخارقة فإنّ ذلك بتقدير منه جلّ شأنه ، ولغرض مدبّر ومقدّر ، ولمشيئة ربانية حكيمة ، فقد منح إبراهيم وعيسى وموسى (عليهم السلام) ، وكذا غيرهم من العباد المخلصين الكثير من هذا العطاءات المباركة المقدرة ، والتي أشار اليها صراحة كتاب الله عزّ وجلّ ، وتحدث عن اشكالها ، وقرنها بإذن الله تعالى وبأمره ، وذلك ما ليس بخاف على أحد .

بل واتفق جميع المسلمين على حصول المعجز وحدوثه عن رسول

الله (صلى الله عليه وآله) ، وتفاصيلها في كتب التاريخ والسيرة عند الفريقين .

ولا يتوقف الامر عند حدود النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) ، بل يتجاوزه الى جملة من الاولياء والصالحين ، فكيف بمن جعلهم الله تعالى امناء الوحي ، وحملة الرسالة ، وورثة رسوله (صلى الله عليه وآله) ، ومن بهم يسترشد الى سبيل الرشاد ، ويتوصلى الى طريق النجاة .

نعم كيف باوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) المعصومين ، وحججه على العالمين . . . انَّ الامر لابدَّ ان يكون أوضح وأكثر تقبُّلاً ووقوعاً ، وذلك عين الواقع ، وحقيقة الحال .

انّا لا نريد هنا ان نخوض غمار هذا المبحث الواسع الاكناف والبعيد الغور ، قدر ما ابتغينا منه الاشارة الى هذه الحقيقة التي يجب ان لا تخفى على باحث ، ولا يقوده الفهم الاولي على موقف غير مبتني على أساس عقائدي سليم .

والحق يقال انَّ لامامنا المهدي (عليه السلام) ، وهو ـ وكما ذكرنا آنفاً ـ خلاصة الانبياء ، وغايتهم ، ما لا يخفى من هذه الآثار العظيمة التي تزدان بها الكثير من الكتب والمصادر الروائية المختلفة ، والتي نحيل اليها القارئ الكريم للتزود من بركاتها ومعطياتها الكريمة ، وسنحاول هنا ايراد بعض الاشارات منها تبرُّكاً وتيمناً .

فمن ذلك ما رواه الطوسي رحمه الله تعالى في غيبته من ان الإمام المهدي (عليه السلام) لما خرج من بطن أمّه سقط جاثياً على ركبتيه ، رافعاً سبابته نحو السماء ، ثم عطس فقال : الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمَّد وآله ، عبداً داخراً ، غير مستنكف ولا مستكبر .

ثم قال (عليه السلام) : زعمت الظلمة أنَّ حجة الله تعالى داحضة ، ولو أُذن

لنا في الكلام لزال الشك[1].

وروى أيضاً عن محمَّد بن إبراهيم بن مهزيار قال: شككت عند مضي أبي محمَّد (عليه السلام)، وكان اجتمع عند أبي مال جليل فحمله وركب السفينة، وخرجت معه مشيِّعاً له، فوعك وعكاً شديداً، فقال: يا بني ردّني ردّني فهو الموت، واتق الله تعالى في هذا المال. وأوصىٰ اليّ ومات.

فقلت في نفسي: لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح، أحمل هذا المال الى العراق وأكتري داراً على الشط، ولا أخبر أحداً، فإن وضح لي شيء كوضوحه أيام أبي محمَّد (عليه السلام) أنفذته، وإلا تصدقت به.

فقدمت العراق، واكتريت داراً على الشط، وبقيت أياماً، فإذا أنا برسول معه رقْعة فيها: يا محمَّد، معك كذا وكذا في جوف كذا. حتى قص علي جميع ما معي مما لم احط به علماً.

فسلَّمت المال الى الرسول، وبقيت أياماً لا يُرفع لي رأس، فاغتممت، فخرج الي: قد أقمناك مقام أبيك، فاحمد الله تعالى[2].

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى في اكمال الدين عن نسيم خادم أبي محمَّد (عليه السلام) أنَّها قالت: قال لي صاحب الزمان ـ وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة، فعطست عنده ـ: يرحمك الله.

قالت نسيم: ففرحت بذلك فقال لي (عليه السلام): ألا أبشِّرك في العطاس؟

---

(١) غيبة الطوسي: ٢١١/٢٤٥، وكذا في كمال الدين ٢: ٥/٤٣٠، كشف الغمة ٢: ٤٨٩، الهداية الكبرىٰ: ٧١.

(٢) غيبة الطوسي: ٢٣٩/٢٨١، وكذا في الكافي ١: ٥/٤٣٤، إعلام الورى: ٤١٧.

فقلت: بلى يا مولاي.

فقال (عليه السلام): هو أمان من الموت ثلاثة أيام[١].

وروى الشيخ المفيد رحمه الله تعالى في ارشاده عن محمَّد بن يوسف الشاشي أنَّه قال: خرج بي ناسور فأريته الاطباء، وأنفقت عليه مالاً عظيماً، فلم يصنع الدواء فيه شيئاً، فكتبت رقعة أسأل الدعاء، فوقع الي (عليه السلام): ألبسك الله العافية، وجعلك معنا في الدنيا والآخرة.

يقول: فما أتت علي جمعة حتى عوفيت وصار الموضع مثل راحتي، فدعوت طبيباً من أصحابنا وأريته اياه فقال: ما عرفنا لهذا دواء، وما جاءتك العافية الا من قبل الله تعالى بغير احتساب[٢].

وروى عن أبي عبدالله بن صالح أنَّه قال: خرجت سنة من السنين الى بغداد، واستأذنت في الخروج فلم يؤذن لي، فأقمت اثنين وعشرين يوماً بعد خروج القافلة الى النهروان، ثم أُذن لي بالخروج يوم الاربعاء، وقيل لي: اخرج فيه.

فخرجت وأنا آيس من القافلة أن ألحقها، فوافيت النهروان والقافلة مقيمة، فما كان الا ان علفت جملي حتى رحلت القافلة فرحلت، وقد دعي لي بالسلامة فلم ألقِ سوءً والحمد لله[٣].

وروى أيضاً عن علي بن محمَّد أنَّه قال: أوصل رجل من أهل السواد مالاً، فرُدَّ عليه وقيل له: أخرج حق ولد عمك منه، وهو اربعمائة

---

(١) كمال الدين ٤٣٠ / ٥، وكذا في غيبة الطوسي: ٢٣٢ / ٢٠٠، إعلام الورىٰ: ٣٩٥، كشف الغمة ٢ : ٥٠٠، الهداية الكبرىٰ: ٨٦، اثبات الوصية: ٢٢١.

(٢) ارشاد المفيد ٢ : ٣٥٧، وكذا في الكافي ١ : ٤٣٦ / ١١.

(٣) ارشاد المفيد ٢ : ٣٥٧، وكذا في الكافي ١ : ٤٣٥ / ١٠.

درهم .

وكان الرجل في يده ضيعة لولد عمه ، فيها شركة قد حبسها عنهم ، فنظر فإذا الذي لولد عمه من ذلك المال أربعمائة درهم ، فأخرجها وانفذ الباقي فقبل[١] .

وقد أورد هؤلاء الأعلام الكبار رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة في كتبهم المذكورة هذه جملة واسعة من هذا الاخبار والروايات نحيل القارئ الكريم الى مطالعتها والتزوُّد منها ، وكذا في غيرها من الكتب الروائية الاخرى ، وان كنّا ستعرَّض في فصول كتابنا اللاحقة الى جملة أخرى منها يقتضيها المقام ، بإذن الله تعالى .

(١) ارشاد المفيد ٢ : ٣٥٣ ، وكذا في الكافي ١ : ٤٣٥ / ٨ ، إعلام الورىٰ : ٤١٨ .

عود على بدء

لم يعد ثمة شك بأنَّ الحكّام العبّاسيين كانوا أشدَّ الناسِ توجساً من أن يولد للإمام العسكري ولد تُناط به الإمامة بعد أبيه ، لعلمهم القاطع بما يعنيه ذلك من ظهور الإمام الموعود الذي سيهدم بمعوله السماوي أركان الأنظمة الفاسدة والظالمة ، ويحيل أحلامهم المريضة ـ باستعباد الناس ووأد تطلُّعاتهم وأمانيهم بالعيش الكريم ـ الى سراب لا يلبث ان يزول ويتهاوى ، ولذا فقد انبثق في مخيلتهم الفاسدة المبادرة الى استباق الحدث قبل وقوعه ، فأطبقوا بزبانيتهم على بيت الإمام (عليه السلام) ، وبثوا عيونهم واتباعهم تُحصي عليه الانفاس ، وتضيِّق عليه الخناق ، بشكل فاضح مستهجن ، وذلك ـ بلا أدنى شك ـ تحسُّب طبيعي بالنسبة لأخلاقية النظام وسلوكيته ، وهذا ما لم يفت عن ذهن الإمام (عليه السلام) وخلّص شيعته ، فأحبطوا بتوفيق من الله تعالى ورعايته تدبيراتهم ومخططاتهم ، وأوقعوهم بالمضيق من حيث لم يحتسبوا .

فالعناية الالهية التي دبَّرت أن يكون حمل أُم الإمام خفياً وغير واضح للعيان ـ وبشكل خفى حتى عن النساء المحيطات بامِّه ، حتى أنهنَّ فوجئن بها حين الولادة ، كما تذكر ذلك الروايات بوضوح وجلاء ـ كان له الاثر الأكبر في خفاء هذا الامر كما هو معلوم .

ثم توافق ذلك مع الحرص الشديد من الإمام العسكري على إخفاء أمر الولادة الا عن خلَّص شيعته كما تقدّم منّا ذلك في الفصول السالفة ، وحيث لم يعد بمستطاع أحد من غير هؤلاء المعدودين القول بولادة الإمام الثاني عشر (عليه السلام) ، فتاهت أحلام رجال السلطة ردحاً من الزمان ، ولم يقر لهم أي قرار .

نعم، هكذا خفي أمر ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) عن السلطة وأزلامها، وتخبطت بهم أفكارهم، وحملتهم سفينة أحلامهم بعيداً عن أرض الواقع، وعن ما ينتظر الاذن باعمال معاوله في هدم قصورهم الخاوية الاساس، والقائمة على أشلاء الضحايا والمساكين من مستضعفي العالم والمغلوبين على أمرهم.

بلى، لقد تم ـ باذن الله تعالى ـ حفظ الامام (عليه السلام) ورعايته في كنف أبيه تمهيداً لحقبة جديدة في حياته بعد وفاة أبيه(عليه السلام).

* * * * *

وفاة الإمام العسكري

لم يطل العمر بأبي محمَّد العسكري (عليه السلام)، حيث ادركه الاجل في الثامن من شهر ربيع الاول عام ستين ومائتين هجرية، في ملك المعتمد العبّاسي، أثر مرض ألمَّ به طوال ثمانية أيام، ذهبت جملة من الروايات انه كان أثر سم دُس اليه في الطعام بأمر من الحاكم العبّاسي، حيث تعضدها شواهد متعددة منها حرص هذا الحاكم على ارسال من يلزم دار الإمام (عليه السلام) طوال أيام مرضه، سواء من خاصّته أو من الاطباء المختصّين به.

بل واصراره على نفي موت الإمام بغير حتف أنفه، واشهاده العلويين والعبّاسيين وكبار رجال الدولة على ذلك، وكأنه يريد ان ينفي أمراً ما، فأثار حفيظة الناس، وكان ـ على هذا التصور ـ مصداق القول المشهور: يكاد المريب يقول خذوني، والله تعالى هو العالم بحقيقة الحال.

وعموماً فقد توفّي الإمام (عليه السلام)، وحاز أخاه جعفر ظاهر تركته، وجهد في التصدّي لإمامة الشيعة بعده ما قدر على ذلك، ولكنّه فشل في ذلك وأسقط ما في يده، ورفضته الشيعة رفضاً قاطعاً لما تعرفه من سلوكه ومخالفته لأخيه الإمام (عليه السلام)، وذلك مشهور معروف.

واستعراضاً لصورة الحال لابد لنا من أن نعرّج الى الروايات المتعرّضة لها والمبثوثة في الكتب المتفرّقة.

بلى، ولنتأمّل بما رواه الشيخ الكليني في الكافي، والشيخ الصدوق

في كمال الدين، والشيخ المفيد في ارشاده عن أحمد بن عبيدالله بن خاقان، لما في هذه الرواية من التفصيل المشتمل علىٰ معظم الموارد التي أشرنا اليها.

تذكر الرواية، وبلفظ للاخير:

أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمَّد، عن محمَّد بن يعقوب، عن الحسين بن محمَّد الاشعري ومحمَّد بن يحيى وغيرهما، قالوا: كان أحمد ابن عبيدالله بن خاقان علىٰ الضياع والخراج بقم، فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم، وكان [أي أحمد] شديد النصب والانحراف عن أهل البيت (عليهم السلام)، فقال: ما رأيت ولا عرفت بسرمن رأى من العلويّة مثل الحسن بن علي بن محمَّد بن الرضا في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إيّاه علىٰ ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء وعامّة الناس.

فأذكر أنّني كنت يوماً قائماً علىٰ رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس، اذ دخل حجّابه فقالوا: أبو محمَّد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له.

فتعجّبت ممّا سمعت منهم، ومن جسارتهم أن يكنُّوا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يُكنّى عنده إلّا خليفة أو ولي عهد، أو مَنْ أمر السلطان أن يُكنّى.

فدخل رجل أسمر حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حديث السن، له جلالة وهيئة حسنة، فلمّا نظر اليه أبي قام فمشى اليه خطى ـ ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقوّاد ـ فلمّا دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه علىٰ مصلاه الذي كان عليه، وجلس

الى جانبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلّمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجّب ممّا أرى، إذ دخل الحاجب فقال: الموفّق[١] قد جاء.

وكان الموفّق اذا دخل على أبي يَقدِمه حجّابه وخاصّة قوّاده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين الى أن يدخل ويخرج.

فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمّد يحدِّثه حتى نظر الى غلمان الخاصّة فقال حينئذ له: اذا شئت جعلنى الله فداك، ثم قال لحجّابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا ـ يعني الموفّق ـ فقام وقام أبي فعانقه ومضى.

فقلت لحجّاب أبي وغلمانه: ويلكم مَنْ هذا الذي كنّيتموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟

فقالوا: هذا علوي يُقال له الحسن بن علي، يُعرف بابن الرضا.

فازددت تعجّباً، ولم أزل يومي ذلك قلقاً مفكِّراً في أمره وأمر أبي، وما رأيته منه حتى كان الليل، وكانت عادته أن يُصلّي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج اليه من المؤامرات، وما يرفعه الى السلطان.

وأضاف: فلما صلّى وجلس جئت فجلست بين يديه، وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد، ألك حاجة؟

فقلت: يا أبة، من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال والاكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بني ذلك امام الرافضة الحسن بن علي، المعروف بابن الرضا.

---

(١) يريد به أحمد بن المتوكل العباسي الذي تولى ثلاثة من اخوته الحكم، وهم: المعتز، والمهدي، والمعتمد.

ثم سكت ساعة وأنا ساكت، ثم قال: يا بني، لو زالت الإمامة عن خلفائنا بني العبّاس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره، لفضله وعفافه، وهديه وصيانته، وزهده وعبادته، وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً، نبيلاً، فاضلاً.

فازددت قلقاً وتفكُّراً وغيضاً على أبي وما سمعت منه فيه، ورأيت من فعله به، فلم يكن لي همّة بعد ذلك إلّا السؤال عن خبره، والبحث عن أمره.

وأضاف أحمد قائلا: فما سألت أحداً من بني هاشم، والقوّاد، والكتّاب والقضاة، والفقهاء، وسائر الناس إلّا وجدته عنده في غاية الاجلال والاعظام، والمحل الرفيع والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي، اذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلّا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.

فقال له بعض من حضر مجلسه من الاشعريين: فما خبر أخيه جعفر، وكيف كان منه في المحل؟

فقال: ومَنْ جعفر فيُسأل عن خبره أو يقرن به... ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجَّبت منه، وما ظننت أنَّه يكون، وذلك أنَّه لمّا اعتل [أي الإمام العسكري (عليه السلام)] بعث الى أبي: أنَّ ابن الرضا قد اعتل. فركب من ساعته الى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصَّته، فيهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن، وتعرُّف خبره وحاله، وبعث الى نفر من المتطبّبين فأمرهم بالاختلاف اليه وتعهده صباح مساء.

فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنَّه قد ضعف، فأمر

المتطبّبين بلزوم داره، وبعث الى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أنْ يختار عشرة ممَّن يوثق به في دينه وورعه وأمانته، فأحضرهم فبعث بهم الى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً.

فلم يزالوا هناك حتى توفّي (عليه السلام)، فلمّا ذاع خبر وفاته صارت سرمن رأى ضجة واحدة، وعطِّلت الاسواق، وركب بنو هاشم والقوّاد وسائر الناس الى جنازته، فكانت سرمن رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة...

فلمّا وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه، فعرضه علىٰ بني هاشم من العلوية والعبّاسية، والقوّاد والكتّاب، والقضاة والمعدّلين، وقال: هذا الحسن بن علي بن محمَّد بن الرضا مات حتف أنفه في فراشه، وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان وفلان، ومن القضاة فلان وفلان، ومن المتطبّبين فلان وفلان...

ولما دفن جاء جعفر بن علي أخوه الى أبي فقال: اجعل لي مرتبة أخي وأنا أوصل اليك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأسمعه ما كره، وقال له: يا أحمق، السلطان جرّد سيفه في الذين زعموا أنَّ أباك وأخاك أئمة، لردّهم عن ذلك فلم يتهيأ له ذلك، فإنْ كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك الى السلطان ليُرتِّبك مراتبهم ولا غير السلطان، وان لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا.

فاستقلَّه أبي عند ذلك واستضعفه، وأمر أنْ يُحجب عنه، فلم يأذن له في الدخول عليه حتى مات أبي، وخرجنا وهو علىٰ تلك الحال، والسلطان يطلب أثراً لولد الحسن بن علي الى اليوم وهو لا يجد الى ذلك سبيلاً، وشيعته مقيمون علىٰ أنَّه مات وخلَّف ولداً يقوم مقامه في

الإمامة[١].

وروى رحمه الله تعالى أيضاً في موضع آخر: مرض أبو محمَّد الحسن (عليه السلام) في أوّل شهر ربيع الأوّل سنة ستين ومائتين، ومات يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلون من هذا الشهر، ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى.

وخلَّف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدة طلب سلطان الزمان له، واجتهاده في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له.

وتولّى جعفر بن علي أخو أبي محمَّد (عليه السلام) أخذ تركته، وسعى في حبس جواري أبي محمد (عليه السلام)، واعتقال حلائله، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم، وجرى على مخلَّفي أبي محمَّد (عليه السلام) بسبب ذلك كل عظيمة، من اعتقال، وحبس، وتهديد، وتصغير، واستخفاف، وذل، ولم يظفر السلطان منهم بطائل.

وحاز جعفر ظاهر تركة أبي محمَّد (عليه السلام)، واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه فلم يقبل أحد منهم ذلك، ولا اعتقده فيه، فصار الى سلطان الوقت يلتمس مرتبة أخيه، وبذل مالاً جليلاً، وتقرَّب بكلّ ما ظن أنّه يتقرَّب به، فلم ينتفع بشيء من ذلك[٢].

أقول: إنَّ التأمُّل في مفردات هذه الروايات يظهر بوضوح عظم المحنة التي اجتاحت الشيعة وعلى رأسهم الإمام المهدي (عليه السلام) بعد وفاة أبيه الحسن العسكري (عليه السلام)، وهذه المحنة تتشعَّب الى جهات مختلفة

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ٣٢١، الكافي ١: ١/٤٢١، كمال الدين ١: ٤٠.

(٢) ارشاد المفيد ٢: ٣٣٦.

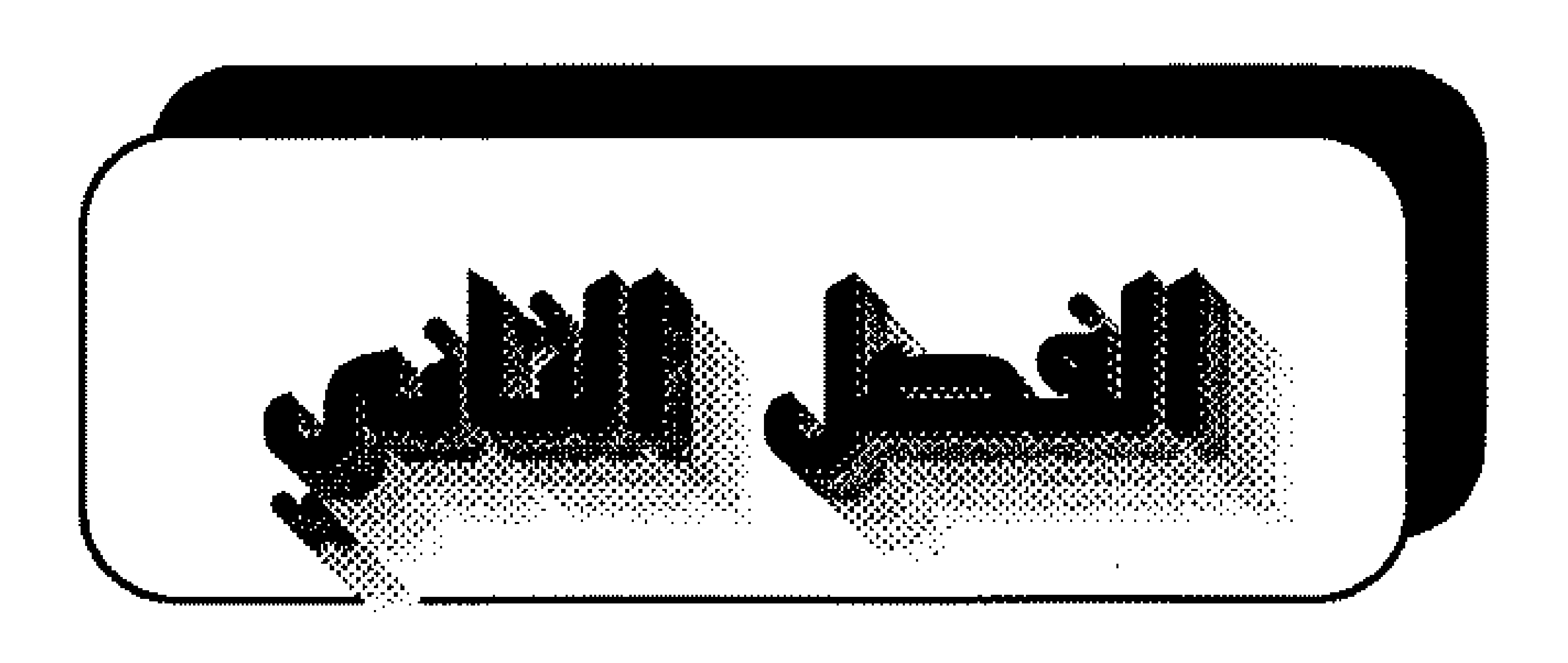
تنصب بالتالي على رجال الشيعة كالمطارق الحديدية التي تهتز لهول ضرباتها الجبال، فلا غرو أن تجتاح الفتنة من لا يمتلك عقيدة سليمة نقية من الشوائب والادران ، فينساب كالاعمى خلف التيارات الفكرية المنحرفة التي تحاول جاهدة أن تجد له موطئ قدم في أرض العقيدة الاسلامية المباركة .

نعم ، لقد كانت هناك السلطة الجائرة التي تضيّق الخناق على الفكر الشيعي النقي ، وتعمل جاهدة على تصفية قواعده بعد وفاة قائدها الإمام العسكري ، وهي جادة في البحث من ولده الإمام المهدي (عليه السلام) متوسّلة بما تمتلكه من الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

وفي الطرف الآخر تجد جعفراً يعمل على مدّ الحاكم بالعون في هتك بيت الإمامة ، وضرب ركائزه ، والتنكيل بشيعته ، والتشكيك بعقائدهم ما اوتي من قدرة ومن جهد .

ولا يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل تجد جملة التيارات الفكرية المختلفة المطروحة في الساحة الاسلامية العقائدية في سعي دؤوب لامتلاك ناصية التصدي للشارع الإسلامي باطروحاتها الخاصة بها ، والتي يُخالف الكثير منها العقيدة الإسلامية في أبسط قواعدها ومناهجها .

بلى ، لقد بلغ التأزُّم المادي والفكري يشدّد من خناقه على رجال الشيعة منذ اللحظات الاولى لوفاة الإمام العسكري (عليه السلام) ، فكان لابدَّ من أنّ تمتد اليد المباركة للإمام المهدي (عليه السلام) لرأب هذا الصدع الخطير الذي بدأ واضحاً للعيان ، ويهدد بخطر جدي لا تُحمد عقباه ، فكانت الاتصالات المتكررة من قبله (عليه السلام) بشيعته بواسطة سفراءهووكلائه أو من ينوب عنه ، فتحقّق لهم الاستقرار النفسي ووطّنوا أنفسهم على حقيقة الانتظار حتى يأذن الله جلّ اسمه بظهوره وقيام حكومته العادلة المرتقبة في آخر الزمان .



الغيبة الصغرىٰ وصلته (عليه السلام) بالشيعة فيها

ليس هناك خلاف بأنّ إمامة كلّ إمام تشرع حين وفاة الإمام الذي سبقه، وهي سنة ثابتة وحقيقة عقائدية لا خلاف فيها.

ومن هنا فإنّ تولّي الإمام المهدي (عليه السلام) لمنصب الإمامة الالهي الكبير كان بلا شك بعد وفاة أبيه الحسن العسكري (عليه السلام)، وبالتحديد في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول عام ٢٦٠ هـ كما هو معروف ومشهور.

بيّد أنّ هذا التولي قد رافقه وصاحبه الحدث الأول في عملية الغيبة المشهورة، والموسوم بالغيبة الصغرى، والتي حقّق أوّل مضامينها الفعلية الإمام العسكري (عليه السلام) عند مقابلته لوفد القمّيين في ذلك اليوم، وحيث أوعز بنصبْ الوكيل أو السفير الأول للإمام المهدي (عليه السلام) بينه وبين شيعته، وهو عثمان بن سعيد العمري، والذي تقدّم منّا آنفاً في الفصل الأوّل، فراجع.

ولا غرو في ذلك، فإنّ الفهم المنطقي لطبيعة الاحداث المحيطة بالإمام المهدي (عليه السلام)، والتي تحدّثنا عن بعض خصائصها كانت تستدعي بالإمام الاختفاء والتستُّر عن أعين السلطة الجادّة في البحث عنه لتصفيته والقضاء عليه، وإن كان البعض يرجع هذا الاختفاء لاسباب أخرى تشير اليها الروايات المنقولة والمبثوثة في كتب الحديث والرواية، كأن لا تقع للإمام بيعة لأحد من حكّام الزمان[1]، أو لغرض يجهل سببه ولا تُعرف

---

(١) أشارت الى هذا الامر جملة واسعة من الروايات المختلفة المذكورة في كتب الحديث المختلفة، فمن ذلك ما روي عن الامام علي(عليه السلام) من قوله: إن القائم منا اذا قام لم يكن لاحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه.

=

حكمته إلّا عند خروجه (عليه السلام)، وغير ذلك من التأويلات والتفسيرات، إلّا انَّ المرجَّح عند الكثيرين من علمائنا ومحقّقينا كون الغيبة لم تحصل إلّا دفعاً لخطر القتل بأيدي ازلام السلطة وزبانيتها[1]، وهذا ما تعضده الكثير

= وروي عن الامام الحسن (عليه السلام) قوله مخاطباً من لامه على مصالحته لمعاوية بن أبي سفيان: ويحكم ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت، الا تعلمون أنني امامكم مفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب الجنة بنص رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ الى أن قال ـ أما علمتم أنّه ما منّا أحد الا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلّا القائم الذي يصلي روح الله عيسى ابن مريم خلفه، فانَّ الله عز وجل يخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا خرج.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): لا يقوم القائم ولاحد في عنقه بيعة.

وقال الامام الصادق (عليه السلام): يقوم القائم وليس لاحد في عنقه عقد، ولا عهد، ولا بيعة.

وقال الامام الرضا (عليه السلام) كأنّي بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه.

فخاطبه أحد أصحابه: ولِمَ ذلك يا ابن رسول الله؟

فقال (عليه السلام): لان امامهم يغيب عنهم

فقال: [illegible]

فقال (عليه السلام): لئلا يكون في عنقه لاحد بيعة اذا قام بالسيف.

وغير ذلك من الروايات المختلفة التي لا يعسر على باحث اقتناصها وتصيدها من متون كتب الحديث المشهورة.

(١) قال الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى في الغيبة (٣٢): لا علّة تمنع من ظهوره (عليه السلام) إلّا خوفه على نفسه من القتل، لأنّه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمَّل المشاق والاذى، فانَّ منازل الائمة وكذلك الانبياء (عليهم السلام) انّما تعظم لتحمُّلهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى.

فان قيل: هلا منع الله تعالى من قتله بما يحول بينه وبين من يريد قتله؟
قلنا: المنع الذي لا ينافي التكليف هو النهي عن خلافه والامر بوجوب اتباعه ونصرته
=

من الروايات والاخبار المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام)[1]، وهو

= والتزام الانقياد له ، وكل ذلك فعله تعالى ، وأمّا الحيلولة بينهم وبينه فانَّه ينافي التكليف ، وينقض الغرض به ، لانَّ الغرض بالتكليف استحقاق الثواب ، والحيلولة تنافي ذلك ، وربما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق ، فلا يحسن من الله تعالى فعلها .

ثم قال رحمه الله: فان قيل: آباؤه (عليهم السلام) كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل اليهم أحد ؟

قلنا : آباؤه (عليهم السلام) حالهم بخلاف حاله ، لأنّه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنّهم لا يرون الخروج عليهم ، ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول ، بل كان المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهدياً لهم ، وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد امامتهم اذا أمنوهم على مملكتهم ، ولم يخافوا جانبهم .

وليس كذلك صاحب الزمان (عليه السلام) لانَّ المعلوم منه أنّه يقوم بالسيف ، ويزيل الممالك ، ويقهر كل سلطان ، ويبسط العدل ، ويميت الجور . فمَنْ هذه صفته تخاف جنبته ، وتتقى فورته ، فيتتبّع ويرصد ، وتوضع العيون عليه ، ويعنى به خوفاً من وثبته ، ورهبة من تمكُّنه .

فيخاف حينئذ ، ويحوج الى التحرُّز والاستظهار بانْ يُخفي شخصه عن كل من لا يأمنه ، من ولي وعدو الى وقت خروجه .

وأيضا فآباؤه (عليهم السلام) انّما ظهروا لأنّه كان المعلوم أنّه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ، ويسد مسده من أولادهم ، وليس كذلك صاحب الزمان (عليه السلام) لانَّ المعلوم أنّه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف ، فلذلك وجب استتاره وغيبته ، وفارق حال آبائه (عليهم السلام) وهذا واضح بحمد الله تعالى :

(١) نعم ، نقلت العديد من مصادر الحديث والرواية الكثير من هذه الروايات المشيرة الى حقيقة ما ذكرناه ، ومن تلك الروايات :

ماروأه زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال : إنَّ للقائم غيبة قبل ظهوره .

فقال له زرارة : ولِمَ ؟

فقال (عليه السلام) : يخاف . وأومأ بيده الى بطنه .

التسلسل المنطقي للاحداث التي رافقت حمل أمِّه به وولادته ونشأته الاولى في رعاية أبيه (عليه السلام).

وعموماً فقد حصلت الغيبة الاولى أو الصغرى عام ٢٦٠ هـ وامتدت الى سنة ٣٢٩ هـ حدود السبعين عاماً لم يعد فيها بميسور أحد من الناس الالتقاء به أو الاتصال به إلّا بواسطة سفرائه أو وكلائه الاربعة[١] رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة، والذين كانوا يعدُّون من أعاظم صلحاء زمانهم لتكلُّفهم بهذا المنصب العظيم الذي يشكِّل حلقة الوصل الوحيدة بين الإمام (عليه السلام) والامّة، والذي تسترشد من خلاله سبيلها وطريق رشدها الى الرضا الالهي من خلال وجود إمام معصوم يمثِّل الامتداد النهائي لخط النبوة والإمامة منذ خَلْقِ الارض وحتى يرثها الله تعالى ومن وما عليها.

= قال زرارة: يعني القتل

(انظر: كمال الدين ٢: ٤٨١ / ٩، غيبة الطوسي: ٣٣٢ / ٢٧٤، غيبة النعماني: ١٧٧ / ٢١)

وروى أيضاً عن أبي عبدالله (عليه السلام) قوله: للقائم غيبة قبل قيامه.

قلت: ولِمَ؟

قال: يخاف على نفسه الذبح.

(انظر: كمال الدين ٢: ٤٨١ / ١٠)

وروي عن الباقر (عليه السلام) قوله: إنَّ في صاحب هذا الامر سنَّة من موسى (عليه السلام). ولما سئل عن ذلك قال (عليه السلام): دوام خوفه، وغيبته مع الولاة الى أنْ يأذن الله تعالى بنصره.

(انظر: كمال الدين ١: ٣٢٧ / ٧، غيبة الطوسي: ٣٣٢ / ٢٧٥).

(١) سنتعرَّض لاحقاً ـ باذن الله تعالى ـ الى مناقشة دور وكلاء الامام (عليه السلام) من غير هؤلاء الاربعة في مبحث: بين السفارة والوكالة، وتشخيص دور كل منهما.

السفراء الأربعة

لقد اتّسمت الغيبة الاولى للإمام المهدي (عليه السلام) بوجود حلقة الاتّصال المحدّدة المشخَّصة بينه وبين الامّة، والتي عُرفت بالسفراء أو النوّاب، والذين تحددوا خلال هذه الحقبة ـ التي أنتهت بالغيبة الكبرىٰ ـ بأربعة فقط[1] تولُّوا مسؤولية خطيرة شهدت تطوُّرات كثيرة أثَّرت في بنائها الاحداث الجسام التي ألمّت بالامّة الإسلامية في عصر شهد ضعف وتراخي الدولة العباسية، واشتداد إحكام الموالي والاتراك من قبضتهم علىٰ السلطة، وفرض ارادتهم في تنحية وتنصيب الحكّام، وما يرافق ذلك من اضرار في حياة الناس وتأثُّرهم المباشر بنتائج هذه الاحداث[2].

---

(١) تقدَّم منّا الحديث عن ذلك، فراجع.

(٢) لعلَّ في التأمُّل البسيط لمفردات حياة بعض الحكّام العبّاسيين ابان تلك الحقبة الحساسة في حياة الامّة تتوضح الصورة المأساوية التي كانت تعاني منها الجموع المفجوعة بهذه العصابة الفاسدة التي لا تجد لهواها دون مجالس الفجور والمجون ملاذاً، ولا دون السمر مع الغواني والمخنَّثين مقراً ومقاماً.

نعم، والاغرب من ذلك كله أن تجد في المؤرِّخين من يعد هذه الموبقات المخزية لهؤلاء مآثراً وأمجاداً يُستدل بها على كرمهم وسخائهم ورفعة أخلاقهم!!، وهم الذين أنفقوا بيت مال المسلمين على المتملِّقين لهم، والمتمرِّغين على أعتاب شهواتهم ونزواتهم الحيوانية.

فكم يستثير المرء ما يقرأه عن تلك المجالس التي يتنزه عن ارتيادها من يمتلك ولو قدراً ضئيلاً من العزة والكرامة، ناهيك عن من يخاف الحساب يوم الجزاء. فما أكثر الافعال التي يندى لها الجبين، وتهتز لهولها الجبال، والتي يتوارى قلمنا خجلاً عن التعرُّض للبعض منها ولو اشارة بل ولو تلميحاً، بيد انَّ ذلك لا يعسر علىٰ أحد ادراكه بسهولة

فآثار ضعف السلطة كان يبدو واضحاً في تفشّي الفساد في عموم اجهزتها التنفيذية، فتسوء معاملتها للناس، وتسرق حقوقهم، وتصادر حرياتهم، ويعم الظلم والتعدي عموم الناس البسطاء غير القادرين على حماية أنفسهم، ودفع الحيف والظلم عنهم، ولا يجد الناس الا الشكوى والتذمر والدعاء بالنجاة من هذه الحكومات الفاسدة.

فقد توالت طوال عصر الغيبة الصغرى عهود ستّة من الحكّام العبّاسيين هم: المعتمد، والمعتضد، والمكتفي، والمقتدر، والقاهر، والراضي، شهدت فيها الدولة الإسلامية أشكالاً متقلّبة ومتفاوتة من الادارات السيئة والفاسدة، والتي يحكم معظمها الظلم للرعية، والاستهانة بكرامتهم وبحياتهم، وبشكل واضح للعيان.

ومن هنا فيمكن القول بأنّ الوكلاء الاربعة عاصروا أحداثاً مضطربة أحاطت بهم، وألقت على عاتقهم مسؤولية خطيرة وحسّاسة امتدت طوال هذه السنين الممثّلة لما يُعرف بالغيبة الصغرى للإمام، وكان عليهم أن يكونوا مرآة صادقة في نقل ارادات الإمام (عليه السلام) وتوجيهاته الى الامّة، مع حرصهم الشديد على التكتُّم والتستُّر للمحافظة على الوجود المقدَّس للإمام (عليه السلام)، فكانوا بحقٍ أهلاً لهذا الامر الخطير، ووفِّقوا في ادائه أيما توفيق.

ونحن اذ نخوض في غمار هذا المبحث المختص بهذه الغيبة لابدَّ لنا من أن نستعرض أسماء السفراء الاربعة الذين أُنيطت بهم مسؤولية

= ويسر عند مطالعته لمعظم كتب التأريخ والسير المختلفة.

بلى كل هذا كان يجري والامّة تعاني الامرَّين من فساد الاجهزة الحكومية، وتسلُّط زبانيتها على مقدراتهم، وحرمانهم من أبسط مقوِّمات العيش الكريم التي تسفح كل ليلة بين أقدام الراقصات والماجنات، والمخنَّثين والمتملِّقين.

الوكالة عن الإمام (عليه السلام) فيها، وهم:

١ ـ الشيخ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري.

ويقال له السمّان أيضاً لاتجاره بالسمن ـ على ما قيل ـ تستُّراً وتخفِّياً عن أعين الرقباء ورجالات السلطة.

كان رحمه الله تعالى أسدياً على ما ذكره الشيخ الطوسي في غيبته، وانَّما سمِّي العمري لما رواه أبو نصر هبة الله بن محمَّد بن أحمد الكاتب ابن بنت أبي جعفر العمري رحمه الله، حيث قال: كان أسدياً فنُسب الى جده فقيل: العمري.

وقد قال قوم من الشيعة: انَّ أبا محمَّد الحسن بن علي (عليه السلام) قال: لا يجمع على امرئ بين عثمان وأبو عمرو، وأمر بكسر كنيته، فقيل: العمري.

ويقال له: العسكري أيضاً، لانَّه كان من عسكر سر من رأى.

ويقال له: السمّان، لانَّه كان يتجر في السمن تغطية على الأمر، وكان الشيعة اذا حملوا الى أبي محمَّد (عليه السلام) ما يجب عليهم حمله من الاموال انفذوا الى أبي عمرو فيجعله في جراب السمن وزقاقه، ويحمله الى أبي محمَّد (عليه السلام) تقية وخوفاً[1].

كان أوَّل أمره وكيلاً للإمام علي بن محمَّد الهادي (عليه السلام)، وكان موضع ثقته، ومؤتمناً عنده، وحيث صرح (عليه السلام) بذلك الى شيعته، وخلّص أصحابه.

بل وأصبح بعد ذلك وكيلاً لولده الحسن العسكري (عليه السلام) بعد وفاته، وكان أيضاً موضع ثقته، ومؤتمن سره.

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٥٤ / ٣١٤.

روى أحمد بن إسحاق بن سعد القمّي قال: دخلت علىٰ أبي الحسن علي بن محمَّد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي، أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيَّأ لي الوصول إليك اذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمتثل؟

فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّاه اليكم فعنّي يؤدِّيه.

فلمّا مضى أبو الحسن (عليه السلام) وصلت الى أبي محمَّد ابنه الحسن العسكري (عليه السلام) ذات يوم فقلت له (عليه السلام) مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله: وما أدّى اليكم فعنّي يؤدِّيه[1].

وهكذا فقد ألقت الإمامة تفويضها الى هذا الرجل التقي الامين بأن يكون صورة صادقة وحقيقية عن الإمام (عليه السلام)، وحيث أظهرت من خلال ذلك مبلغ ثقتها به، وأنَّه قد نال بورعه وتقواه هذه المنزلة الرفيعة التي تستدعي به تمسُّكاً مخلصاً واعياً، وثباتاً عقائدياً متماسكاً.

ولا غرو في ذلك، فقد بلغت ثقة أهل هذا البيت الطاهر به أن يكون من أوائل المطلعين علىٰ ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، بل وأن يأمره الإمام العسكري (عليه السلام) أن يعق عن ولده، وأن يشتري ما يفرِّقه علىٰ بني هاشم بهذه المناسبة، وذلك دال علىٰ منزلته عند الإمام حيث أناط به ما يتمناه جميع الهاشميين، ويحسدونه عليه.

بل وحين أدركت الإمام العسكري الوفاة كان حاضراً غسله وتكفينه، وتحنيطه ودفنه، وإن كان الشيخ الطوسي يذهب الىٰ قيامه بجميع

(١) غيبة الطوسي: ٣٥٤/ ٣١٥.

هذه الواجبات.[1].

وعلىٰ أي حال فإنَّ في جميع ذلك تكريم ما بعده تكريم لهذا الرجل، وإشارة واضحة الىٰ مبلغ علمه وتقواه ومنزلته من بيت الإمامة الطاهر.

نعم، انَّ هذه المواصفات وغيرها هي التي أهّلت هذا الشيخ التقي الصالح لأنّ يكون سفيراً عن الإمام الغائب في ظروف عسرة وشاقة، وأن يمثِّل الإمام في ايصال كتبه وتوصياته وتوجيهاته طيلة حياته، وتتلقى الشيعة جميع ذلك بالرضا والقبول، لما تعرفه بسبق الوصية به، وبمدىٰ تقواه وورعه، وطيلة زمان توكُّله عن الائمة (عليهم السلام).

وحقاً لقد وفّىٰ هذا الرجل بما أؤتمن عليه، وكان مشكوراً عند الائمة من أهل البيت (عليهم السلام)، ممدوحاً من قبلهم، وحيث يبدو ذلك واضحاً في تصريحاتهم (عليهم السلام) بشأنه، ومنها التوقيع الصادر عن الإمام المهدي (عليه السلام) بتعزية ابنه بوفاته، وحيث ورد فيه:

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، تسليماً لأمره، ورضىً بقضائه، عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله تعالى وألحقه بأوليائه ومواليه (عليهم السلام)، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقرِّبه الىٰ الله عزّ وجلّ واليهم، نضَّر الله وجهه، وأقال عثرته[2].

وعموماً فقد توفِّي الشيخ أبو عمرو بعد سنوات قليلة من توليه السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) ليتولاها من بعده ولده محمَّد بن عثمان العمري، ودفن في بغداد، وقبره لازال الىٰ اليوم مزاراً يتبرَّك به الزوّار من

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٥٦.

(٢) غيبة الطوسي: ٣٦١/ ٣٢٣.

شيعة أهل البيت (عليهم السلام).

٢ ـ الشيخ أبو جعفر محمَّد بن عثمان بن سعيد العمري.

وهو ولد الشيخ أبي عمرو عثمان السفير الأوّل للإمام المهدي(عليه السلام).

قام مقام أبيه بعد مضيه بنص من الإمام العسكري (عليه السلام)، ونصّ من أبيه بأمر من الإمام المهدي (عليه السلام).

فقد روي عن الإمام العسكري (عليه السلام) قوله لأحد أصحابه: العمري وابنه ثقتان، فما أديا اليك فعنِّي يؤديان، وما قالا لك فعنِّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فانَّهما الثقتان المأمونان[1].

وروى المشيخ الطوسي في غيبته بسنده عن محمَّد بن إسماعيل وعلي بن عبدالله الحسنيان أنَّهما قالا: دخلنا على أبي محمَّد الحسن بن علي (عليه السلام) بسرمن رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر. فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن ـ الى أن قالا ـ فقال الإمام الحسن (عليه السلام) لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري.

قالا: فما لبثنا إلّا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيِّدنا أبو محمَّد (عليه السلام): امض يا عثمان، فانَّك الوكيل الثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال.

ثم ساق الحديث الى أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيِّدنا، والله إنَّ عثمان لمن خيار شيعتكم، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وأنَّه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى.

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٦٠/ ٣٢٢.

فقال (عليه السلام): نعم، واشهدوا علىٰ أنَّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأنَّ ابنه محمَّداً وكيل ابني[١].

وصدر عن الإمام المهدي (عليه السلام) التوقيع التالي: وأمّا محمَّد بن عثمان العمري فرضي الله تعالى عنه وعن أبيه من قبل، فانَّه ثقتي، وكتابه كتابي[٢].

وروى الشيخ الطوسي عن أبي العبّاس أنَّه قال: أخبرني هبة الله بن محمَّد ابن بنت ام كلثوم بنت ابي جعفر العمري رضي الله تعالى عنه، عن شيوخه قالوا: لم تزل الشيعة مقيمة علىٰ عدالة عثمان بن سعيد، ومحمَّد ابن عثمان رحمهما الله تعالى الى أنْ توفّي أبو عمرو عثمان بن سعيد رحمه الله تعالى وغسله ابنه أبو جعفر محمَّد بن عثمان، وتولّى القيام به، وجعل الامر كله مردوداً اليه، والشيعة مجتمعة علىٰ عدالته وثقته وأمانته لما تقدَّم له من النص عليه بالامانة والعدالة، والامر بالرجوع اليه في حياة الحسن (عليه السلام) وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد، لا يختلف في عدالته، ولا يرتاب في أمانته، والتوقيعات تخرج علىٰ يده الى الشيعة في المهمات طول حياته بالخط الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هذا الامر غيره، ولا يرجع الى أحد سواه[٣].

وكانت الشيعة متفقة علىٰ ورعه وتقواه وأمانته وعلمه، حتى ذكر ان له مصنَّف في الفقه سمعه من أبي محمَّد الحسن بن علي العسكري وولده الإمام المهدي (عليه السلام).

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٥٥ / ٣١٧.
(٢) غيبة الطوسي: ٣٦٢ / ٣٢٦.
(٣) غيبة الطوسي: ٣٦٢ / ٣٢٧.

ثم أنَّه تولّى مسؤولية السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) فترة طويلة لم تمتد مثلها سفارة غيره من الوكلاء الآخرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

فقد ذكرت الاخبار أنَّ هذه السفارة امتدت الى حدود الاربعين عاماً، بل وقيل نحواً من الخمسين عاماً علىٰ ما ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى في غيبته[1].

وعلىٰ أي حال فقد أدركته الوفاة في جمادى الاولى عام خمس وثلاثمائة[2] أو اربع وثلاثمائة في رواية اخرى[3].

روى محمد بن علي بن الاسود القمي أنَّ أبا جعفر العمري قدِّس سره حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالسياج، فسألته عن ذلك فقال: للناس أسباب. ثم سألته عن ذلك فقال: قد أُمرت أنْ أجمع أمري. فمات بعد ذلك بشهرين رضي الله تعالى عنه وأرضاه[4].

وذكر الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى أنَّ أبا جعفر العمري رحمه الله تعالى دُفن عند والدته، في شارع باب الكوفة، في الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه، وهو الآن وسط الصحراء[5].

نعم كذا كان بيد أنَّه الآن في بغداد في مدينة الخلّاني مشهور معلوم، يُزار ويُتبرَّك به.

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٦٦/ ٣٣٤.
(٢) الكامل في التاريخ ٦: ١٥٩، الغيبة للطوسي: ٣٦٦.
(٣) الغيبة للطوسي: ٣٦٦.
(٤) اكمال الدين ٢: ٥٠٢/ ٢٩.
(٥) الغيبة للطوسي: ٣٦٦.

٣ـ الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي.

هو ثالث السفراء في الغيبة الصغرى، ومن انيطت به الوكالة عن الامام المهدي (عليه السلام).

كان رحمه الله تعالى أوّل عهده من المقرّبين من أبي جعفر محمّد بن عثمان، وحافظاً لاسراره، ووكيلاً لاعماله.

عرفته الشيعة صاحب فضل ودين، ومحل ثقة وموضع ائتمان، وأهلاً لتلقي أمور الوكالة والسفارة.

عهدت اليه الانابة عن السفير الثاني في السنتين الأخيرتين من عمر الأخير، لعجزه ومرضه، وبأمر من الإمام المهدي (عليه السلام).

روىٰ الشيخ الطوسي رحمه الله تعالىٰ في غيبته بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد المدائني أنّه قال: كان من رسمي اذا حملت المال الذي في يدي الىٰ الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري (قدس سره) أن أقول له ما لم يكن أحد يستقبله بمثله: هذا المال ومبلغه كذا وكذا للإمام (عليه السلام)، فيقول لي: نعم دعه، فأراجعه فأقول له: تقول لي انه للإمام، فيقول لي: نعم للإمام (عليه السلام)، فيقبضه.

فصرت اليه آخر عهدي به (قدس سره) ومعي أربعمائة دينار، فقلت له علىٰ رسمي: فقال لي: امض بها الى الحسين بن روح، فتوقفت فقلت: تقبضها أنت منّي علىٰ الرسم، فرد عليَّ كالمنكر لقولي وقال: قم عافاك الله فادفعها الى الحسين بن روح.

فلما رأيت وجهه غضباً خرجت وركبت دابتي، فلمّا بلغت بعض الطريق رجعت كالشاك، فدققت الباب فخرج الي الخادم فقال: من هذا؟ فقلت له: أنا فلان فاستأذن لي. فراجعني وهو منكر لقولي ورجوعي.

فقلت له: ادخل فاستأذن لي فانه لابد من لقائه.

فدخل فعرّفه خبر رجوعي ، وكان قد دخل الى دار النساء ، فخرج وجلس على سريره ورجلاه في الأرض ، وقال لي : ما الذي جرّأك على الرجوع ولِمَ لَمْ تمتثل ما قلته لك ؟

فقلت : لم أجسر على ما رسمته لي .

فقال لي وهو مغضب : قم عافاك الله تعالى ، فقد أقمت أبا القاسم حسين بن روح مقامي ، ونصبته منصبي .

فقلت : بأمر الإمام ؟

فقال : قم عافاك الله تعالى كما أقول لك .

يقول المدائني : فلم يكن عندي غير المبادرة ، فصرت الى أبي القاسم بن روح وهو في دار ضيقة ، فعرّفته ما جرى ، فسرَّ به وشكر الله عزوجلّ ودفعت اليه الدنانير ، وما زلت أحمل اليه ما يحصل في يدي بعد ذلك من الدنانير[١] .

وروى ابن بابويه في اكماله عن جعفر بن محمَّد بن متيل قال : لمّا حضرت أبا جعفر محمَّد بن عثمان العمري السمّان رضي الله عنه الوفاة كنت جالساً عند رأسه أسائله وأحدثه ، وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجليه ، فالتفت الي ثم قال لي : قد أمرت أن أُوصي الى أبي القاسم الحسين بن روح .

قال : فقمت من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولت عند رجليه[٢] .

وهكذا فقد تحولت السفارة الى الحسين بن روح بشكل قطعي بعد

---

(١) غيبة الطوسي : ٣٦٧ / ٣٣٥ .
(٢) اكمال الدين ٢ : ٥٠٣ / ٣٣ .

وفاة أبي جعفر العمري عام ٣٠٥ هـ واستمر قائماً بها الىٰ وفاته عام ٣٢٦هـ، عــدا السنتيـن أو الثلاث التي تولّى فيها السفارة في حياة سلفه رحمه الله تعالى.

ولا مناص من الجزم بأنّ سنوات السفارة هذه قد شهدت اخلاصاً وتفانياً وجهداً مضاعفاً من قبل هذا الرجل الصالح، والتزاماً دقيقاً منه بالتقية والتستُّر والتكتُّم علىٰ الإمام (عليه السلام).

ثم أنَّ العهد الذي عاشه رضوان الله تعالى عليه شهد بروزاً خطيراً لحالة شاذة روَّجت لها بعض الجهات المنحرفة عن خط الامامة من خلال الادعاء زوراً بالسفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام)[1] فكان الامر يتطلب منه

---

(٢) حقاً أنَّ مسألة ادعاء السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) زوراً من بعض المنحرفين عن خط الإمامة الواضح تمتد الىٰ عصر ما قبل سفارة الحسين بن روح رحمه الله تعالى، وبالتحديد ـ عند استجلاء أوضح صورها ـ في عصر أبي جعفر محمَّد بن عثمان العمري رحمه الله تعالى، كما في حال أبي محمَّد الشريعي الذي كان ـ كما ذكر الشيخ الطوسي في غيبته (٣٩٧) ـ أوَّل من ادعى مقاماً لم يجعله الله تعالى فيه، ومحمَّد بن نصير النميري وغيرهما، إلّا أنَّ حالة التراكم الموضوعي، وتوسع المدعيات الكاذبة، وبروز أخطر الحالات وأوسعها في زمن الشيخ ابن روح رحمه الله تعالى، كما في حالة محمَّد بن علي الشلمغاني المعروف بابن ابي العزاقر، الذي يصنَّف بكون حالته من أخطر حالات الانحراف هذه، وأشدها تأثيراً، لما كان يتمتع به من مكانة اجتماعية في وسط الشيعة باعتبار كونه وكيلاً لابن روح، وتصديه لبعض المسؤوليات الموكلة له من قبل الاخير، بحيث كان هو الذي جعل له هذا الجاه، وهذه المنزلة، فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر ويسنده عن الشيخ أبي القاسم لمن يتولاه، وكانوا يأخذون ذلك منه ويعتمدونه، وبقي علىٰ ذلك ردحاً من الزمن يتقول ويفتري على الشيعة والتشيع حتى ظهر خلالها التوقيع من الناحية المقدسة بلعنه ولعن من تابعه وشايعه ورضي بقوله وأقام علىٰ توليه بعد المعرفة بهذا التوقيع.

=

حملة توعية مبرمجة متواصلة للوقوف أمام هذا التيار الشاذ من خلال تعميم توجيهات الإمام المهدي (عليه السلام) وتوصياته بهذا الصدد، فوفّق في ذلك وسقطت تلك الدعوات الباطلة، وأمست الى يومنا هذا عاراً يطارد مدعيها ويصمهم حتى يوم الحساب، وعندها لا يجدون حينئذ ما يعتذرون به.

وأخيراً فقد توفّي رحمه الله تعالى في شعبان عام ٣٢٦ هـ كما ذكرنا، ودفن - علىٰ ما روى الشيخ الطوسي - في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ الى التل والى الدرب

= نعم، بقي الشلمغاني علىٰ غيه حتى صرح - علىٰ ما روي - في مجلس حافل برؤساء الشيعة - بعد ان اشتهر خبر لعنه المذاع علىٰ لسان ابي القاسم بن روح - امام الحاضرين بأن يجمعوا بينهما ليأخذ كل واحد بيد الآخر ويدعوان، فان لم ينزل علىٰ ابن روح نار من السماء فان كل ما قاله في الشلمغاني حق!!
ورقي ذلك الى ان الراضي - الحاكم العباسي - لانه كان ذلك في دار ابن مقلة - فأمر بالقبض عليه وقتله في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، فقتل واستراحت الشيعة منه علىٰ ما ذكر الطوسي في كتاب الغيبة (٤٠٦).

بل وغير ذلك من المنتحلين الكاذبين الذين وان اختلف البعض في علة مدعياتهم الباطلة هذه، الا انهم في الفتنة سقطوا، ولحقهم العار والذم، واللعن ايضاً.

وأخيراً فإن من الذين ادعوا السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) كذباً وافتراء غير ما ذكرنا: احمد بن هلال الكرخي، وابو طاهر محمد بن علي بن بلال البلالي، وابو بكر محمد بن احمد بن عثمان البغدادي، واسحاق الاحمر، والباقطاني، والحسين ابن منصور الحلاج . . . وغيرهم.

وفي تلاحق هؤلاء المنحرفين، وتوالي مدعياتهم السمجة الباهتة، كانت الناحية المقدسة واضحة المنهج في تشخيصهم ولفظهم، ودعوة المسلمين الى رفضهم ونبذهم، وحيث كان يتوالى هذا في التواقيع المتلاحقة الصادرة عنها، والمبثوثة بواسطة سفرائها الخيرين المنتجبين، والتي اورد علماؤنا الابرار في كتبهم جملة منها تراجع في مظانها.

الآخر والى قنطرة الشوك، رضي الله تعالى عنه[١].

أقول: قبره في بغداد معلوم مشهور، يُزار ويُتبرّك به.

٤ ـ الشيخ ابو الحسن علي بن محمَّد السمري.

كان يُعد رحمه الله تعالى من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) قبل أن توكل اليه السفارة عن الإمام المهدي (عليه السلام) بوصاية من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح كما روى ذلك الشيخ الطوسي في غيبته[٢].

كان رحمه الله تعالى جليل الشأن، عظيم المنزلة، مشهوراً بالامانة والتقوى، والزهد والورع.

لم تزد فترة سفارته عن الإمام المهدي (عليه السلام) عن الثلاثة أعوام، فقد ادركته الوفاة في النصف من شعبان عام ٣٢٩ هـ، قضاها في العمل على ادامة عملية النيابة عن الإمام في غيبته الصغرى، وكان الحلقة الاخيرة من هذه الحلقات، فبه ختمت السفارة، وشرعت الغيبة الكبرىٰ التي ما زلنا حتى يومنا هذا نعيش في عصرها، وبانتظار انقضائها باذن الله تعالى.

نعم، لقد كان السمري رحمه الله تعالى آخر سفراء الإمام المهدي في غيبته الصغرى، حيث لم يوص بأمر من الإمام (عليه السلام) الى أحد بعده كما فعل أسلافه رحمهم الله تعالى، حيث روي أنَّه لمّا حضرته الوفاة سئل أنْ يوصي فقال: لله أمر هو بالغه[٣].

بل وروى أنَّه رحمه الله تعالى لمّا حضرته الوفاة حضرت الشيعة

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٨٦ / ٣٥٠.

(٢) غيبة الطوسي: ٣٩٣ / ٣٦٢.

(٣) كمال الدين ٢: ٤٣٢ / ١٢، غيبة الطوسي: ٣٩٣ / ٣٦٣.

عنده وسألته عن الموكَّل بعده، ومن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنَّه لم يؤمر بأن يوصي الى أحد بعده في هذا الشأن[١].

وروي عن أبي محمَّد الحسن بن أحمد المكتب أنَّه قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفِّي فيها الشيخ أبو الحسن علي بن محمَّد السمري (قدس سره)، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج الى الناس توقيعاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمَّد السمري أعظم الله أجر اخوانك فيك، فانَّك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا توص الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا بعد اذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طوال الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً.

وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟

فقال: لله أمر هو بالغه. وقضى.

فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه[٢].

نعم، لقد أعلن الامام المهدي (عليه السلام) في كتابه هذا الى سفيره الرابع

---

(١) غيبة الطوسي: ٣٩٤.

(٢) كمال الدين ٢: ٥١٦ / ٤٤، غيبة الطوسي: ٣٩٥ / ٣٦٥، الاحتجاج: ٤٧٨، كشف الغمة ٢: ٥٣٠، إعلام الورى: ٤١٧، تاج المواليد: ١٤٤.

شروع غيبته الكبرىٰ وانتهاء عهد السفارة والوكالة عنه ، فأحدث ذلك انعطافة كبرىٰ في الفكر الاسلامي عامّة، والاعتقاد بأصل الامامة خاصة ، وحيث أشرع ذلك الباب على مصراعيه أمام أكبر تناطح فكري وعقائدي بين مجمل المدارس الاسلامية الفكرية من جهة، ومدرسة أهل البيت (عليهم السلام) من جهة أُخرى، وهذا ما سنتناول بعضاً من حلقاته في مباحثنا القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

* * * * *

وقفة لابدّ منها

الغيبة الصغرىٰ للامام (عليه السلام)، والتي امتدت ما يقارب من السبعين عاماً، تعد بلا شك حقبة زمنية خصبة تشكّلت من خلالها الارضية الواسعة الخصبة للكثير من العقائد والمناهج الفقهية التي ابتنت عليها الدراسات المختلفة في عصر الغيبة الكبرىٰ، والتي أمست مرجعاً مهماً في تشكيل البنية الحقيقية لهذه المناهج.

فلا خلاف قطعاً بأنَّ الارث الضخم الذي خلَّفه الائمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام)، وعلىٰ طول الامتداد المبارك لحضورهم المقدَّس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد اغنى هذه المناهج بالكثير من العطاء الواسع الذي لا يحد ولا يحصر، والذي بقي وسيبقى زاداً تسترشد بخصبه المدرسة الاسلامية علىٰ طول العصور والدهور، بيّد ان التعاطي اليومي بأشكاله المختلفة مع الائمة (عليهم السلام) ابان تلك الدهور المباركة كان يبتني علىٰ تواصل امتداد الحضور الذاتي لهم (عليهم السلام) وكانت معضلات الامور تجد لها ـ عند استجدادها في كل عصر ـ حلاً وجواباً في تواصل هذا الوجود المقدس العياني والحضوري، فلا تخوُّف ولا توجُّس يدفع لترتيب ما قد يعجز عنه في حين ما عند عدم الحضور، وهذا ما جعل الامر ينحصر ضمن الحدود المشخصة والمحددة العناوين كما هو معروف ومشهور.

بيّد ان ابتلاء الامة بوقوع الغيبة المقترنة فقط بصلتها بالسفراء جعل التفكير ينصب في كيفية قدرة هذه الامة علىٰ تدبر ومعالجة امور حياتها

الديـنية والدنـيوية عـند انـتهاء هذه الحـقبة، وتـوقف مسألة السـفارة عنه(عليه السلام)، وهذا هو الهاجس الذي لا اعتقد غيابه عن أذهان رجالات الشيعة وفضلائهم، بل كان هاجساً يجثم فوق صدورهم لابدّ لهم من أن يجدوا له قواعد صلبة يستند اليه عند وقوع هذا المحذور، فلا غرو أن تجد بوضوح تشكل هذا التوقع في جملة المكاتبات والمراسلات بينهم وبين الإمام (عليه السلام)، فأفلحوا فـي تـجاوز هـذه الحـقبة وواصـلوا النـيابة عنه(عليه السلام) بشكل آخر بواسطة علمائهم وفقهائهم المتميزين البارعين.

وحقاً انَّ الشريعة الاسلامية قد ارست الكثير من القواعد والاصول التي تعتمد كمناهج أُصولية يسترشد بها في عصر الغيبة، وذلك أمر مفروغ منه، ولا خلاف فيه، بيّد أنَّ حديثنا يتحدد بالسمة التي تزدان بها تلك الفترة الخصبة المعطاءة من تأريخ عصر يمثل آخر حقب الغياب الأصغر السابق للغياب الأكبر للوجود المقدَّس للائمة(عليهم السلام)، والذي لا يعرف مداه إلّا الله تبارك وتعالى.

* * * * *

عود على بدء

ثمة جملة تصورات تقدح في ذهن المتأمِّل في سيرة الإمام المهدي (عليه السلام)، وما عاصره من احداث ووقائع متفاوتة المدى، عن كيفية تعامله (عليه السلام) مع ما كان يحيطه من ظروف الازمة والتحدي الخطرة التي تبدو معالمها للمتأمِّل واضحة بادية للعيان، ومقروءة جلية لا تخفى على كل انسان.

بلى، فلم يعد بسر خفي حرص السلطة الحاكمة آنذاك وتوجهاتها الجادة على اطفاء نور الإمامة المقدس المتمثل بالإمام المهدي (عليه السلام) لادراكها بأوان ولادته التي تعيش عصرها

ومن هنا فكان يجب على السلطة وزبانيتها اعداد العدة، وحزم الامر لتلافي نشأة هذا الامر قبل استفحاله.

نعم، فما أن توفِّي الإمام العسكري(عليه السلام)حتى أمست المواجهة المبطنة في تصيُّد واقتناص وقتل الوريث الشرعي له الى مواجهة معلنة وشرسة لا تعرف الهوادة ولا الاستقرار، وبأشكال ومسارب شتى متعددة شاءت الارادة الالهية احباط جميعها وافشالها.

لقد كان واقع الحال الذي تمر به الامَّة ـ المتمثلة من خلال أوضح بعديها بالامام المهدي(عليه السلام)وأتباعه وشيعته من جهة، وبين السلطة الحاكمة وأذنابها والمعتاشين على فتات موائدها من جهة اخرى ـ من التعقيد والتأزم بشكل يستلزم من أتباع الخط الالهي تحرُّكاً مدروساً، وتواصلاً منظماً ينأى بهم عن الوقوع في الشباك والمصائد الكثيرة التي

عمدت السلطة الى اقامتها في طريق العمل الاسلامي والدعوة الى الله تعالى.

واذا كانت الامّة بحقيقتها تتركّز في شخص الامام المهدي (عليه السلام) فانّ خلاصة ذلك التصدي، وقمة تلك المواجهة تتركّز في وجوده المبارك المقدّس، ولذا فانّا نجده (عليه السلام) في حالة ترقّب مستمرة تعطي كل ظرف ما يناسبه من التحرّك والتواصل بينه وبين سفرائه من جهة، وبينه وبين شيعته من جهة اخرىٰ.

حقاً ان تقادم السنين وتوالي حقبها قد ضيَّع علىٰ الناس ادراك ومعرفة شكله (عليه السلام)، وذلك أمر طبيعي مفروغ عنه، بيدّ أنّ السنوات الاولى من عمره الشريف كانت تشكّل الحلقة الاكثر خطراً وحساسية في حياة الإمام (عليه السلام)، ومن هنا فانّا نراه فيها قليل الالتقاء بالناس إلّا في حدود ضيقة يقتضيها الظرف الخاص بها، والتي يقدرها هو (عليه السلام).

ثم انّ المستقرئ لوقائع الاحداث الخاصة بالفترة الاولىٰ لغيبته (عليه السلام) تظهر بجلاء وصدق هذا التصور وواقعيته، حتى أنّ التواقيع الصادرة عنه (عليه السلام) ابان عصر سفارة نائبه الاول ـ بل وحتى فترة من سفارة نائبه الثاني ـ كانت محدودة الى حد ما، وقليلة جداً، وذلك أمر طبيعي لحداثة عهد غيبته (عليه السلام)، واشتداد السلطة في طلبه، مع امكانية تمييز شخصه المبارك من قِبَل من رآه أو من سمع بوصفه عن بعض من رآه.

وممّا لا ريب فيه أنّ الإمام(عليه السلام) كان قد شوهد ـ لاسباب معينة تقدَّم ذكر بعضها ـ من قبل البعض، ووصف بأنّه حسن الوجه، جميل المحيا، معتدل القامة، طيب الرائحة، ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير

اللازق، مربوع القامة صلت الجبين، أزج الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدين، حسن الجلوس، هيوب، ومع هيبته متقرّباً الى الناس، بل وقيل أنّ خالاً على خده الأيمن، وغير ذلك من الأوصاف المختلفة، بيد أنّ هذه الأوصاف لم ترتسم في أذهان الناس بشكلها هذا إلّا بعد مشاهدات متكررة في فترة من الزمن صاحبها الاختفاء المنظم والدقيق من قبله (عليه السلام).

نعم، انّ توالي السنين، وتغيُّر ملامحه الأولى ـ التي عرفه بها بعض الناس أوّل عهده، كما حين ما روي من صلاته على أبيه (عليه السلام)، وعرضه من قبله على بعض أصحابه، وغير ذلك من المواقف المختلفة ـ قد منحه (عليه السلام) قسطاً أكبر من حرّية التحرُّك والانتقال، وحتى الالتقاء ببعض الناس ومحاورتهم، بل وحتى امكانية القيام ببعض الاعمال المختلفة، والسكنى في بعض المناطق لفترات ما من حياته الشريفة.

فالتأمُّل في الروايات المنقولة في كتب أصحابنا المختلفة تظهر مصداقية هذه الحالة من خلال ما نُقل من مشاهدته في بعض المدن المختلفة وفي البلدان المتعددة، بل وسفره الى الحج ومخالطته للناس، وتعليمهم ونصحهم، وغير ذلك ممّا سنحاول أنْ نورد بعضاً منه لاحقاً إنْ شاء الله تعالى.

ولا غرابة في ذلك، فاذا كان عمره الشريف حين وفاة أبيه (عليه السلام) في عام ٢٦٠ هـ في حدود الاربع سنوات وستة أشهر، فقد قارب عمره الشريف حين وفاة سفيره الثاني محمَّد عثمان بن سعيد العمري رحمه الله تعالى من الخمسين عاماً، حين بلغ عند وفاة الثالث منهم ـ اي الحسين ابن روح رحمه الله تعالى ـ الواحد والسبعين عاماً، وكان عند وفاة الرابع ـ أي علي بن محمَّد السمري رحمه الله تعالى ـ أربعاً وسبعين عاماً، فلا

مناص من حدوث الاختلاف الكبير في شكله (عليه السلام)، بل واختفاء الكثيرين ممن عرفوه عن قرب، سواء موتاً كان ذلك، أو انتقالاً، أو غير ذلك من الأسباب والعوارض المختلفة.

ومن هنا، فانَّ هذا الواقع يعطي للامام(عليه السلام) مساحة تحرُّك تزداد ـ بشكل طبيعي ـ مع توالي الأيام والسنين، وهذه هي حقيقة الحال التي تسجِّلها الروايات المختلفة.

ثم أنَّ من الحقائق الملفتة للنظر بروز جملة من الشواهد التي لا يسع الباحث الاعراض عنها أو تجاهلها في عملية تناوله لمسيرة الامام (عليه السلام) وخصوصاً ما يتعلَّق منها بموضوعنا هذا.

ولعل من أبرز تلك الشواهد تواجده (عليه السلام) في اول عهده في مدينة سامراء، حيث مولده، وبيته، وقبر أبيه وجده (عليهما السلام)، وحيث يشير الى ذلك صراحة قيام السفيرين الأوَّليين بتحويل الاموال المنقولة الى الإمام (عليه السلام) من شيعته الى سامراء، وذلك ممّا يدل على تواجده (عليه السلام) فيها، لانَّه كان يتولى مسألة الاشراف على الأموال كما هو معلوم.

ثم ما تقدَّم منّا من مقابلته (عليه السلام) لوفد القمِّيين فيها، ومشاهدة البعض له فيها أيضاً شواهد اضافية على ذلك.

بل والاوضح من ذلك كله ما روي من واقعة مهاجمة ازلام السلطة وزبانيتها، وبأمر المعتضد العباسي دار الامام (عليه السلام) هناك، والتي لم تأت عرضاً ولا تخبطاً، بل كان ذلك الفعل استناداً الى التقارير والاخبار التي ترفعها عيون السلطة وجواسيسها ـ المبثوثة في هذه البقاع لهذا الغرض الخبيث ـ الى قصر الحاكم العباسي الغارق في أحواض الخمر ودماء

المسلمين[١].

(١) روت جملة مختلفة من المصادر أن رشيق صاحب المادراي قال : بعث الينا المعتضد ونحن ثلاث نفر ، فأمرنا أن يركب كل واحد منّا فرساً ، ونجنب آخر ، ونخرج مخفين ، لا يكون معنا قليل ولا كثير إلّا على السرج مصلى ، وقال لنا : الحقوا بسامرة . ووصف لنا محلة ودار ، وقال : اذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً أسود ، فاكبسوا الدار ، ومن رأيتم فيها فأتونى برأسه .

يقول رشيق : فوافينا سامرة، فوجدنا الأمر كما وصفه، وفي الدهليز خادم أسود، وفي يده تكة ينسجها ، فسألناه عن الدار ومن فيها فقال : صاحبها . فوالله ما التفت الينا وقل اكتراثه بنا .

فكسبنا الدار كما أُمرنا ، فوجدنا دار سرية ، ومقابل الدار ستر ما نظر قط الى أنبل منه، كأنَّ الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت ، ولم يكن في الدار أحد .

فرفعنا الستر فإذا بيت كبير كأنَّ بحراً فيه ، وفي أقصى البيت حصير قد علمنا أنه على الماء ، وفوقه رجل في أحسن هيئة قائم يصلي ، فلم يلتفت الينا ، ولا الى شيء من أسبابنا .

فسبق أحمد بن عبدالله ليتخطى البيت فغرق في الماء، وما زال يضطرب حتى مددت يدي اليه فخلّصته وأخرجته وغشي عليه وبقي ساعة .

وعاد صاحبي الثاني الى فعل ذلك الفعل ، فناله مثل ذلك .

وبقيت مبهوتاً ، فقلت لصاحب البيت : المعذرة الى الله واليك ، فوالله ما علمت كيف الخبر ، ولا الى من أجيء ، وأنا تائب الى الله تعالى .

فما التفت الى شيء ممّا قلنا ، وما انفتل عمّا كان فيه ، فهالنا ذلك ، وانصرفنا عنه .

وقد كان المعتضد ينتظرنا، وقد تقدَّم الى الحجّاب اذا وافيناه أن ندخل عليه في أي وقت كان ، فوافيناه في بعض الليل ، فأُدخلنا عليه ، فسألنا عن الخبر ، فحكينا له ما رأينا فقال : ويحكم لقيكم أحد قبلي وجرى منكم الى أحد سبب أو قول ؟

قلنا : لا .

فقال : أنا نفي من جدي وحلف بأشد أيمان له أنه رجل إن بلغه هذا الخبر ليضربنَّ أعناقنا .

يقول رشيق : فما جسرنا أن نحدِّث به إلّا بعد موته .

(انظر : غيبة الطوسي : ٢٤٨ / ٢١٨ ،كشف الغمة ٢ : ٤٩٩ ، فرج المهموم : ٢٤٨ ، اثبات

أقول: إنَّ تلك القرائن لا تنفي امكانية معارضتها بقرائن اُخرىٰ تدل علىٰ خلاف ذلك، بيد أنَّ توافر القرائن الاولى ووفرتها، وأقربيتها للواقع العملي هو ما جعل البعض من المحقِّقين يذهب الىٰ اعتمادها والقول بدلالتها علىٰ ما تذهب اليه.

وأخيراً فإنَّ ما تقدَّم منّا ذكره من ملاقاة البعض، أو من وجود الشواهد الدالة على تواجد الإمام (عليه السلام) في بقاع مختلفة من البلدان الاسلامية، وادائه لفريضة الحج مراراً، ولقائه بالحجيج، وتحاوره معهم، تشير اليه جملة وافرة من الروايات التي أشرنا آنفاً الىٰ انّا سنورد بعضها لاحقاً، والتي منها:

ما رواه أبو نعيم محمَّد بن أحمد الأنصاري من أنَّه قال: كنت حاضراً عند المستجار بمكة، وجماعة زهاء ثلاثين رجلاً لم يكن منهم مخلص غير محمَّد بن القاسم العلوي، فبينا نحن كذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ثلاثين وتسعين ومائتين، اذ خرج علينا شاب من الطواف عليه ازاران محرم بهما، وفي يده نعلان.

يقول: فلمّا رأيناه قمنا جميعاً هيبة له، ولم يبق منّا أحد إلّا قام، فسلَّم علينا وجلس متوسطاً ونحن حوله، ثم التفت يميناً وشمالاً ثم قال: أتدرون ما كان أبو عبدالله (عليه السلام) يقول في دعاء الالحاح؟

قلنا: وما كان يقول؟

قال: كان يقول: اللّهمَّ إنّي اسألك باسمك الذي تقوم به السماء،

= الهداة ٣: ٦٨٣ / ٩٢.

أقول: تُظهر هذه الرواية حرص السلطة علىٰ اخفاء قضية الإمام المهدي (عليه السلام) حتى عن الكثير من رجالها المقرَّبين، ناهيك عن عوام الناس، وهذا هو واحد من وسائلها الماكرة في حربها الشرسة ضد الحلقة المقدَّسة الأخيرة من حلقات الإمامة.

وبه تقوم الارض، وبه تفرق بين الحق والباطل، وبه تجمع بين المتفرّق، وبه تفرق بين المجتمع، وبه احصيت عدد الرمال، وزنة الجبال، **أن تصلّي علىٰ محمَّد وآل محمَّد، وأن تجعل لي من أمري فرجاً.**

ثم نهض ودخل الطواف، فقمنا لقيامه حتى انصرف، وأنسينا أن نذكر أمره؟ وأن نقول من هو؟ وأي شيء هو؟ الىٰ الغد في ذلك الوقت، فخرج علينا من الطواف، فقمنا له كقيامنا بالامس، وجلس في مجلسه متوسطاً، فنظر يميناً وشمالاً، وقال: أتدرون ما كان يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد صلاة الفريضة؟

فقلنا: وما كان يقول؟

قال: كان يقول: اليك رفعت الأصوات، ودعيت الدعوات، ولك عنت الوجوه، ولك وضعت الرقاب، اليك التحاكم في الاعمال، يا خير من سئل، ويا خير من أعطى، يا صادق، يا بارئ، يا من أمر بالدعاء ووعد بالاجابة، يا من قال: ﴿ **ادعُوني أستَجِب لَكُم** ﴾[1] يا من قال: ﴿ **اذا سَألَكَ عِبادي عَنّي فَانّي قَريبٌ اُجيبُ دَعوَة الدَّاعِ إذا دَعاني فَليَستَجيبوا لي وَليُؤمِنواً بي لَعَلَّهُم يَرشُدونَ** ﴾[2] ويا من قال: ﴿ **يا عِبادي الَّذينَ أسَرفوا علىٰ أنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِنْ رَحمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جَميعاً إنَّهُ هوَ الغَفورُ الرَّحيمُ** ﴾[3] لبيك وسعديك، هنا انا ذا بين يديك المسرف، وأنت القائل: ﴿ **لا تَقنَطوا مِنْ رَحمَةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جَميعاً** ﴾.

---

(١) غافر ٤٠ : ٦٠.
(٢) البقرة ٢ : ١٨٦.
(٣) الزمر ٣٩ : ٥٣.

ثم نظر يميناً وشمالاً بعد هذا الدعاء فقال: أتدرون ما كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول في سجدة الشكر؟

فقلنا: وما كان يقول؟

قال: كان يقول... وذكر الدعاء، واسترسل في الحديث الىٰ ان قال: ثم نظر يميناً وشمالاً، ونظر الىٰ محمَّد بن القاسم من بيننا فقال: يا محمد بن القاسم أنت على خير إن شاء الله تعالى، وكان محمَّد بن القاسم يقول بهذا الامر.

ثم قام ودخل الطواف، فما بقي منّا أحد إلّا وقد أُلهِم ما ذكره من الدعاء، وأُنسينا أن نتذاكر أمره إلّا في آخر يوم.

فقال لنا أبو علي المحمودي: يا قوم أتعرفون هذا؟ هذا والله صاحب زمانكم.

فقلنا: وكيف علمت يا أبا علي؟

فذكر أنَّه مكث سبع سنين يدعو ربه ويسأله معاينة صاحب الزمان (عليه السلام).

قال: فبينا نحن يوماً عشية عرفة واذا بالرجل بعينه يدعو بدعاء وعيته، فسألته ممَّن هو؟

فقال: من الناس.

قلت: من أي الناس؟

فقال: من عربها.

قلت: من أي عربها؟

قال: من أشرفها.

قلت: من هم؟

قال: بنو هاشم.

فقلت: من أي بني هاشم.

فقال: من أعلاها ذروة وأسناها.

قلت: ممّن؟

قال: ممّن فلق الهام، وأطعم الطعام، وصلّى والناس نيام.

قال: فعلمت أنّه علوي، فأحببته على العلوية، ثم افتقدته من بين يدي، فلم أدر كيف مضى.

فسألت القوم الذين كانوا حوله: تعرفون هذا العلوي؟

فقالوا: نعم. يحج معنا في كلّ سنة ماشياً.

فقلت: سبحان الله، والله ما أرى به أثر مشي!!

قال: فانصرفت الىٰ المزدلفة كئيباً حزيناً علىٰ فراقه، ونمت ليلتي تلك، فاذا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أحمد رأيت طلبتك.

فقلت: ومن ذاك يا سيدي؟

فقال (صلى الله عليه وآله): الذي رأيته في عشيتك هو صاحب زمانك[1].

ومنها: ما حدّث به محمّد بن اسماعيل بن موسى بن جعفر (عليه السلام) وكان أسن شيخ من ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ قال: رأيت ابن الحسن بن علي بن محمّد (عليهم السلام) بين المسجدين وهو غلام[2].

ومنها: ما رواه أبو عبدالله بن صالح من أنّه رآه (عليه السلام) بحذاء الحجر

---

(۱) كمال الدين ۲: ٤٧٠ / ٢٤، غيبة الطوسي: ۲٥٩ / ۲۲۷، مصباح المتهجد: ٥١، البلد الامين: ۱۲.

(۲) الكافي ۱: ۲٦٦ / ۲، ارشاد المفيد ۲: ۳٥۱، غيبة الطوسي: ۲٦٨ / ۲۳۰، اعلام الورىٰ: ۳۹٦

والناس يتجاذبون عليه، وهو يقول: ما بهذا أمروا[١].

ومنها: ما رواه الشيخ محمَّد بن عثمان العمري رضي الله عنه من أنّه رأى الإمام المهدي (عليه السلام) متعلّقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: اللّهمَّ انتقم لي من أعدائي[٢].

ومنها: ما روي عنه رضي الله تعالى أيضاً من قوله: والله إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، فيرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه[٣].

وغير ذلك من الروايات المذكورة في الكتب المشار اليها في الهامش وغيرها.

ومن ثم فإنَّ هذا التواجد الذاتي للإمام (عليه السلام) في البقاع المختلفة، والاتصال المباشر بينه وبين الناس كان يشكّل أحد أطراف الاتصال المباركة بين الامّة وإمامها، حين يعد تواتر التوقيعات الصادرة عنه (عليه السلام) طرفاً آخراً، وقناة أخرى تتسرّب من خلالها التوجيهات المقدَّسة من قبله لارشاد الامّة وقيادتها نحو مرفأ الامان، وواحة النجاة والهداية، وهذا ما سلف منّا الحديث عنه آنفاً.

نعم، فقد نعمت الامّة طيلة تلك الحقبة المباركة من الغيبة بعطاءات الفيض الامامي (عليه السلام) وبركاته الواسعة، والتي تجسد مسربها الأوضح من خلال هؤلاء السفراء الأربعة رحمهم الله تعالى حيث كانوا خير قناة لايصال توصيات الامام (عليه السلام) وكتبه وتوجيهاته الى الامّة بصدق وأمانة،

---

(١) الكافي ١ : ٢٦٧ / ٧، ارشاد المفيد ٢ : ٣٥٢.
(٢) كمال الدين ٢ : ٤٤٠ / ١٠.
(٣) كمال الدين ٢ : ٤٤٠ / ٨.

وصبر وشجاعة، فحازوا ثقة الامّة وحبها، تعضدهم في ذلك توصيات الامام (عليه السلام) بهم والثناء عليهم، فساهموا مساهمة واضحة في رأب الصدع، وسد الفراغ الرهيب الذي خلّفه الغياب الحضوري الظاهري للامام المعصوم (عليه السلام)، والذي يُعد حالة جديدة لم تعهدها الشيعة من قبل طيلة حياة باقي أئمتهم (عليهم السلام) عدا حالات السجن والابعاد المعروفة.

ولا غرو في ذلك، فانّ الدور الخطير الذي اضطلع به هؤلاء السفراء يتجسّد واضحاً في عدة أبعاد لعل من أهمهما كونهم حلقة ايصال كتب الامام (عليه السلام) ورسائله الى الشيعة، والاهمية هذه تكمن باعتبار كون هذه الرسائل كانت تشكّل ـ بالاضافة لما تمثله من ردود لتساؤلات محددة ـ مناهج تربوية، ومسالك عقائدية، ومسارب حياتية، اتخذتها الامّة مدرسة يسترشد بهداها، ويهتدى بنورها.

ومن خلال هذه الوريقات المحدودة سنحاول ايراد بعضاً من هذه الكتب والرسائل.

فمن ذلك ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى من انفاذ جماعة من الشيعة كتاباً اليه (عليه السلام) بما رود فيه من اختلاف البعض في خلف الإمام العسكري (عليه السلام)، فجاء في التوقيع الصادر عنه (عليه السلام):

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانا الله وإيّاكم من الضلالة والفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإيّاكم من سوء المنقلب.

انّه أُنهي اليَّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك

والحيرة في ولاة أمورهم، فغمّنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لانّ الله معنا ولا فاقة بنا الىٰ غيره، والحق معنا فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا.

يا هؤلاء، ما لكم من ريب تترددون، وفي الحيرة تنعكسون، أو ما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا أطيعوا اللهَ وَأطيعوا الرَّسولَ وَأُولي الأمرِ** ﴾[1] ؟

أوَ ما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضيين والباقين منهم (عليهم السلام) ؟

أوَ ما رأيتم كيف جعل الله تعالى لكم معاقل تأوون اليها، وأعلاماً تهتدون بها من آدم (عليه السلام) الى أن ظهر الماضي (عليه السلام)، كلّما غاب علم بدا علم، واذا أفل نجم طلع نجم، فلمّا قبضه الله تعالى اليه ظننتم أنّ الله جلّ اسمه أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون... الى آخره[2].

وما رواه اسحاق بن يعقوب عن الجواب الوارد اليه بخصوص جملة ما بعثه من الاسئلة، وكان ممّا جاء فيه: أمّا ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتي وبني عمّنا فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس منّي، وسبيله سبيل ابن نوح.

وأمّا أموالكم فما نقبلها إلّا لتطهروا، فمن شاء فليصل، ومن شاء

---

(١) النساء ٤ : ٥٩.

(٢) غيبة الطوسي : ٢٥٨ / ٢٤٥، وكذا في الاحتجاج : ٤٦٦.

فليقطع، فما آتانا الله خير ممّا آتاكم.

وأمّا ظهور الفرج فانّه الىٰ الله عزّ وجلّ، وكذب الوقّاتون.

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الىٰ رواة حديثنا، فانّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليكم.

وأمّا ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا لما طاب وطهر، وثمن المغنية حرام.

وأمّا أبو الخطّاب محمّد بن ابي زينب الأجدع[1] فانّه ملعون وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقالتهم، وانّي بريء وآبائي (عليهم‌السلام) منهم براء.

وأمّا المتلبّسون بأموالنا فمن استحل منها شيئاً فأكله فانّما يأكل النيران.

وأمّا الخمس فقد أُبيح لشيعتنا، وجُعلوا منه في حل الىٰ وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث.

وأمّا ندامة قوم قد شكّوا في دين الله تعالى على ما وصلونا به، فقد أقلنا من استقال، ولا حاجة لنا في صلة الشاكّين.

---

(١) غال ملعون علىٰ لسان الائمة (عليهم‌السلام)، ادعى جملة مدعيات دالة علىٰ كفره وانحرافه، كقوله علىٰ ما روي عنه بإن الإئمة آلهة، وان أولاد الحسن والحسين (عليهم‌السلام) انبياء الله تعالى واحباؤه، وغير ذلك من الكفريات والمفتريات، فلما بلغت الإمام الصادق (عليه‌السلام) مقالاته ـ وكان في عصره ـ لعنه وتبرأ منه وأباح دمه وأمواله.

كما انه له اتباع ينهجون منهجه لحقتهم لعنة الإئمة (عليهم‌السلام)، فحوصروا ونبذهم الناس حتىٰ انقرضوا ولم يبق لهم أثر.

راجع: فرق الشيعة للنوبختي: ٤٢، الملل والنحل ١: ١٧٩، أصل الشيعة واصولها: ١٧٢.

وأمّا علّة ما وقع من الغيبة فانّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ **يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَسألُوا عَنْ أشياءٍ إنْ تُبدَ لَكُم تَسؤكُم** ﴾[١] أنّه لم يكن أحد من آبائي إلّا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وانّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي.

وأمّا وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيّبتها عن الأبصار السحاب، وانّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا علىٰ ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم[٢][٣]».

---

(١) المائدة ٥ : ١٠١ .

(٢) كمال الدين ٢ : ٤٨٣ / ٤ ، غيبة الطوسي : ٢٩٠ / ٢٤٧ ، الاحتجاج : ٤٦٩ .

(٣) أورد الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى في كماله (٥١٢ / ٤٣) دعاء يقرأ في غيبة القائم (عليه السلام) ، ذكر أنّ الشيخ العمري رضوان الله تعالى عليه أملاه علىٰ أبي علي بن همام وأمره أن يدعو به ، نورد بعضاً منه :

اللّهم عرّفني نفسك ، فانّك إنْ لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك ، اللّهمّ عرّفني نبيّك ، فانّك انْلم تعرّفني نبيّك لم أعرف حجّتك ، اللّهمّ عرفني حجّتك ، فانّك إنْ لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني .

اللّهمّ لا تمتني ميتة جاهلية ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللّهمّ فكما هديتني بولاية من فرضت طاعته عليّ من ولاة أمرك بعد رسولك صلواتك عليه وآله حتى واليت ولاة أمرك :أمير المؤمنين ،والحسن ،والحسين ،وعلياً ،ومحمّداً ،وجعفراً ،وموسىٰ ،وعلياً ، ومحمّداً ، وعلياً ، والحسن ، والحجّة القائم المهدي ، صلواتك عليهم أجمعين .

اللّهمّفثبّتني على دينك ، واستعملني بطاعتك ، وليّن قلبي لولي أمرك ، وعافني ممّا امتحنت به خلقك ، وثبّتني على طاعة ولي أمرك الذي سترته عن خلقك ، فباذنك غاب عن بريتك ، وأمرك ينتظر ، وأنت العالم غير معلّم بالوقت الذي فيه صلاح أمر وليّك في الاذن له باظهار أمره ، وكشف ستره ، فصّبرني على ذلك حتى لا أُحب تعجيل ما أخّرت ، ولا تأخير ما عجّلته ، ولا أكشف ما سترته ، ولا أبحث عمّا كتمته ، ولا أُنازعك في

تدبيرك ، ولا أقول :

=

. . . .

= لِمَ ؟ وكيف ؟ وما بال ولي الأمر لا يظهر وقد امتلأت الأرض من الجور ؟ وأفوض أموري كلها اليك .

اللّهم إنّي أسالك أن تريني ولي أمرك ظاهراً نافذاً لامرك مع علمي بانَّ لك السلطان والقدرة ، والبرهان والحجّة ، والمشيئة والارادة ، والحول والقوة ، فافعل ذلك بي وبجميع المؤمنين ، حتى ننظر الىٰ وليِّك صلواتك عليه وآله ظاهر المقالة ، واضح الدلالة ، هادياً من الضلالة ، شافياً من الجهالة .

أبرز يا رب مشاهده ، وثبِّت قواعده ، واجعلنا ممَّن تقرُّ عينه برؤيته ، وأقمنا بخدمته ، وتوفَّنا على ملَّته ، واحشرنا في زمرته .

اللّهمَّ أعذه من شر جميع ما خلقت ، وبرأت ، وذرات ، وأنشأت ، وصوَّرت ، واحفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته ، بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به ، واحفظ فيه رسولك ووصي رسولك .

اللّهم ومد فيٰ عمره ، وزد في أجله ، وأعنه على ما أوليته واسترعيته ، وزد في كرامتك له فانَّه الهادي والمهتدي ، والقائم المهدي ، الطاهر التقي النقي ، الزكي الرضي المرضي ، الصابر المجتهد الشكور .

اللّهمَّ ولا تسلبنا اليقين لطول الأمد في غيبته وانقطاع خبره ، ولا تنسنا ذكره وانتظاره ، والايمان وقوة اليقين في ظهوره وقيامه ، ويكون يقيننا في ذلك كيقيننا في قيام رسولك صلواتك عليه وآله ، وما جاء به من وحيك وتنزيلك ، وقوِّ قلوبنا على الايمان به ، حتى تسلك بنا على يده منهاج الهدى ، والحجّة العظمىٰ ، والطريقة الوسطى ، وقوِّنا على طاعته ، وثبِّتنا على متابعته ، واجعلنا في حزبه وأعوانه وأنصاره ، والراضين بفعله ، ولا تسلبنا ذلك في حياتنا ولا عند وفاتنا حتى تتوفّانا ونحن على ذلك غير شاكِّين ولا ناكثين ، ولا مرتابين ولا مكذِّبين .

اللّهمَّ عجِّل فرجه ، وأيده بالنصر ، وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، ودمِّر على من نصب له وكذَّب به ، وأظهر الحق ، وأمت الباطل ، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذل ، وانعش به البلاد ، واقتل به جبابرة الكفر ، واقصم به رؤوس الظلالة ، وذلِّل به الجبّارين والكافرين ، وأبر به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين والملحدين ، في مشارق الارض ومغاربها ، وبرِّها وبحرها ، وسهلها وجبلها ، حتى لا تدع منهم ديّاراً ، ولا تبقي لهم آثاراً ، وتطهِّر منهم بلادك ، واشف منهم صدور عبادك ، وجدِّد به ما امتحى من دينك ، وأصلح

=

. . . .

= به ما بدِّل من حكمك ، وغيِّر من سنَّتك ، حتى يعود دينك به وعلى يديه غضاً جديداً ، صحيحاً ، لا عوج فيه ولا بدعة معه ، حتى تطفئ بعدله نيران الكافرين ، فانَّه عبدك الذي استخلصته لنفسك ، وارتضيته لنصرة نبيك ، واصطفيته بعلمك ، وعصمته من الذنوب ، وبرَّأته من العيوب ، وأطلعته على الغيوب ، وأنعمت عليه وطهَّرته من الرجس ، ونقَّيته من الدنس .

اللّهمَّ فصلِّ عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين ، وعلى شيعتهم المنتجبين ، وبلِّغهم آمالهم أفضل ما يأملون ، واجعل ذلك مَنّاً خالصاً من كل شك وشبهة ، ورياء وسمعة ، حتى لا نريد به غيرك ، ولا نطلب به إلّا وجهك .

اللّهم إنّا نشكو اليك فقد نبينا ، وغيبة ولينا ، وشدة الزمان علينا ، ووقوع الفتن بنا ، وتظاهر الأعداء علينا ، وكثرة عدونا ، وقلَّة عددنا ، اللّهمَّ فافرج ذلك بفتح منك تعجّله ، ونصر منك تعزه ، وامام عدل تظهره ، اله الحق رب العالمين .

اللّهمَّ إنّا نسألك أن تأذن لوليِّك في اظهار عدلك في عبادك ، وقتلك أعدائك في بلادك ، حتى لا تدع للجور يا رب دعامة إلّا قصمتها ، ولا بنية إلّا أفنيتها ، ولا قوة إلّا أوهنتها ، ولا ركناً إلّا هددته ، ولا حداً إلّا فللته ، ولا سلاحاً إلّا أكللته ، ولا راية إلّا نكستها ، ولا شجاعاً إلّا قتلته ، ولا جيشاً إلّا خذلته . وارمهم يا رب بحجرك الدامغ ، واضربهم بسيفك القاطع ، وبباسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين ، وعذِّب أعداءك وأعداء دينك وأعداء رسولك بيد وليِّك وأيدي عبادك المؤمنين .

اللّهم اكف وليَّكَ وحجَّتك في أرضك هول عدوه ، وكد من كاده ، وامكر من مكر به ، واجعل دائرة السوء على من أراد به سوءاً ، واقطع عنه مادتهم ، وارعب له قلوبهم ، وزلزل له أقدامهم ، وخذهم جهرة وبغتة ، وشدد عليهم عقابك ، واخزهم في عبادك ، والعنهم في بلادك ، وأسكنهم أسفل نارك ، وأحط بهم أشد عذابك ، واصلهم ناراً ، واحش قبور موتاهم ناراً ، واصلهم حر نارك ، فانَّهم أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، وأذلُّوا عبادك .

اللّهمَّ وأحيي بوليِّك القرآن ، وأرنا نوره سرمداً لا ظلمة فيه ، وأحيي به القلوب الميتة ، وأشف به الصدور الوغرة ، واجمع به الأهواء المختلفة على الحق ، وأقم به الحدود المعطَّلة ، والأحكام المهملة ، حتى لا يبقى حق إلّا ظهر ، ولا عدل إلّا زهر ، واجعلنا يا رب من أعوانه ومقوي سلطانه ، والمؤتمرين لامره ، والراضين بفعله ، والمسلِّمين لأحكامه ، وممَّن لا حاجة له به الىٰ التقية من خلقك .

=

. . . .

= أنت يا رب تكشف السوء ، وتجيب المضطر اذا دعاك ، وتنجي من الكرب العظيم ، فاكشف يا رب الضر عن وليك ، واجعله خليفة في أرضك كما ضمنت له .
اللّهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمَّد ، واجعلني بهم فائزاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين .

بين الوكالة والسفارة

من يستقرأ صلة الإمام المهدي (عليه السلام) بشيعته ـ ابان غيبته الصغرى ـ وبالتحديد منها ما يتعلّق بنوابه، فانه يجد تردد تسميتي السفير والوكيل، وحيث نجد ان المصادر المختلفة قد أثبتت كلا الصنفين في متونها، وأشارت اليهم بأنهم الصلة المنصوبة من قبل الإمام بينه وبين الناس، ومن تتوجه اليهم الشيعة لإيصال مبتغاهم الىٰ سيدهم ومولاهم، وتلقّي اجوبته أو توجيهاته (عليه السلام) عن طريقهم.

نعم، ان من يتأمّل ذلك بوضوح يجد تردد أسماء كثيرة ومتعددة لهؤلاء المكلّفين بهذا المنصب الخطير والحسّاس مبثوثين في بقاع مختلفة من الأرض الإسلامية ومدنها.

بيد انّ من يستقرأ ذلك بتأن وتريث يجد محدودية من أُطلقت عليهم صفة السفارة، خلاف الوكلاء الذين تتزايد أعدادهم وتتكاثر مع تكاثر المدن الإسلامية وسعتها، وذلك بيِّن واضح.

ولعلَّ ذلك الاستقراء يقودنا الىٰ أمر يتحتمه الظرف الذي تعيشه الإمامة ونيابتها في ذلك العصر، وحيث تتطلَّب تمتين وتقوية الصلة بينها وبين قاعدتها، لاسيّما والسلطة الحاكمة تحاول دائبة اشاعة وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) دون خلف له، أو إمام يتولىٰ مواصلة النهج الإمامي المنبعث من دوحة النبوة المباركة، في حين تراها تشتد في طلب هذا الإمام الغائب (عليه السلام) لتصفيته بأي شكل كان، وهذا ما كان مر بنا آنفاً، وتعرَّضنا الىٰ البعض منه.

فالظرف السياسي الذي كان يحيط بالإمام (عليه السلام) من جانب،

والشيعة من جانب آخر كان ذلك يتطلّب الكثير من الحرص والحذر في ترجمة التفاعل بين الاثنين وتجسيده، واخفاء الامر وأصحابه عن السلطة وأزلامها المبثوثين بينهم، والمتسترّين بألف ستار وستار، فتعقّدت سلسلة الاتصال والترابط، وتوسّعت امتداداتها، كتحرّز أمني يجب اتباعه لمواجهة الطوق الأمني الذي تمارسه السلطة وأعوانها.

وتواصلاً مع ادامة هذا التحوّط فقد انحصرت صلة الوكلاء ـ دون السفراءالاربعة رحمهم الله تعالى والذين تقدّم منّا ذكرهم ـ بغيرهم من الوكلاء، أو بالسفراء الاربعة، دون أن تكون لهم صلة مباشرة بالإمام (عليه السلام).

فالسفراء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم بقوا حلقة الاتصال المباشرة مع الإمام المهدي (عليه السلام) طيلة غيبته الصغرى، ونوّابه الاساسيون الذين يشكّلون الباب المفضي اليه، فكانت مسألة اخفاء أمرهم من الضرورة بمكان بحيث كان حرصهم مضاعفاً حفاظاً على الإمام (عليه السلام) ورعاية له.

ولتوسّع القاعدة الشيعية، وتبعثر مدنها وقراها، وللحاجة المبرمة التي لا تنقطع بين القاعدة وإمامها، والتي يقابلها محدودية من ينوب مباشرة عن الإمام (عليه السلام)، كان لابدّ من ايجاد منافذ أُخرىٰ ووسائط اضافية لمواجهة هذا الامر، وحيث كانت عملية تنسيب الوكلاء الآخرين عن الإمام (عليه السلام)، وتمثيلهم للجماعات الشيعية المتفرّقة في المدن الاسلامية المتعددة، وارتباطهم بسريّة بالسفير الاول عن الإمام في تلك الفترة، مسألة قائمة وبالغة الاهمية.

فكانت من نتيجة ذلك أن تكاثر عدد الوكلاء عن الإمام (عليه السلام) في المدن المختلفة، وتوسعت قاعدتهم، فلم يواجه الشيعة مشكلة في

التواصل مع إمامهم الغائب (عليه السلام) من جانب، وضل سعي السلطة وتحيُّر أزلامها في التوصل الىٰ مبتغاهم.

ولقد بالغ بعض الوكلاء في اداء دورهم المناط بهم، وجهدوا في خدمة إمامهم (عليه السلام) حين أخفق البعض وتردى واتبع هواه بعد الهدىٰ فلحقه الخزي والعار في الدنيا والآخرة.

وعموماً فقد سجَّلت لنا المصادر المختلفة جملة من اولئك الوكلاء سنحاول أن نستعرض هنا جانباً منهم.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله تعالىٰ عند ذكره لمن رأى الإمام المهدي (عليه السلام) ووقف علىٰ معجزاته ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه، وحاجز[١]، والبلالي[٢]، والعطّار[٣].

ومن الكوفة: العاصمي[٤].

ومن أهل الاهواز: محمَّد بن إبراهيم بن مهزيار[٥].

---

(١) هو حاجز بن يزيد الوشاء.

(٢) أبو طاهر محمَّد بن علي بن بلال، كان ممدوحاً أول أمره، ولكنه ـ وكما ذكر ذلك الشيخ الطوسي في غيبته (٤٠٠ / ٣٧٤) ـ أنحرف بعد ذلك وساء تصرفه فطعن به.

فقد ذكر الشيخ انه تمسَّك بالاموال التي كانت عنده للإمام (عليه السلام)، وامتنع عن تسليمها الىٰ أبي جعفر محمَّد بن عثمان العمري رحمه الله تعالى، وادعىٰ انه الوكيل عن الإمام (عليه السلام)، فتبرَّأت منه الجماعة ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان (عليه السلام) ما هو معروف.

(٣) مشترك بين جماعة.

(٤) عثرنا علىٰ شخصين اشتركا بهذا اللقب، وهما: أبو عبدالله أحمد بن محمَّد بن أحمد العاصمي، وعيسىٰ بن جعفر بن عاصم.

(٥) تقدَّمت منّا روايته عن خروجه مع أبيه بعد مضي أبي الحسن (عليه السلام) وشكه وما =

ومن أهل قم: أحمد بن إسحاق[١].

ومن أهل همدان: محمَّد بن صالح[٢].

ومن أهل الري: البسامي[٣]، والاسدي[٤].

ومن أهل آذربيجان: القاسم بن العلاء[٥].

= جرىٰ عليه من الاحداث حتى اقامته مقام أبيه وكيلاً عن الناحية المقدسة، فراجع الرواية في صفحة (٤٦).

(١) أحمد بن إسحاق بن سعد بن مالك بن الاحوص الاشعري، الامين الثقة، عدَّه الشيخ الطوسي في غيبته (٤١٧ / ٣٩٥) من الوكلاء الذين خرج التوقيع بمدحهم، وهو من الذين عرض عليهم الإمام العسكري (عليه السلام) ولده القائم بالحق (عليه السلام).

(٢) محمَّد بن صالح بن محمَّد الهمداني، الدهقان، عدَّه الشيخ الطوسي في أول أمره من أصحاب العسكري (عليه السلام).

وروى الكشي في ترجمة إسحاق بن إسماعيل انه خرج له ـ أي لإسحاق ـ توقيع من أبي محمَّد (عليه السلام) فيه: واذا وردت بغداد فاقرأه علىٰ الدهقان، وكيلنا وثقتنا والذي يقبض من موالينا.

(٣) وقيل الشامي، ولم اتثبت من نسبته.

(٤) أبو الحسين محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن عون الاسدي الرازي الكوفي، عده الشيخ الطوسي في غيبته (٤١٥) من الوكلاء الممدوحين الثقات، وروى عن صالح ابن أبي صالح انه قال: سألني بعض الناس في سنة تسعين ومائتين قبض شيء فامتنعت من ذلك وكتبت استطلع الرأي فأتاني الجواب: بالري محمَّد بن جعفر العربي، فليدفع اليه فانه من ثقاتنا.

(٥) روى عن الكليني في الكافي (١: ٤٣٥ / ٩) والمفيد في الارشاد (٢: ٣٥٦) انه قال: ولد لي عدة بنين، فكنت أكتب وأسال الدعاء لهم، فلا يكتب اليَّ شيء من أمرهم، فماتوا كلهم، فلما ولد لي الحسن ـ ابني ـ كتبت أسال الدعاء له، فاجبت فبقي والحمد لله.

وروى الطوسي في غيبته (٣١٠/ ٢٦٣) عن محمَّد بن أحمد الصفواني رحمه الله تعالى انه قال: رأيت القاسم بن العلاء وقد عمر مائة سنة وسبع عشرة سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين، لقي مولانا أبا الحسن وأبا محمَّد العسكريين (عليهما السلام)، وحجب بعد الثمانين، وردت عليه عيناه قبل وفاته بسبعة أيام.

ومن أهل نيسابور: محمَّد بن شاذان[١].

هذا عدا من ورد ذكرهم في غيره من المصادر[٢]، أو ممَّن أغفلت المصادر ذكرهم فطواهم النسيان من ذاكرة التأريخ، ولكنهم عند ربِّك في كتاب محفوظ.

نعم ان التدبير المتقن في ادارة شؤون الامَّة وقيادتها يتطلَّب في كل ظرف اسلوباً خاصاً ونمطاً معيناً، وهذا ما نراه بيِّناً في قضية الامام المهدي (عليه السلام) لتجاوز عقد المصائد والمزالق المختلفة التي تقيمها السلفة الجائرة بوجه هذا الدعوة الإلهية المباركة، ووأد الموضوع المحيط به، وهو رد فعل طبيعي ومنطقي لا يتجاوزه عاقل مدرك.

ومن هنا فإن تفنن السلطة ودأبها في مطاردة الإمام (عليه السلام) لتصفيته وتصفية خط الإمامة المقدس المنتهي اليه، كان ينبعث أساساً من خلال التسرُّب اليه عن طريق أدق الخيوط الموصلة اليه، والتي تتجسد أوضحها في عوام الشيعة وبسطائهم، فعمدت الىٰ بث العيون المتجسسة بينهم والتي تدعي أحياناً رغبتها في إيصال بعض الاموال الىٰ الإمام (عليه السلام)، أو الىٰ من ينوب عنه، متذرعة بألف حجة وحجة، ولكن دون جدوى ودون أي فائدة.

حقاً أن السلطة لن تعدم من تجده ذليل النفس، وضيع الخلق، يُشترى بالمال، أو يركن الىٰ الاغراء والتهديد، بيد أن هذا الامر لم يكن

---

(١) محمَّد بن شاذان بن نعيم النيشابوري، صدر فيه توقيع من الناحية المقدسة نصه: وأما محمَّد بن شاذان بن نعيم فأنه رجل من شيعتنا أهل البيت (انظر: كمال الدين ٢: ٤٨٣ / ٤، غيبة الطوسي: ٢٩٠ / ٢٤٧، الاحتجاج: ٤٦٩).

(٢) أمثال أبي إسحاق إبراهيم بن مهزيار الذي تقدمت منا رواية ابنه الدالة علىٰ أن أبيه كان وكيلاً للإمام المهدي (عليه السلام)، حيث ورد فيها خروج التوقيع من الناحية المقدسة للابن: قد أقمناك مقام أبيك، فأحمد الله.

ليغرب عن تصور الإمام (عليه السلام)، أو عن تصور سفرائه علىٰ أدنى حد، فتباعدت الحلقات الموصلة اليه (عليه السلام)، وتشابكت حلقاتها، فلم تجد أمامها السلطة نفسها الّا في متاهة وضياع لا حدود له، وأُحبطت كل تدبيراتها ومخططاتها المتعددة.

ولعل فيما ذهبنا اليه من التأويل البسيط لتوزع الوكلاء وتنوع اتصالاتهم ما يعضد هذا الامر ويقويه.

وعموماً فإن هذا الامر يتطلّب دراسة أوسع، وتفحُّصاً أشمل لإدراك الكثير من الحقائق الخاصة المتصلة به، والممتدة من خلاله.

* * * * *

الحديث عن السرداب

الغريب أن يطالع المرء في كتب البعض كثيراً من التقوُّلات والترهات الباطلة التي لا يخفى على منصف تغرُّبها وتعارضها مع الحقيقة والواقع الباديين لادنى متأمِّل في حيثيات هذا الأمر.

وليس المثير للاسى أن تجد الشيعة هم أكثر الناس تعرُّضاً لمثل هذه التقوّلات الباطلة والسقيمة فحسب، بل ما تجده من الترديد الببغاوي لهذه الاقوال بعد أن وضح بطلانها، وبان عوارها، وتلك هي والله ثالثة الاثافي، وأمُّ الفواقر.

ولعل قضية السرداب الذي كان يتخذه الإمام المهدي (عليه السلام) مكاناً للتعبُّد ـ اسوة بما كان عليه جده الهادي وأبيه العسكري (عليهما السلام) ـ من القضايا التي انفتحت لها شهية أعداء التشيُّع، والمقتفين أثرهم ـ عمداً أو جهلاً ـ فاختلقوا ونسبوا الى الشيعة ما هم به براء، وحاولوا جاهدين الاساءة اليهم والى إمامهم بعناد وتجاهل للحقيقة يثير الاستغراب والاستهجان.

فتجد مثلاً من يدعي بأنَّ الشيعة تقف كل ليلة وبعد صلاة المغرب على باب هذا السرداب ينادون إمامهم بالظهور[1]!!، وكأنه مختف فيه ومتواري في عتمته!!

بل وتقرأ عن آخر يدعي بأنَّ الشيعة يضعون الخمس في هذا

---

(١) ذكر ذلك الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه الموسوم بالحركة الفكرية. فراجعه وتأمل واحكم بعد ذلك بما يمليه وجدانك واتّباعك للحق والحقيقة دون أي شيء غيرهما.

السرداب انتظاراً لظهور الإمام (عليه السلام) من غيبته وأخذه لها[١]!!

ولست أدري بمَ أُجيب هؤلاء وغيرهم، من الذين استرسلوا في تخرُّصاتهم الباهتة عناداً واصراراً على الجهل والمخادعة، حتى قادتهم خطاهم المتخبِّطة المتعثِّرة نحو هاوية الضياع والضلال والانحراف، لأنَّهم ـ ولا مغالاة فيما أقول ـ لو توقفوا هنيهة وتأمَّلوا فيما سطَّروه في كتبهم من ادعاءات ساقطة باهتة واضحة العوار لادركوا مقدار ما أساءوا فيه الى أنفسهم قبل أن يسيئوا الى طائفة كبيرة لها ثقلها ودورها وفضلها على عموم المسلمين، ولكن أعرضوا عنها صفحاً، ومرُّوا بها مروراً عاجلاً فتحمّلوا وزرها ووزر من تابعهم فيها.

نعم، فهذا السرداب الذي حوَّله هؤلاء وغيرهم الى اسطورة خيالية ومدخل للطعن بعقائد الشيعة ليس في حقيقته الّا مكاناً للعبادة حوى ذكريات ثلاثة من أئمة الشيعة (عليهم السلام) فحسب ـ هم: الهادي، والعسكري، والمهدي، (عليهم السلام) ـ كانوا يتهجَّدون فيه آناء الليل وأطراف النهار، وحيث أمضوا على ذلك شطراً من حياتهم، فما الغرابة في أن يقصده الشيعة للدعاء عنده والصلاة فيه اسوة بأئمتهم (عليهم السلام)؟

إنَّ في هذا السرداب الكثير من الذكريات الكريمة، والمواقف المباركة، ونحن إذ نقف فيه فأنّا نسترجع تلك اللحظات المليئة بالبركة والعطاء، وحيث أراد أئمتنا (عليهم السلام) أن يعلّمونا كيفية التوجه الصحيح الى

---

(١) أورد هذا الادعاء الباطل الآلوسي في كتابه (روح المعاني ١٠: ٥) عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى...﴾** الانفال ٨: ٤١.

حيث قال ما نصه: والظاهر ان الاسهم الثلاثة الاول التي ذكروها [أي الشيعة الإمامية] اليوم تخبأ في السرداب، اذ القائم مقام الرسول (صلى الله عليه وآله) قد غاب عندهم، فتخبأ له حتى يرجع من غيبته!! فاقرأ وتأمل.

الله تبارك وتعالىٰ، ونبذ عبادة غيره من الاوثان والطواغيت؛ الذين كانوا ولا زالوا يريدون أن يُعبدوا من دون الله تعالى، وهو ما دفع في رفضه ورده اولئك الائمة الاطهار حياتهم وما يملكون، فلِمَ نبخسهم حقَّهم من التكريم وقد كرَّمهم الله تعالى إذ جعلهم الحبل الممدود من الارض الىٰ السماء، وشركاء القرآن، وأُمناء الوحي بعد رسوله الاكرم (صلى الله عليه وآله)؟

لقد كانت تتردد في هذا السرداب أصوات تلاوة القرآن، وتأوهات القلوب الملتاعة من خشية الله تبارك وتعالى، ورهبة الوقوف بين يديه، حين كانت قصور أكثر الحكام العباسيين ـ ممَّنْ يمجِّد تأريخهم البعضُ جهلاً وظلماً ـ تموج بالراقصين والراقصات، والمخنَّثين من جواري السلاطين، والمستحمِّين جميعاً في أحواض الخمر، والغارقين في ليالي المجون والخلاعة والفساد، وبُركِ الدم والاجرام، فأين هذا من ذاك[1].

---

(١) روت المصادر التأريخية المختلفة أن تلك الحقبة شهدت شدة انحدار السلطة وترديها في الفساد والانحراف، حتى ضاعت هيبة دولة المسلمين بين شهوات ومباذل السلاطين، فتسلَّط علىٰ الحكام الجواري والغلمان، وامسوا هم الحكام الفعليين للدولة، فانهمكوا بإشباع نزواتهم ورغباتهم بأي وسيلة كانت، وتحت أي ذريعة ، فأستشرى الظلم وساد حتى ضجت الناس بالويل والثبور، وبان واضحاً فساد حالهم وتدهور أُمورهم، فتمزقت الأُمَّة شر ممزق، وتبعثرت أوصالها أي تبعثر.

هذا والحكام لا يصحون من أثر الخمر، ولا يلذ لهم إلّا مصاحبة الجواري والغلمان، واستماع الغناء ورنات الاوتار، حتى قال فيهم أبو فراس الحمداني الشاعر الكبير (ت ٣٥٧ هـ) في شافيته المشهورة مقارناً اياهم بأهل بيت النبوة (عليهم السلام):

منكم علية ام منهم وكان لكم	شيخ المغنين إبراهيم ام لهم
تبدو التلاوة من أبياتهم سحراً	ومن بيوتكم الاوتار والنغم

حتى ان هذه المصادر تذكر بان المتوكل ـ الشهير ببغضه وعدائه لاهل البيت

=

لقد اتخذ الإمام المهدي (عليه السلام) من هذا المكان ـ الذي كان يتخذه جده وأبيه (عليهما السلام) واحداً من أماكن العبادة، يتفرّغون فيه بعيداً عن الناس لعبادة الواحد الاحد، لاسيّما والسراديب كانت تقام ولا زالت كذلك في عصرنا الحاضر، في تلك العصور التي لم تعرف بعد وسائل التبريد التي نستخدمها ونعرفها الان لمواجهة حرارة الصيف اللاهبة، حيث تمتاز ببرودتها المنعشة التي يعرفها الكثيرون ممّن سكنوا أو نزلوا فيها ـ مكاناً من أماكن تهجده وتعبده، وفناءً لاسترجاع ذكريات أبيه وجده (عليهما السلام).

نعم، ليس هنا فلا غرابة في أن يتخذ الائمة (عليهم السلام) من هذا المكان مكاناً للتعبُّد، لمواجهة حرارة الصيف في مدينة سامراء التي كانت محاطة بالرمال والاتربة في عصرهم المبارك.

بلىٰ إنّ هذه هي حقيقة هذا السرداب الذي شهد عصر إمامين معصومين، وغيبة إمام معصوم ثالث، وهذا هو سر زيارة الشيعة له، لا كما يدّعي المخرّفون والمبطِلون.

= (عليه السلام) ـ كان في أشد حالات السكر حينما هجم عليه الاتراك وقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان، بل وقطعوهما ارباً حتى لم يميز احدهما عن الآخر... (راجع تأريخ الطبري ٩: ٢٢٦، الكامل في التأريخ لابن الاثير ٧: ٩٥، مروج الذهب للمسعودي ٥: ٣٧).

فبالله أقسم عليك ماذا نجيب أنفسنا ونحن نتأمل في تأريخ هؤلاء المليء بالفساد والظلم، ونقارنه بتلك الشجرة الطاهرة الطيبة التي أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهرها تطهيراً، هل هناك وجه للمقارنة والمفاضلة؟ كلا وألف كلا، وانه لمن الحيف والظلم الذي لا يغتفر افتراض هذه المقارنة لجلاء التباين والنفرة بين الاثنين، ولا يخالفنا بذلك عاقل قطعاً، فلم نبخس علىٰ الشيعة تبركهم بآثار هؤلاء الصالحين والتزود من ذكرياتهم العطرة، والتوسل بهم الىٰ الله تبارك وتعالى؟ انه مجرد تساؤل.

توقف لابد منه

إنَّ الاستعراض المتعجِّل لما جهد البعض تقوّله على الشيعة الإمامية يستدعي بالمنصفين وقفة حق لدرء حلقات التغريب والتبعيد التي تريد أن تنأىٰ بالمسلمين كل فرقة وطائفة بعيداً عن الأُخرىٰ ، خدم لاعداء الدين ، ونصرة لهم ، فما يزداد بعدها المسلمون إلّا تنافراً وتباعداً خلاف ما أراده الله تعالى ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) منهم ، وهو أعظم درجات الانحراف وأشده ، وهذا هو الداء العياء.

نعم ، لنقف جميعاً بوجه مثل هذه الافتراءات التي لا تريد للأُمَّة إلّا التفرُّق والتشتت ، وإن حاول مفتروها تجميلها وتزويقها ، ولكن ليس ذلك بمستطاعهم أبداً ، فانَّ عوارهم باد لكل متأمِّل ومتفحِّص ، وسينالهم الخزي والعار في الدنيا، وموعدهم الحساب ويوم الجزاء

* * * * *

انتهاء الغيبة الصغرى

ليس ثمة خلاف بان ورود الكتاب الشهير الىٰ السفير الرابع ـ الشيخ السمري (رحمه الله) ـ كان ايذاناً بانتهاء الغيبة الصغرى التي امتدت سبعين عاماً، حفلت بالكثير من الاحداث والوقائع المختلفة التي أفرزت جملة واسعة من المعطيات البعيدة العمق في تأريخ الكيان الشيعي الراسخ البنيان.

فهذه السنوات الممتدة علىٰ طول غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) الصغرىٰ لم تكن بحقبة عابرة غير ممهّدة للغيبة الثانية الكبرىٰ التي ما زلنا نعيش سنينها الممتدة حتى يأذن الله تبارك وتعالىٰ بانتهائها وظهور وليه المغيَّب عن الانظار والحاضر في قلوب شيعته ومواليه.

بلى، لقد كان مقدَّراً لهذا الإمام الذي يشكِّل ـ كما ذكرنا آنفاً ـ خلاصة الانبياء والاوصياء أن يغيب عن أعين الناس حتىٰ يحين الظرف المواتي له لإقامة حكم الله تعالى في أرضه، وكان مقدّراً أيضاً لهذه الغيبة ان يطول أمدها، ويمتد زمنها، وفي ذلك امتحان كبير وعسير يمتحن به شيعته ومحبوه ومواله، ويستدعي فيهم جهداً مضاعفاً، وجهاداً متواصلاً لا يسع أحد التصدّي له دون العدة اللازمة به، والتي أهمها الايمان القطعي به (عليه السلام)، واليقين بظهوره الذي لا يعلم وقته إلّا الله تبارك وتعالىٰ، وهذه مرتبة لا يلقّاها إلّا الصادقون المخلصون، وقليل ما هم.

ومن هنا، فإن الارادة الالهية الحكيمة بعد أن استنفذت غيبة الإمام الصغرى أغراضها، وبلغت أهدافها غيْبته عن أعين الناس حتى يحين وقت خروجه المنتظر.

بلىٰ، فلم يكن بهيِّن علىٰ الناس أن يفتقدوا إمامهم الثاني عشر

(عليه السلام) دون أن تتوطد صلتهم به، ويقطعوا بوجوده، وبتصديه لإمامتهم بعد وفاة إمامهم العسكري (عليه السلام)، رغم إدراكهم بعظم المحنة التي تحيط بهذا الإمام وبهم، بعد اشتداد كَلَب السلطة وحقدها على خط الإمامة المتمثّل أخيراً بالإمام المهدي (عليه السلام)، وجهدها المتواصل والحثيث للقضاء عليه بأي شكل كان، وهذا هو الامر الذي أقلق الشيعة ورجالها آنذاك كثيراً، وأثار في نفوسهم لزوم اختفاء الإمام (عليه السلام) عن أعين السلطة ورجالها الىٰ حين، وهذا ما حصل أبان الغيبة الصغرىٰ التي تقدّم منّا الحديث عن بعض وقائعها وأحداثها.

بيد أن اشتداد طلب الحكّام لهذا الإمام (عليه السلام) وأتباعه، وتوسُّلهم بكل الوسائل غير المشروعة جعل من ظهور الإمام (عليه السلام) أمراً غير ممكن الوقوع، ولابدّ له من مواصلة غيبته عن أعين الناس حتى يحين ظرف ظهوره الموعود.

ثم انَّ تضييق السلطة علىٰ سفرائه (عليه السلام)، واشتداد ذلك التضييق علىٰ السفير الرابع علي بن السمري (رحمه الله)، جعل الموقف أكثر حرجاً، وأعظم مشقة، حتى لم تعد لذلك السفير مساحة واسعة للتحرُّك كما كان عليه من سبقه، وذلك بيّن لمن تأمّل سيرته وتحرُّكاته.

ومن هنا، فانَّ من يلي هذا السفير سيجد الامر عليه مضيّقاً لا يسمح له بأي نشاط وتحرُّك، فتنتفي عند ذلك فاعلية سفارته عن الإمام (عليه السلام)، ويضمحل دوره.

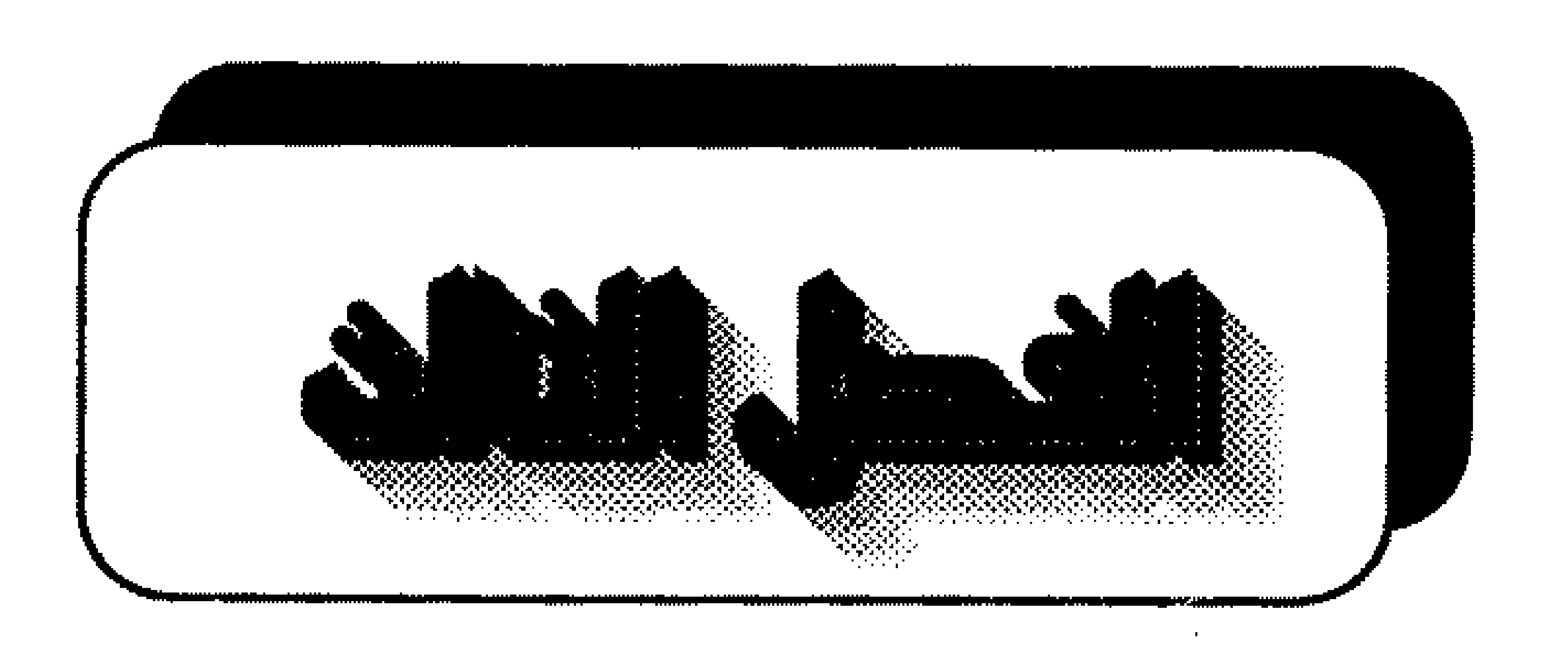
اذن فقد تكابلت الحلقات المطوّقة لاستمرارية السفارة عن الإمام (عليه السلام)، وأصبحت تلقي بظلال قاتمة علىٰ وجودها مع هذه الحالة المتأزّمة، بل وتصبح مصيدة تستخدمها السلطة لتصفية اتباع هذا الخلط الالهي المبارك، والنيل من روّاده، بعد أن تواصل هذا الامر سبعين عاماً

طويلة مليئة بالمشاق والصعوبات، وهذا ما لم يعد بخاف علىٰ أحد.

ثم إنَّ فترة السفارة هذه أوثقت عرىٰ الاتصال بين الإمام (عليه السلام) وشيعته، واثبتت فكرة وجود إمام معصوم هو خليفة لإمامهم العسكري (عليه السلام)، وأنه هو صاحب الغيبتين ـ القصيرة والطويلة ـ وانه لابدَّ أن يظهر يوماً ليقيم حكومة الله تعالى في أرضه، والتي مضى على انتظار قيامها جميع الانبياء والمرسلين والاوصياء المعصومين عليهم آلاف التحايا والتسليم.

نعم لقد كانت جملة هذه الحقائق ايذانا بشروع الغيبة الكبرى ـ التي لا زلنا نعيش عصرها الآن ـ بالتوقيع الصادر من الإمام (عليه السلام) الىٰ سفيره الرابع الذي جاء فيه: يا علي بن محمَّد السمري، أعظم الله أجر اخوانك فيك، فانك ميِّت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص الىٰ أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلّا باذن الله تعالى، وذلك بعد طول الامد وقسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً... الىٰ آخر الكتاب، والذي تقدَّم منّا ذكره آنفاً.

* * * * *



غيبته الكبرىٰ (عليه السلام)
وانتظار شيعته لظهوره
وعلامات ظهوره

المدخل

جبنا سوية وبعجالة تستوقفها بعض المحطات العابرة عباب بحر حقبة زمنية تضمَّخت أوصالها بالكثير من المعطيات والآثار المتعددة الابعاد، والتي مهَّدت السبيل لترتيب وتشكيل قواعد أساسية تستند عليها الأمَّة وتعتمدها في مسيرتها العبادية الواسعة الاكناف، والممتدة الابعاد.

فالذي تصفَّحنا سماته، وخضنا في غمراته، امتد لفترة عاصرت أواخر عهد إمام كان مقدَّراً له أن يخلف إماماً يهيل بمعاوله التراب على البرك الآسنة التي أزكمت أُنوف النجباء العارفين دهوراً طويلة، وأودت بحياة الكثيرين دون أن يرتجف لها جفن، أو يهتز له لها عضو.

بلى، لقد كان في التقدير الالهي، والتدبير السماوي أن يورث النور نوراً تستضيء به كلُّ العتم المظلمة والخبايا المعتمة، وأن يستنير بهداه عالم الوجود المترامي الاطراف.

بيد أن ظلم الانسان لأخيه الانسان، وإعماله أنيابه وأسنانه في لحمه، ونأيه عن وجوده الانساني أحال هذه المعمورة الى غابة موحشة لا يأمن أحد البقاء في أفيائها، ولا الركون الى جنباتها، فنفرها من عرفها، وعافها من تأمَّل فيها، واستطاب الكثير الهرب منها، والعزوف عن كل ما فيها...

نعم، هي هكذا تتشكَّل هذه الدنيا في أوضح صورها، وأدق تفاصيلها، وهذا ما يلقي على مبتغي الاصلاح عبئاً مضاعفاً، وتركة متراكمة ينوء بحملها الكثيرون، وأكثر ذلك القليل يعجز عن المواصلة والمتابعة،

وهنا هو الداء العضال.

ان النهوض من ربقة الواقع الفاسد يستلزم العدة التي ترتكز اليها السواعد القوية التي تستحثها الهمم المخلصة الواعية، وهذا الامر لا ينبعث من خواء ولا من فراغ، بل هو حاصل تحصيل إعداد وتهذيب وتشذيب، وذاك ما تثبت مدىٰ صوابه الايام، وهو الأمنية التي تختلج في أذهان اولئك الذين ينشدون عالم الخلاص هذا، وهو الارضية الممهدة لانبعاث ذلك النور الذي طال ترقُّب قدومه، وامتد عميقاً في ذاكرة التأريخ غيابه لدهور مرة متعاقبة يتلو بعضها بعضاً، وتتشابك معها حلقات الانتظار المشوب بالاسىٰ والحيرة والترقُّب، ولا زال ذلك المغيَّب عن الانظار، يستحث الأمَّة علىٰ مد جسور حضوره، وتمهيد سبل رجوعه، لتشرق الارض حينها بنور ربِّها، وتنسل الظلمة كالافاعي الملتاعة الىٰ جحورها، ولا يبقىٰ إلّا الخير الذي سيضرب بأطنابه الوارفة الظلال علىٰ عموم هذه الارض.

نعم، فمتىٰ يأتي هذا الزمان؟ فانَّ المحبِّين الملتاعين قد أرَّقهم وأضناهم الفراق، وهم دائماً في انتظار وترقُّب.

* * * * *

الغيبة الكبرىٰ اشارات وشواهد

ليس هناك ثمة ريب بأن شروع الغيبة الكبرىٰ المزامن لانتهاء الغيبة الصغرى عام (٣٢٩ هـ) علىٰ الرغم ممّا يصفه البعض من أنه مفاجأة أذهلت شيعة الإمام المهدي (عليه السلام)، وأصابتهم بحالة من الذهول والحيرة المشوبة بالالم والحسرة، الا انه ـ وان لامس بعض الحقيقة في تشخيصه ـ تشخيص تنقصه الكثير من الدقة والوضوح.

فليس بخاف على متأمّل المخاتلة النفسية التي تحاولها النفس البشرية في محاولتها تسكين اضطرابها عند توجّسها من وقوع الامور العظيمة والشديدة الاثر والمنطوية على عنصر الالم واللوعة من خلال اصطناع تأويلات وتفسيرات كثيرة متعددة يخلو معظمها من الواقعية والحقيقة، بل ومحاولتها الاعراض عن تلك الحقيقة القادمة، وتصرُّفها معها عند وقوعها وكأنها فوجئت بها، وصدمت بوقوعها، كحال الموت الذي لا بدَّ من أن تذوقه كل نفس... فان جميع البشر يتعاملون معه حين وقوعه وكأنهم لم يُسبقوا بحتمية هذا الوقوع، وأنه حتم لا مهرب ولا فرار منه.

بلى، كذا ترى عامة الناس تتعامل معه ومع غيره من الوقائع المؤلمة المقرحة للقلوب، والمحزنة للنفوس، ومنها قضية غيبة الامام المهدي (عليه السلام) عن أعين وأنظار شيعته، فالكثير من الاشارات والتلويحات الصادقة التي سبقت عصر هذا الامام (عليه السلام) كانت تقطع بوقوع هذه الغيبة وطول أمدها، واشتداد محنة شيعته فيها، وتواتر علىٰ نقل ذلك الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل.

ولعل استجلاء التراث العقائدي المبارك لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) يظهر بوضوح جلي مصداقية هذا الامر، وقطعية حصوله، وكونه من الأمور الحتمية التي لا مناص من وقوعها، وحيث واظب المطهّرون الصادقون من أهل بيت العصمة (عليهم السلام) في أكثر من مناسبة، على التلويح به، وأوقفوا الأمّة على حتمية حصوله، وهو ما يتبيّنه المستقرئ في متون الكثير من الكتب المختلفة التي تناولت قضية الغيبة وقسميها.

نعم، لم يكن ذلك الامر يكمن في عنصر المفاجأة كما يتوهمه البعض، بل كان في عظم الصدمة التي تلقاها الشيعة بغيبة امامهم، كحال من يشتد في البكاء على ميت عزيز له وهو يعلم بأنه ميت لا محالة في يوم من الايام.

بلى لقد كان رجال الشيعة في زمن حصول الغيبة يعلمون بحتمية وقوعها، ولكنهم كانوا يمنّون النفس بأن لا تحصل في عصرهم، ولا في زمانهم، نعم وكانوا أيضا يندبون حظهم بأنهم لن يطول بهم العمر ليروه بعد، لانّ الاخبار الثابتة كانت تشير الى امتداد عصر الغيبة وتطاولها، وأنّه (عليه السلام) سيظهر في آخر الزمان، وهذا هو مصدر حزنهم، ومبعث لوعتهم.

ولا غرو في ذلك، فقد تواترت الاخبار عن حتمية هذا الوقوع، وتواترت المصادر المختلفة كذلك في نقلها، وهذا ما سنحاول على عجالة التعرّض لبعضه في هذه الصفحات المحدودة.

فقد روى جابر بن عبدالله الانصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضل فيه الأمم، ثم يقبل كالشهاب ويملأها

عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً[١].

وفي رواية عبدالله بن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: علي بن أبي طالب إمام أُمّتي، وخليفتي عليهم بعدي، ومن ولده القائم المنتظَر الذي يملأ الله عزّ وجلّ به الارض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إنَّ الثابتين علىٰ القول به في زمان غيبته لأعز من الكبريت الاحمر.

قال ابن عباس: فقام اليه جابر بن عبدالله الانصاري فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟

فقال: أيّ وربي ﴿ **وَليُمَحِّص اللهُ الذينَ آمَنوا وَيَمحَقُ الكافِرينَ** ﴾[٢] يا جابر، إن هذا لأمر من الله تعالىٰ، وسر من الله تعالىٰ، مطوي عن عباده، فإيّاك والشك فيه، فإن الشك في أمر الله عزّ وجل كفر[٣].

وأمّا أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فقد روي عنه قوله: للقائم منّا غيبة أمدها طويل، كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته، يطلبون المرعىٰ فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم علىٰ دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة[٤].

وذُكر القائم عنده (عليه السلام) فقال: أما والله ليغيبن حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمّد (صلى الله عليه وآله) حاجة[٥].

وفي رواية عن الاصبغ بن نباتة أنه قال: أتيت أمير المؤمنين علي

---

(١) كمال الدين ١: ٢٨٦ / ١.
(٢) آل عمران ٣: ١٤١.
(٣) كمال الدين ١: ٢٨٩ / ٧.
(٤) كمال الدين ١: ٣٠٣ / ١٤.
(٥) كمال الدين ١: ٣٠٢ / ٩.

ابن أبي طالب (عليه السلام) فوجدته متفكّراً ينكت في الأرض، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما لي أراك متفكّراً تنكت الأرض، أرغبت فيها؟

فقال (عليه السلام): لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوماً قط، ولكن فكّرت في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي، هو المهدي، يملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً، وظلماً، تكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون.

فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن هذا لكائن؟

فقال (عليه السلام): نعم كما انه مخلوق، وأنىٰ لك بالعلم بهذا الأمر يا أصبغ، اولئك خيار هذه الأمّة، مع أبرار هذه العترة.

قلت: وما يكون بعد ذلك؟

فقال (عليه السلام): ثم يفعل الله تعالى ما يشاء، فإن له ارادات وغايات ونهايات[1].

وروى زرارة عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قوله: إنَّ للقائم غيبة قبل أن يقوم[2].

وروى عنه (عليه السلام) هانئ التمّار قوله: أن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسّك فيها بدينه كالخارط لشوك القتاد بيده. ثم أطرق (عليه السلام) ملياً ثم قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسّك بدينه[3].

بل وروى عنه المفضّل بن عمر الجعفي قوله (عليه السلام): إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، احداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم

---

(١) كمال الدين ١ : ٢٨٩ / ١.

(٢) غيبة النعماني: ١٦٦ / ٦.

(٣) كمال الدين ١ : ٣٤٦ / ٣٤، غيبة النعماني: ١٦٩ / ١١

يقول: قُتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى علىٰ أمره من أصحابه إلّا نفر يسير[١].

وعنه (عليه السلام) قوله: إنْ بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها[٢].

وروى علي بن جعفر عن أخيه موسى (عليه السلام) قوله: اذا فُقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم ولا يزيلنكم عنها، فانه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله تعالى يمتحن بها الله خلقه[٣].

ومن هنا، فإن التأمُّل في هذه الروايات وغيرها يظهر بجلاء ووضوح أن مسألة الغيبة لم تكن بحادث عرضي في حياة التعامل الفكري والميداني للشيعة، وكذا في البناء الفكري والعقائدي لها، حيث توالت الاشارات والتلميحات من قِبَل أهل البيت (عليهم السلام) بحتمية وقوع هذا الأمر، مع التعرُّض المبيِّن لعلة تلك الغيبة وظروفها، فتكاملت أبعاد هذا الأمر وترسَّخت في ذهنيتهم.

ثم انّا في استقراء بعض الروايات والأخبار المتفرِّقة المتعرِّضة لموضوع الإمام المهدي (عليه السلام)، نجد سريان هذا الاعتقاد في فكر الفرد الشيعي الىٰ الحد الذي يعتقد معه بإمكانية كون البعض من الأئمة (عليهم السلام) هم المهدي (عليه السلام).

نعم، ومن ذلك ما رواه الحميري في قرب الاسناد عن بكر بن محمّد وأبي بصير، من أنهما دخلا على أبي عبدالله جعفر بن محمّد

---

(١) غيبة النعماني: ١٧١ / ٥.
(٢) الكافي ١: ٣٤٠ / ١٥، غيبة الطوسي: ١٦٠ / ١١٨، غيبة النعماني: ١٨٨ / ٤٢.
(٣) كمال الدين ١: ٣٥٩ / ١، علل الشرائع: ٢٤٤ / ٤، غيبة الطوسي: ١٦٦ / ١٢٨، غيبة النعماني: ١٥٣ / ١١.

الصادق (عليه السلام) ـ وكان برفقتهما علي بن عبد العزيز ـ وسألاه إن كان هو المهدي الذي سيغيب ثم يظهر بعد، وخاطباه بقولهما: أنت صاحبنا؟

فأجابهم (عليه السلام): إني لصاحبكم! ثم أخذ (عليه السلام) جلدة عضده فمدَّها فقال: أنا شيخ كبير وصاحبكم شاب حدث[١].

ولا غرابة في ذلك فقد سبق منّا الحديث عن سريان فكرة المهدوية في عقائد الكثير من الاديان والمذاهب المختلفة، وترقُّب كل جماعة من هؤلاء لمنقذ أو مترجِم لاحلامهم التي عجزوا هم عن تحقيقها وعن الوصول اليها.

إنَّ سريان هذه الفكرة مصدره العقيدة الإسلامية بالإمام المهدي (عليه السلام)، والتي وإن اختلفت المذاهب في تفسيرها إلّا أنها تتفق فيما بينها علىٰ حتمية ظهور المهدي المنتظر في آخر الزمان ليقيم بسيفه حكم الله تعالىٰ في الأرض، ذلك الحكم الأُمنية الذي أفنى خيرة عباد الله تعالى حياتهم في وضع اسسه، وإقامة ركائزه، عاماً بعد عام، ودهراً بعد دهر، حين كان رموز الظلم، وخفافيش العتمة يعملون بمعاولهم جادين لنقض هذا البناء، وتخريب هذه الركائز، بيد أنهم قبل غيرهم يدركون بأنَّ الامر لن يطول بهم، وان ارادة الحق لابدَّ أن تُترجم، وعندها يسمو هذا البناء ويتطاول لتتحقق فيه جميع تلك الأحلام التي سُفح الكثير منها علىٰ مذبحة دهور القهر والظلم المشوبة بالانتظار والترقُّب.

---

(١) قرب الاسناد: ٤٤/ ١٤٢.

الشيعة بين الترقّب والانتظار

الانتظار في عقيدة التشيُّع له معنىٰ خاص ينطوي علىٰ نكهة خاصة متميِّزة تستدعي فهما خاصاً ودقيقاً له بعيداً عن النظرة السطحية، أو التقليد الأعمىٰ والانقياد السلبي، وهو ما يدفع بالبعض في المضيق عند محاولتهم تجريده من هذا المعنىٰ الخاص به، واللصيق به.

فإذا توهَّم البعض بأنَّ هذا الانتظار هو دعوة سلبية للنكوص والتقوقع والانزواء بعيداً عن واقع الاحداث وخضمها المضطرب الهائج، وأرسال العين حيرىٰ في الأفق البعيد ترقُّباً لما تأتي به الأيام، وتتمخَّض به الليالي، فانه تخرُّص وتقوُّل لا مصاديق حقيقية له في أرض الواقع الفكري للتشيُّع، بل وبعيد كل البعد عن السيرة العقلائية التي نادى بها كل المصلحين علىٰ هذه المعمورة، منذ خلقِها وحتىٰ يومنا هذا، وستبقىٰ كذلك حتى يظهر الله تعالىٰ وليَّه المغيَّب (عليه السلام).

فالانتظار السلبي الذي يروِّج له البعض ـ عمداً وجهلاً ـ بحجج ودعاوى تحمل في باطنها أدلة سقوطها وبطلانها، لا يمكن بأي شكل كان أن يتُرجم بانَّه هو الانتظار الحقيقي الذي يعيش الشيعة زمانه منذ شروع الغيبة الكبرىٰ للإمام المهدي (عليه السلام) في عام (٣٢٩ هـ) والىٰ يومنا هذا، لأنه اعراض واقعي وفكري عن المغزى الحقيقي لعلَّة الغيبة هذه، والتي يعزى أهم أسبابها، والعنصر الأساسي في حدوثها هو الخوف علىٰ الإمام (عليه السلام) من القتل بأيدي الظلمة، وهو ما سبق أن تقدَّم منّا الحديث فيها

آنفاً، فراجع[1].

ولا غرابة في ذلك، فإن استقراءالواقع المعاصر لولادة الإمام (عليه السلام) ونشأته الاولى يوشي صراحة بصواب هذا التصوُّر وهذا الفهم، والذي تعززه جملة الأخبار والروايات التي تعرَّضنا لها في المبحث الذي أشرنا اليه، والمصرِّحة بعدم توفُّر الأرضية الملائمة لظهور الإمام (عليه السلام)، وتصديه للواقع الفاسد الذي كانت تمر به الأمَّة آنذاك، وتحاصر به.

بلىٰ ويعزِّز ذلك أنَّ عملية التصدي هذه تستلزم وقوع الصدام الدموي بين طرفي النزاع هذين، بين السلطة وأزلامها الكثيرين المدججين بالاسلحة الفتّاكة من جانب، وبين الإمام (عليه السلام) وأعوانه المعدودين المغلوبين علىٰ أمرهم، والمنكوبين علىٰ طول الايام والسنين، للمرء ان يتصور كيف ستكون عليه مجريات هذا الأمر.

نعم فانه بلا أدنى شك قتال بين كفتين غير متعادلتي القوى، ولا يعسر علىٰ أحد أن يعد حساب الربح والخسارة المادية لها، ومعرفة نتائجها سلفاً، وهذا هو واقع الحال الذي عايشه الإمام (عليه السلام) وشيعته آنذاك، وأدركوا مغزاه، بل وكان غير خاف علىٰ الجميع.

اذن فلا غرو أن تتأجل هذه المنازلة الشرسة حتى حين تتوفَّر فيه للإمام (عليه السلام) شروطها المؤدية للنصر بإذن الله تعالى.

ولعل في توافر الاعوان المخلصين وتكاثر أعدادهم حول الإمام (عليه السلام) ما يستدعي به (عليه السلام) القيام بالسيف ـ وهي سيرته حين ظهوره ـ ومجالدة الظالمين والمفسدين في الأرض، وهذا ما تشير له جملة الأخبار والتصريحات التي ذهب اليها جملة من علماء الطائفة ومحققيها في

(١) تقدَّم الحديث عن ذلك في صفحة: ٦١ وما بعدها، فراجع.

مباحثهم ومناظراتهم الفكرية .

فمن ذلك ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله تعالى في رسالة له في الغيبة ، حيث يتعرّض أولاً الىٰ علة الغيبة التي طال أمدها ـ علىٰ ما ذكر ـ وامتدت بها الأيام[1] وذكر بأنّ سببها هو كثرة الاعداء ، والخوف علىٰ نفسه منهم ، وأن حاله يختلف عن حال آبائه (عليهم السلام) ، لأن الذي يظهر من أحوال الأئمة الماضين (عليهم السلام) انهم أُبيحت لهم التقية من الاعداء ، ولم يكلّفوا بالقيام بالسيف مع الظهور ، لعدم المصلحة في ذلك ، ولم يكونوا ملزمين بالدعوة ، بل كانت المصلحة تقتضي الحضور في مجالس الاعداء ، والمخالطة لهم ، ولهذا أذاعوا تحريم اشهار السيوف عنهم ، وحظر الدعوة اليها ، لئلا يزاحم الاعداء ظهورهم وتواجدهم بين الناس .

كما ان الائمة (عليهم السلام) قد أشاروا الىٰ مجيء منتظَر يكون في آخر الزمان ، إمام منهم ، يكشف الله تعالى به الغمة ، ويحيي به السنّة ، لا تسعه التقية .

فلما ظهر ذلك من السلف من آباء صاحب الزمان (عليهم السلام) ، وتحقق عند سلطان كل زمان وملك كل أوان ، علموا من الائمة الماضين (عليهم السلام) أنّهم لا يتديّنون بالقيام بالسيف ، ولا يرون الدعاء الىٰ أنفسهم ، وأنهم ملتزمون بالتقية ، وكف اليد ، وحفظ اللسان ، والتوفُّر علىٰ العبادات والانقطاع الى الله تعالىٰ بالاعمال الصالحات .

لما عرف الظالمون من الائمة هذه الحالات أمنوهم علىٰ أنفسهم ، مطمئنين بذلك الىٰ ما يدبّرونه من شؤون أنفسهم ، ويحقّقون من دياناتهم ، وكفّهم ذلك عن الظهور والانتشار ، واستغنوا عن الغيبة والاستار .

---

(١) كان ذلك قبل أكثر من ألف عام ، فتأمل .

لكن إمام هذا الزمان (عليه السلام) لما كان هو المشار الي بسل السيف والجهاد لأعدائه، وأنّه هو المهدي الذي يُظهر الله تعالى به الحق، ويبيد بسيفه الضلال، كان الاعداء يترصدونه، ويبغون قتله، ويطلبون قتله وسفك دمه.

وحيث لم يكن انصاره متهيئين الىٰ وقت ظهوره، لزمته التقية، وفرضت عليه الغيبة، اذ لو ظهر بغير أعوان لألقىٰ بيده الىٰ التهلكة، ولو أظهر نفسه في غير وقته لم يأل الاعداء جهداً في استئصاله وجميع شيعته، واراقة دمائهم علىٰ الاستحلال.

ولما ثبتت عصمته بأدلتها وجب استتاره من أعدائه حتى يعلم ـ يقيناً لا شك فيه ـ حضور الاعوان، واجتماع الانصار، وتكون المصلحة العامة في ظهوره بالسيف[١].

---

(١) الرسالة الثالثة في الغيبة: ٣.

وفي رسالته الرابعة (١٢) ذكر أيضاً: ولمّا كان إمام هذا الزمان (عليه السلام) هو المشار اليه بسلّ السيف من أول الدهر في تقادم الايام المذكورة، والجهاد لأعداء الله تعالىٰ عند ظهوره، ورفع التقية عن اوليائه، وإلزامه لهم بالجهاد، وأنّه هو المهدي الذي يظهر الله تعالىٰ به الحق، ويبيد بسيفه الضلال، وكان المعلوم أنّه لا يقوم بالسيف إلّا مع وجود الانصار، واجتماع الحفدة والأعوان، ولم يكن أنصاره (عليه السلام) عند وجوده متهيئين الىٰ هذا الوقت موجودين، ولا علىٰ نصرته مجمعين، ولا كان في الارض من شيعته طراً من يصلح للجهاد وأن كانوا يصلحون لنقل الآثار، وحفظ الاحكام، والدعاء له بحصول التمكّن من ذلك الىٰ الله عزّ وجل، لزمته التقية، ووجب فرضها عليه كما فرضت علىٰ آبائه (عليهم السلام).

لانه لو ظهر بغير أعوان لألقىٰ بيده الىٰ التهلكة، ولو أبدىٰ شخصه للأعداء لم يألوا جهداً في ايقاع الضرر به، واستئصال شيعته، واراقة دمائهم علىٰ الاستحلال، فيكون أعظم الفساد في الدين والدنيا، ويخرج به (عليه السلام) عن أحكام الدين وتدبير الحكماء.

ولما ثبتت عصمته، وجب استتاره حتى يعلم يقيناً ـ لا شك فيه ـ حضور الأعوان

=

اذن فإن الذي يُستشف من قول الشيخ رحمه الله تعالىٰ جملة موارد أدت الىٰ وقوع الغيبة واستمرارها، وهي:

١ ـ أنَّ العلَّة الاساسية للغيبة كانت حفظاً للإمام (عليه السلام) من القتل، وهذا ما تقدّمت منّا الاشارة اليه مراراً.

٢ ـ عدم توفُّر الأرضية التي كان يمكن للإمام (عليه السلام) اعتمادها للقيام بالسيف حين تصديه للأمر.

٣ ـ ستبقى الغيبة متواصلة طالما بقيت قلة أعوانه وأنصاره المستعدين للتضحية والجهاد قضية قائمة.

نعم، فإنَّ توفر عناصر ثورة الإمام (عليه السلام) ضد الانظمة الفاسدة ـ التي تطاول عليها الامد، فامتدت لها جذور واسس متشابكة في عمق الارض ـ من أهم العوامل المؤدية لنجاح هذا الامر، واستمرارية اندفاعه، لانه يستدعي بالامام (عليه السلام) وأنصاره اجتثاث جذور هذه الانظمة، واقامة بناء جديد علىٰ انقاض تلك الخربات التي عانت منها الأمم الامرَّين، وذاقت بوجودها السم الزعاف.

فما ينبغي أن يترجمه الشيعي من الولاء للإمام المهدي (عليه السلام) في زمن غيبته هو العمل الدؤوب لاعداد النفس وترويضها من جانب، والتصدي لمظاهر الفساد والظلم والانحراف من جانب آخر، لتمهيد الأرضية الصلبة التي ترتكز عليها ثورة الإمام المهدي (عليه السلام) عند ظهوره، وهي التي كانت ولا زالت تحوجه (عليه السلام) وتأخر ظهوره المرتقب.

كما أنَّ في الانتظار المخضَّب بيقين الظهور، وباحقانية المعتقد رغم توالي المحن، واشتداد الصعاب، وتزايد الفتن، خير ترجمة للاستعداد

= له، واجتماع الأنصار، وتكون المصلحة في ظهوره بالسيف، ويعلم تمكُّنه من اقامة الحدود، وتنفيذ الأحكام.

العقائدي الباعث على توفُّر وبناء تلك القاعدة التي ذكرناها.

ومن هنا فإنَّ التأمُّل في مجمل الروايات الكثيرة المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) يُظهر بوضوح جلي حقيقة ما ذكرناه وما أشرنا اليه.

وعموماً فقد ازدانت كتب الحديث المختلفة بجملة واسعة من الروايات المتعلِّقة بالانتظار وثوابه، وكيفية أشكاله ومسمياته.

ومن هنا فانّا سنحاول هنا ان نستعرض جانباً من تلك الروايات المبثوثة في تلك الكتب:

فمن ذلك ما رواه الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قوله: أفضل أعمال أُمّتي انتظار فرج الله عزّ وجل[1].

وما روي عنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً: من رضي عن الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى عنه بالقليل، وانتظار الفرج عبادة[2].

وروىٰ جابر بن عبدالله الانصاري عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: يغيب عنهم الحجة لا يسمّىٰ حتى يُظهره الله تعالى، فإذا عجّل الله تعالى خروجه، يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً.

ثم قال (صلى الله عليه وآله): طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين علىٰ محجّتهم اولئك وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: **﴿الَّذينَ يُؤمِنونَ بِالغَيبِ﴾**[3] وقال: **﴿اولئِكَ حِزبُ اللهِ ألا إنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحونَ﴾**[4][5].

---

(١) عيون أخبار الرضا (ع) ٢: ٣٦ / ٨٧.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٢٣ / ٤.
(٣) البقرة ٢: ٣.
(٤) المجادلة ٥٨: ٢٢.
(٥) كفاية الأثر: ٦٠.

وروي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله تعالى، فإنَّ أحب الأعمال الىٰ الله تعالىٰ انتظار الفرج.

وقال (عليه السلام) أيضاً: الآخذ بأمرنا معنا غدا في حظيرة القدس، والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله تعالى[1].

وأمّا الإمام السجّاد (عليه السلام) فقد روي عنه أبو خالد الكابلي قوله: تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) والائمة من بعده.

يا أبا خالد، إنَّ أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان، لانَّ الله تعالىٰ ذكره أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسيف، اولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة الىٰ دين الله تعالىٰ سراً وجهراً.

وقال (عليه السلام): انتظار الفرج من أعظم الفرج[2].

وروى عنه عمرو بن ثابت قوله: من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله تعالى أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحد[3].

وروى أبو بصير عن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام) قوله: طوبىٰ لمن تمسَّك بأمرنا في غيبة قائمنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية.

فقال له أبو بصير: جعلت فداك، وما طوبى؟

فقال (عليه السلام): شجرة في الجنة أصلها في دار علي بن أبي طالب

---

(١) الخصال: ٦٢٥/ ١٠.
(٢) كمال الدين١: ٣٢٠/ ٢.
(٣) كمال الدين١: ٣٢٢/ ٧.

(عليه السلام)، وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن من أغصانها[١].

وروى عنه (عليه السلام) أيضاً: ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجل من العباد عملاً إلّا به؟

فقال له: بلى.

فقال (عليه السلام): شهادة أن لا اله إلّا الله، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله، والإقرار بما أمر الله تعالى، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا، يعني أئمة خاصة، والتسليم لهم، والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم.

ثم قال (عليه السلام): إنَّ لنا دول يجيء الله بها اذا شاء.

وأضاف (عليه السلام) أيضاً: من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الاخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الاجر مثل أجر من أدركه، فجدُّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيَّتها العصابة المرحومة[٢].

وروى عنه علاء بن سيابة قوله (عليه السلام): من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم[٣].

وسأله أحد أصحابه: ما تقول فيمن مات على هذا الأمر منتظراً له؟

فقال (عليه السلام): هو بمنزلة من كان مع القائم في فسطاطه.

ثم سكت (عليه السلام) هنيئة ثم قال: هو كمن كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٤].

وروى (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: طوبى لمن

---

(١) كمال الدين٢: ٣٥٨ / ٥٥، معاني الأخبار١: ١١٢ / ١.
(٢) غيبة النعماني: ٢٠٠ / ١٦.
(٣) المحاسن: ١٧٣ / ١٤٧.
(٤) المحاسن: ١٧٣ / ١٤٦.

أدرك قائم أهل بيتي وهو مقتد به قبل قيامه، يتولىٰ وليّه، ويتبرأ من عدوه، ويتولىٰ الائمة الهادية من قبله، اولئك رفقائي وذوو ودي ومودتي، وأكرم أمّتي ـ وفي رواية: أكرم خلق الله ـ علي[1].

وروى عنه زرارة أنّه قال (عليه السلام): يأتي علىٰ الناس زمان يغيب عنهم إمامهم.

فسأله زرارة: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟

فقال (عليه السلام): يتمسّكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبين لهم[2].

بلى إنّ عظم المحنة التي أحاطت بالشيعة ابان الحضور الظاهري المقدّس للائمة (عليهم السلام) نتيجة تمسكهم باحقانية أهل البيت (عليهم السلام)، واعلان مظلوميتهم والدعوة اليهم، قد أمست أكثر تأزُّماً، وأشد معاناة بعد غياب الإمام الثاني عشر (عليه السلام)، وحيث تتلوّن أساليب معارضيهم بألف لون ولون، وتتجلبب بألف جلباب.

فهم تارة يشدِّدون من قبضتهم عليه، ويضيِّقون عليهم الخناق، ويوصدوا دونهم سبل الحياة المشروعة، فيجد الشيعي نفسه محاصراً مقيَّداً مغلوب علىٰ أمره.

وتارة أخرى يلجأون الىٰ المراوغة والمداهنة والمخاتلة بغية دفعهم الىٰ زاوية تسلبهم كل قدراتهم وامكانياتهم.

وتارة ثالثة يعملون علىٰ قلب الحقائق، وتشويه الوقائع، والكذب والافتراء والتقوُّل علىٰ عقيدة التشيُّع بما هو غريب عنها، مفترىٰ عليها، عسى أن يقيموا بين الناس وبين التشيُّع ردماً واسعاً، وسداً حائلاً.

ورابعة سوق رجال الشيعة وقادتهم الىٰ السجون المظلمة، والغياهب

---

(١) كمال الدين ١: ٢٨٦ / ٢، غيبة الطوسي: ٤٥٦ / ٤٦٦.

(٢) كمال الدين٢: ٤٣٧ / ٢٤.

الموحشة.

وخامسة اللجوء الى التصفية الجسدية عند يأسهم من ادراك مبتغاهم الخبيث باعتماد وسائلهم السابقة.

ومن هنا فقد أمسى موضوع التمسّك بولاية أهل هذا البيت الطاهر (عليهم السلام) من أشق الأمور وأعسرها على الشيعي، وحيث باتت تقلّبه الأحداث بين فكيها، وتمزّقه بأضراسها وقوطعها.

بل وكان المرء يضيق عليه الأمر إن صرح بشيعيّته، حين كان غيرهم من المنحرفين والفجّار، ومن أصحاب المبادئ والأفكار الهدّامة ينعمون برغد العيش، ويتقلّبون في النعيم، وتلك والله من مهازل الدهر التي أتى بها مخالفو النص الشرعي القاطع بوجوب ايكال الإمامة والخلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) الى أهل بيت النبوة، الأمناء على الوحي، وخزنة علم النبوة، والنجوم التي يُهتدى بها، وسفن النجاة التي غرق من أعرض وتخلّف عنها.

نعم، ولكن هوى النفس، واتباع شهواتها أوصل هذه الأمّة الى ما هي عليه من التمزُّق والتشتت، والتبعثر والتشرذم، وتسلُّط الفجّار والمارقين على رقاب المسلمين، وارتقائهم لمنبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل والتكلُّم بأسم الشريعة، وهم أشد الناس عداء لها، وبغضاً وتمزيقاً بها، وتلك والله أم الفواقر، وثالثة الأثافي، والمصيبة الكبرى.

بلى، وأقولها وفي الحلق شجى: هكذا ضاع الحقُّ وأهله في أرض المسلمين التي تدين لأهل هذا البيت الطاهر بكلِّ نعيم وخير وصلت اليه، وتنعّمت به، وتقلّبت في أفيائه.

فإذا كان معاوية أول من سنَّ رسمياً العداء لأهل البيت الطاهر

(عليه السلام)[١]، واتَّبعه بعد ذلك خلفه من تلك الشجرة الملعونة في القرآن، أو من نظرائهم ومناوئيهم من العباسيين[٢]، ووقفوا موقف المباين والمعادي

---

(١) روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج (١١: ٤٤): أنَّ معاوية بن أبي سفيان كتب [أيام تسلُّطه علىٰ الأمَّة ظلماً وجوراً] نسخة الىٰ عماله: أن برئت الذمَّة ممَّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته.
يقول: فقامت الخطباء في كل كورة وعلىٰ كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه [فتأمل في وضاعة معاوية وصفاقته وشدة انحرافه] ويقعون فيه وفي أهل بيته [اولئك الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً].
وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام)، فاستعمل عليها زياد بن سمية [سُمِّي كذا لمجهولية أبيه، وأشتراك جماعة فيه، فتأمَّل] وضم اليه البصرة.
فكان ابن سميَّة يتَّبع الشيعة وهو بهم عارف، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم علىٰ جذوع النخل، وطردهم، وشرّدهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.
وكتب معاوية الىٰ عماله في جميع الآفاق: ان لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.
ثم كتب الىٰ عمّاله نسخة واحدة الىٰ جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، واسقطوا عطائه ورزقه.
وشفع ذلك بنسخة أُخرىٰ: من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به، واهدموا داره.

(٢) لم تكتف الدولة العباسية بما لحق أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم من ظلم الامويين وجرائمهم، بل بالغوا أكثر في ذلك، ولم يدخروا جهداً في التضييق عليهم ومطاردتهم، والتفنن في تعذيبهم وقتلهم، حتى فاقوا أسلافهم وبزوهم، وتواضعوا بكل مفاسدهم أمامهم.
نعم، فبعد أن أمتطى العباسيون موجة الأحداث، وتاجرا بشعار الدعوة للرضا من آل محمَّد (صلى الله عليه وآله)، أداروا لأهل البيت (عليهم السلام) ظهورهم، وانقلبوا عليهم، ونالوا منهم ومن أتباعهم أكثر مما ناله منهم الامويون، حتى قيل فيهم:
تالله ما فعلتْ أُميَّةُ معـ ... شارَ ما فعلتْ بَنو العبّاسِ

لهذه الدوحة الطاهرة المباركة، فإنَّ الأيام ودورانها جعلت من هذا التباين والاختلاف شيئاً لا يسع أحد الاعراض عنه، وبدأت الأُمّة ـ ومن خلال التأمُّل السطحي بمنهج هذه الحكومات الفاسدة، ناهيك عن الاستقراء والتفحُّص، تستشعر شدة انحراف هؤلاء الحكّام عن جادة الصواب ومنهج الحق الذي جاءت به الشريعة الاسلامية العظيمة، وسُفحت في سبيل تثبيته الكثير من القرابين الطاهرة منذ فجر الدعوة الاسلامية والى هذا اليوم.

نعم، إنّ موقف الأُمّة المتبلور حول أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) الشرعيين، وتنديدها بالموقف المنحرف للحكومات المتلاحقة الفاسدة، كان كجرس الخطر المؤذن بسقوط هذه الأُنظمة المتسلِّطة على رقاب المسلمين، وانفضاضها عنها، واقرارها بأحقانية المنهج النقي لاتباع مدرسة النبوة المقدَّسة، فثارت أحقاد الحكّام المبعثة عن مخاوفهم الكبيرة التي تجيش في صدورهم وجوانحهم، ولم يجدوا منفذاً يفرغون فيه أحقادهم هذه إلّا في تكريس عدائهم لأهل البيت (عليهم السلام) ولا تباعهم.

ونتيجة لذلك فقد أصبح الحقد مركَّباً، والعداء مستشرياً ومتمكِّناً، وأمست أساليب التطويق والتضييق، والنفي والتشريد، والاستباحة والقتل أكثر وحشية وقسوة، ونالت بلهيبها القريب والبعيد، فضجَّت الأرض والسماء بما تريا، وما يعاينا من هذه الأفعال التي يندىٰ لها جبين الانسانية، وتقشعر لها جلود الوحوش.

اذن فلا غرو أن يلجأ الشيعة الىٰ التقية التي أباحتها لهم الشريعة الإسلامية لحقن دمائهم، وصيانة أعراضهم، وحفظ أموالهم من هذا الجور الذي لا يُطاق، ولا يحتمل.

ولا عار على الشيعة في لجوئها الى ذلك أبداً، بل هم مضطرون ومجبرون على سلوك هذا المنهج الذي أباحته لهم الشريعة الاسلامية

السمحاء في مثل هذه المواقف، ومغالط للحقيقة من يدعي ان ذلك عار يلحق بسالكيه، لانَّ الخزي والعار ـ ويوافقني في ذلك العقلاء ـ يلحق بمن ألجأ الشيعة الىٰ ذلك، واضطرهم اليه اضطراراً.

ومن هنا فانَّك ترىٰ الكثير من الأخبار المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) وهي تدعو الشيعة الىٰ التزام الحذر، والترقُّب والانتظار، وكذا الىٰ تجنب كثير من الاحداث ـ التي تحاول أن تجرّهم اليها مخاتلة السلطة ـ وتدعو كذلك الى التفحُّص في عللها وأسبابها كثيراً... فالذي نالهم كان كثيراً، وما يراد بهم أكثر وأكثر[1].

بلى، وهذا هو علة ما يذكّر به الائمة (عليهم السلام) من جزيل الثواب وعظيمة في البقاء على هذا الامر في هذه العصور المرَّة، والسنين العصيبة التي أحاطت بأتباعهم، وأحالت أيامهم الى حزن وألم ومرارة وخوف.

إنَّ الثواب الجزيل الذي وعد به المرابطون على ولاء أهل بيت نبيِّهم (عليهم السلام) والثابتون على جادَّتهم القويمة، وسبيلهم الأقوم كنتيجة منطقية لحالة الصبر والتسليم لأمر الله تعالىٰ يُراد بها من طرف آخر التمحيص العقائدي لمن يدعي الولاء لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) والانتماء اليهم.

نعم، إنَّ الكثرة الكاثرة لا تمثِّل شيئاً في الموقف المبدأي والعقائدي اذا لم يصاحبها اليقين والتسليم والولاء المطلق، والوقوف كالجبال الراسية

---

(١) قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): وأصبروا علىٰ البلاء، ولا تحرِّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فانَّه من مات منكم علىٰ فراشه وهو علىٰ معرفة حق ربه، وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره علىٰ الله تعالى، واستوجب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام اصلاته لسيفه، فإنَّ لكل شيء مدة وأجلاً.

(راجع شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ١٣: ١١١).

قبالة العواصف العاتية، والتيارات المتدافعة، حيث تذوي في الشمس قطع الشمع وفصوص الثلج، وذلك ليس هو المبتغىٰ بمن يحمل هذه العقيدة المباركة التي سترث يوماً هذه الارض بعد صراع دام مع قوىٰ الشر والظلام والفساد التي تقف مدججة بأعتىٰ أنواع أسحلة التدمير وأفتكها.

إنَّ الامر يتطلَّب قلوباً كزبر الحديد، ونفوساً كالجبال الشامخة، لا تعرف الخوف، ولا ينتابها الشك، ولا يعتريها الوهن... وما أقل هؤلاء الذين لو كثروا لما طال الغياب بامامنا (عليه السلام).

وليس ثمة شك بأنَّ هذه المحن المتلاحقة التي أحاطت بالشيعة كانت خير محك لا ختبار نفوسهم، وامتحان قلوبهم، ليبين الصادقون عن الكاذبين، والموالون عن المدعين، وتلك هي سنَّة الله تعالىٰ في أرضه.

ولقد أشار أهل البيت (عليهم السلام) في أحاديثهم وتوصياتهم الى وقوع هذا الامر، ودعوا الشيعة الى الصبر في مواجهة محن البلاء المتلاحقة التي تطاردهم وستطاردهم، وأنَّ الله تعالىٰ لم يكن ليترك أحداً دون فتنة وبلاء ليبين على حقيقته، ويترجم على أرض الواقع ايمانه.

قال الله تعالىٰ في سورة آل عمران: **﴿ما كانَ اللهُ ليَذَرَ المؤمِنينَ علىٰ ما أنتُمْ عَليهِ حتىٰ يَميزَ الخَبيثَ مِنَ الطيِّبِ﴾**[1].

وقال سبحانه في نفس السورة: **﴿وَليمَحِّصَ اللهُ الذينَ آمَنوا وَيَمحَقَ الكافِرينَ﴾**[2].

وقال تبارك وتعالىٰ ايضا: **﴿وَليَبتَليَ اللهُ ما في صُدُورِكُم وَليُمَحِّصَ ما في قُلوبِكُم وَاللهُ عَليمٌ بِذاتِ الصُدورِ﴾**[3].

---

(١) آل عمران ٣:١٧٩.

(٢) آل عمران ٣:١٤١.

(٣) سورة آل عمران ٣:١٥٤.

وفي سورة العنكَبوت قال تعالىٰ: ﴿ألم * أحَسِبَ النّاسُ أنْ يُترَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُم لا يُفتَنونَ * وَلَقَد فتَنّا الَّذينَ مِنْ قَبلِهِم فَلَيَعلَمَنَّ اللهُ الَّذينَ صدَقوا وَلَيَعلَمَنَّ الكاذِبينَ﴾[1].

فالتمحيص والابتلاء حتم يطارد المؤمن حتىٰ يبتلىٰ ما في قلبه وما في سريرته، علىٰ ما فيه من الاعداد والتهذيب والتشذيب له لتناط به مسؤوليات أكبر ومهام أعظم، وكذا هي حالة الغيبة التي ابتليت بها الشيعة، وما أحاط ويحيط بها من مشاق وصعوبات ومحن متلاحقة افرزت بأحداثها المتوالية والمتتالية الصادقين في ما ادعوا الانتساب اليه عن المبطلين والمدعين الذي تقمصوا رداء التشيع زوراً وبهتاناً، وامتطوا الاحداث غفلة وغيلة، فسقطوا في وحل الخزي غير مأسوف عليهم.

فغير خاف على أحد كثرة من يدعي لنفسه الولاء لاهل بيت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والتمسُّك بحبلهم، والالتزام بمنهجهم رياء أو أبتغاء لغرض دنيوي وجاه معنوي، أو تقليداً غير واع ومتبصِّر، فتهزّهم الأحداث، وتطوف بهم الوقائع، فلا تجدهم إلّا متلاشين عاجزين لا خير يرتجىٰ فيهم، لا شر يدفع بواسطتهم، وليس هذا هو ما يبتغي من الشيعي الذي يريده أهل البيت(عليهم السلام)، والذي سيخوض مع الإمام المهدي (عليه السلام) الصعاب الشداد التي لا تقوي عليها إلّا النفوس التي قدَّت من الحجر، وضمِّخت بالعلم والإيمان.

ولا ريب أنَّ في المطالعة المتأنِّية لبعض الاخبار المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) والمختصة بهذا الجانب المهم والحسّاس تظهر بوضوح حقيقة هذا الامر وغايته، وكيف أنَّ الائمة (عليهم السلام) أرادوا من

---

(١) العنكبوت ٢٩:١ ـ ٣.

شيعتهم أن يكونوا فوق مستوىٰ هذه المحن والابتلاءات، وأن يتخذوا منها دروساً ومناهجاً تربوية في طريق وصولهم الىٰ مرحلة التهيأ والاستعداد لزمن الحضور المقترن بهذا الاستعداد، والذي امتد وطال به الأمد، واستدارت به الأيام حتىٰ قيل: متى؟ دون أن يدرك الكثيرون منّا أنّ لهذا التأخير أسباباً حِكَماً ينبغي أن نتدارسها لنعجِّل سوية في هذا الظهور.

بلى، فالترابط العضوي بين الامام المهدي (عليه السلام) وبين شيعته واستعدادهم لتحمل عبء دعوته التي ستهتز لها الارض من أدناها الى أقصاها هو العنصر المهم الذي ينبغي أن لا يغرب عن مخيَّلتنا ونحن ندعو له (عليه السلام) بقرب الفرج، والتعجيل بالظهور.

نعم، والتمحيص والابتلاء الذي أحاط بالشيعة على أمتداد هذه الدهور المتعاقبة وسيلة ربّانية لاعدادهم وتربيتهم، وتشذيبهم وتهذيبرهم، وصولاً الىٰ هذه الغاية المقدَّسة.

ومن ثم فانّا ينبغي بنا أن نستعرض سوية بعضاً من الاخبار والروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام)، والمتناولة لهذا الامر الذي أشرنا اليه.

فمن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) من أنّه قال: والذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتىٰ لا يبقىٰ منكم ـ أو قال: من شيعتي ـ إلّا كالكحل في العين، والملح في الطعام، وسأضرب كم مثلاً، وهو مثل رجل كان له طعام فنقّاه وطيَّبه، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله تعالىٰ، ثم عاد اليه فاذا هو قد أصابه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيَّبه، ثم أعاده الىٰ البيت فتركه ما شاء الله تعالىٰ، ثم عاد اليه فاذا هو قد أصابته طائفة من السوس، فأخرجه ونقّاه وطيَّبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتىٰ بقيين منه رزمة كرزمة الأنذر لا يضره السوس شيئاً، وكذلك أنت تميَّزون

حتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً[١].

وما روي أيضاً عن أبي جعفر (عليه السلام) من قوله: لتمخضنَّ يا معشر الشيعة ـ شيعة آل محمَّد (صلى الله عليه وآله) ـ كمخيض الكحل في العين، لأنَّ صاحب الكحل يعلم متىٰ يقع في العين، ولا يعلم متىٰ يذهب، فيصبح أحدكم وهو يرىٰ أنَّه علي شريعة من أمرنا فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو علىٰ شريعة من أمرنا فيصبح وقد خرج منها[٢].

وسأله (عليه السلام) جابر الجعفي قائلاً: متىٰ يكون فرجكم؟

فقال (عليه السلام): هيهات هيهات، لا يكون فرجنا حتىٰ تُغربلوا، ثم تُغربلوا، ثم تُغربلوا ـ يقولها ثلاثاً ـ حتىٰ يذهب الكدر ويبقىٰ الصفو[٣].

وقال أبو بصير: قال الإمام محمَّد بن علي الباقر (عليه السلام): إنَّما مثل شيعتنا مثل أندر ـ يعني بيدراً فيه طعام ـ فأصابه آكل فنقي، ثم اصابه آكل فنقي حتىٰ بقي منه ما لا يضره آكل، وكذلك شيعتنا، يميَّزون، ويمحَّصون حتىٰ تبقىٰ منهم عصابة لا تضرّها الفتنة[٤].

وروي الحميري في قرب الأسناد عن أبي جعفر (عليه السلام) أنَّه قال: والله لا يكون الذي تمدُّون اليه أعناقكم حتىٰ تميَّزون وتمحَّصون، ثم يذهب من كل عشره شيء، ولا يبقىٰ منكم إلّا نزر. ثم تلى (عليه السلام) قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبتُم أنْ تَدخُلوا الجَنَّةَ وَلَمّا يَعْلَم اللهُ ٱلَّذينَ جاهَدوا مِنْكُم وَيَعلَم الصابرينَ﴾**[٥][٦].

---

(١) غيبة النعماني: ٢١٠ / ١٧.

(٢) غيبة الطوسي: ٣٣٩ / ٢٨٨ ، غيبة النعماني: ٥٢ / ١٢.

(٣) غيبة الطوسي: ٢٣٩ / ٢٨٧.

(٤) غيبة النعماني: ٢١١ / ١٨.

(٥) آل عمران ٣: ١٤٢.

(٦) قرب الاسناد: ٣٦٩ / ١٣٢١ ، وانظر كذلك : غيبة الطوسي: ٣٣٦ / ٢٨٣ ، عيون

وروي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: والله لتكسرن كسر الزجاج، وأنّ الزجاج يُعاد فيعود كما كان.

والله لتكسرن كسر الفخار، وأنّ الفخار لا يعود كما كان.

والله لتمحّصنّ، والله لتُغربلن كما يُغربل الزؤان[١] من القمح[٢].

وروى عنه منصور أنّه قال (عليه السلام): يا منصور، إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلّا بعد اياس، والله حتىٰ تميّزوا، لا والله حتىٰ تمحّصوا، لا والله حتىٰ يشقى، ويسعد من يسعد[٣].

وقال (عليه السلام) أيضاً: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسّك فيها بدينه كالخارط للقتاد ـ ثم قال: هكذا، بيده ـ ثم قال (عليه السلام): إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسّك بدينه[٤].

وروىٰ محمّد بن منصور عن أبيه أنّه قال: كنّا عند أبي عبدالله جماعة نتحدّث فالتفت الينا فقال: في أي شيء أنتم؟ أيهات أيهات لا والله لا يكون ما تمدون اليه أعينكم حتىٰ تُغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدون اليه أعينكم حتىٰ تميّزوا، لا والله لا يكون ما تمدون اليه أعينكم إلّا بعد اياس، لا والله لا يكون ما تمدون اليه أعينكم حتىٰ يشقىٰ من شقي ويسعد من سعد[٥].

= أخبار الرضا(عليه السلام) ١: ٢٥٨ / ١٤، تحف العقول: ٤٤٥.

(١) الزؤان: ذكر ابن منظور في لسان العرب (١٣:١٩٣): ان الزؤان حب يكون في الطعام، واحدته زؤانة، وقد زئن.

والزؤان الذي يخالط البر، وهي حبة تسكر، وهي الدنقة ايضا.

(٢) غيبة الطوسي: ٣٤٠ / ٢٨٩، غيبة النعماني: ٢٠٧ / ١٣.

(٣) كمال الدين٢: ٣٤٦ / ٣٢.

(٤) كمال الدين٢: ٣٤٦ / ٣٤.

(٥) غيبة الطوسي: ٣٣٥ / ٢٨١، غيبة النعماني: ٢٠٨ / ١٦.

وروى عنه عبد الرحمن بن سيابة أنّه قال (عليه السلام): كيف أنتم اذا بقيتم بلا امام هدىً، ولا علم، يبرأ بعضكم من بعض، فعند ذلك تميّزون، وتمحّصون، وتغربَلون[١].

وخاطب ابراهيم بن هليل أبا الحسن (عليه السلام) قائلاً: جعلت فداك، مات أبي على هذا الامر، وقد بلغت الستين ما قد ترىٰ، أموت ولا تخبرني بشيء؟

فقال (عليه السلام): يا اسحاق أنت تعجل.

فقال له: أي والله أعجل، وما لي لا أعجل وقد كبر سني، وبلغت أنا من السن ما ترىٰ.

فقال (عليه السلام): أما والله يا أبا اسحاق ما يكون ذلك حتىٰ تميّزوا وتمحّصوا، وحتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا الأقل. ثم صغّر (عليه السلام) كفه[٢].

وأمّا صفوان بن يحيىٰ فقد روىٰ عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قوله: والله لا يكون ما تمدون اليه أعينكم حتىٰ تمحّصوا وتميّزوا، وحتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا الأندر فالأندر[٣].

---

(١) كمال الدين٢: ٣٤٨ / ٣٧.
(٢) غيبة النعماني: ٢٠٨ / ١٤.
(٣) غيبة النعماني: ٢٠٨ / ١٥.

الخلاصة في مفهوم الانتظار

ثم ونحن نحط أزوادنا في محطة الانتظار الاخيرة لا يسعنا إلّا أن نستجلي سوية ما تقدَّم منّا من أدراك اسلوب ترجمة الانتظار الذي يمتد بامتداد الغيبة الكبرىٰ للإمام (عليه السلام)، ولا ينتهي إلّا بانتهاء بواعثها وأسبابها، والتي أشرنا إليها آنفا في مطاوي أحاديثنا السابقة، وتعرَّضنا الى بعض شواهدها ومفردات حقائقها.

كما إنّا أشرنا ولو باختصار الىٰ أنَّ اسلوب الانتظار ليس كما يتوهمه البعض من انه الانزواء بعيداً عن الاحداث، والسلبية في التعامل معها، والتسليم المطلق لاندفاعاتها انتظاراً لما تأتي به الايام.

نعم إنَّ هذا الفهم السلبي للانتظار ليس هو من عقيدة التشيع بشيء، بل يراد به الانتظار المبرمج بالاستعداد والتهيأ، وترقب الاحداث بعين الحكمة والتأمُّل، وعدم التخبُّط في ترجمة هذا المعتقد الىٰ تجربة واقعية، بل اخضاعها للموازين الثابتة الشرعية التي جاء بها الإسلام العظيم.

والاستعداد هذا في تربية النفس واعدادها يتطلَّبه الدور المناط باتباع الإمام المهدي (عليه السلام) ابان ظهوره المرتقب، من خلال الغرض المرتجىٰ بثورة الإمام (عليه السلام).

ولا يخفىٰ على أحد كثرة مانكرره من القول بانَّه (عليه السلام) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أنْ ملئت ظلماً وجوراً، والمسافة الممتدة بين الفعلين تحوي كثيراً من المهمات الحساسة التي يشق علىٰ كل أحد التصدِّي لها دون العدة والاستعداد، والتي ينبغي أن تهيأ في سنين الانتظار.

ثم أنَّ في دراسة جملة المهام التي تنيطها الرسالة بالإمام المهدي (عليه السلام) حين ظهوره تنسحب تبعاتها بلا ريب على اتباعه، والتي يمكننا الإشارة الى بعضها من خلال التعرُّض الى جانب من دعاء الندبة الشهير الذي تكرره الشيعة في مناسبات كثيرة، وبالاخص منها في صبيحة كل يوم جمعة، وحيث يحوي خطاباً موجهاً الى الإمام المهدي (عليه السلام) من خلال ما يرتجى منه حين ظهوره المنتظر والمرتقب.

نعم، لنقرأ سوية ولنتأمَّل فيه بتدبُّر لندرك عظم المهام الملقاة على إمامنا (عليه السلام) وعلى اتباعه وأصحابه، ولنكون على بصيرة بما ينبغي أن يكون عليه من يرتجي أن يكون من هؤلاء المخلصين الذين تشتاق الى اشراقتهم الأرض والسماء، والأودية والجبال.

يقول الدعاء في مخاطبته للامام (عليه السلام):

أين المعد لقطع دابر الظلمة؟

أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج؟

أين المرتجىٰ لازالة الجور والعدوان؟

أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن؟

أين المتخيَّر لاعادة الملَّة والشريعة؟

أين المؤمَّل لإحياء الكتاب وحدوده؟

أين محيي معالم الدين وأهله؟

أين قاصم شوكة المعتدين؟

أين هادم أبنية الشرك والنفاق؟

أين مبيد أهل الفسوق والعصيان؟

أين حاصد فروع الغي والشقاق؟

أين طامس آثار الزيغ والأهواء؟

أين قاطع حبائل الكذب والافتراء؟

أين مبيد أهل العناد والمردة؟

أين مستأصل أهل العناد والتضليل والالحاد؟

أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدىٰ؟

أين الطالب بذحول الانبياء؟

أين المطالب بدم المقتول بكربلاء؟

أين المنصور علىٰ من اعتدىٰ وافترىٰ؟

نعم، كل هذه الاماني الكبيرة تراود أذهان الشيعة منذ أكثر من ألف عام من الغياب المستمر للإمام المهدي (عليه السلام)، بل وكلها مهام ومشاق تنتظره (عليه السلام)، وتنتظر من يقوم معه... فكيف يسعهم ذلك دون الاستعداد والتهيأ، والعمل الجاد الدؤوب للارتفاع بالمستوىٰ الذي يؤهِّلهم لمرافقة الإمام المهدي (عليه السلام)، والتقيُّد بتوجيهاته وأوامره، وهذا هو ما سبق أن أشرنا اليه آنفا، وتحدَّثنا عن لزومه، فتأمَّل.

* * * * *

الخلاصة تحت المجهر

رب سائل يتساءل: ما الذي ينبغي اعداده وتوافره في طريق ظهور لإمام المهدي (عليه السلام)، بل وما هو دور رجال الشيعة ومحبي الإمام (عليه السلام) في العمل على تقصير هذه الغيبة المتطاولة، والتعجيل بظهوره؟

نعم، وهذه التساؤلات لا بدَّ أن ترتسم في ذهن المتأمّل في مطاوي صفحات كتابنا السالفة، ونحن نحمّل أنفسنا وغيرنا مسؤولية امتداد وتطاول غيبة الامام المهدي (عليه السلام)، والتي لم يكلّف البعض منّا نفسه غير الركون والاستكانة ومد اليد بالدعاء، وكأنَّ الله تعالىٰ لم يحجب وليه (عليه السلام) في أرضه لحكمة ولغرض وتقدير رباني مناظر للظرف الشائك الذي أحاط بهذا الإمام، وأعاقه عن أن يؤدي دوره المناط، والذي يتطلّب به (عليه السلام) جهداً خاصاً. وفعلاً واسعاً يستلزم شروطاً خاصة ترتبط بالواقع الذي تعلن به ثورته المترقبة على طول الدهور والعصور، وبالقاعدة الشعبية التي يرتكز عليها (عليه السلام) عند اعلانه لهذه الثورة.

ولما كانت الظروف اللاحقة لعصر غيبته (عليه السلام)، وما تلاها، ما نعاصره الآن تحمل عين أسباب غيبته، إن لم تكن أكثر منها تعقيداً وتشابكاً، فانَّ ذلك يحمل في مطاويه أكبر البواعث علىٰ استمرار هذه الغيبة، تواصل اختفاء الإمام المهدي (عليه السلام) عن أعين شيعته ومحبيه من جانب، وعن نواظر وسيوف أعدائه المتربّصين به من جانب آخر.

فما الذي يترتّب على المترقّبين والمتلهفين لتلك الطلعة البهية للتعجيل بظهورها، وانقضاء سنوات الحزن والغربة التي تتابع متثاقلة بعيداً عن ذلك الاشراق السماوي، والنور الإلهي الذي سيحيل هذا السواد

المجلِّل لهذه الارض الى ضياء تستنير به كل القلوب المكلومة، والافئدة المكروبة التي طال بها وبغيرها الانتظار، حتىٰ أمست تردد في عشية وضحاها: متىٰ يكون الظهور يا أيها المنتظَر على طول الدهور؟

بلى، إنَّ هناك جملة مشخَّصة من الشروط التي ينبغي أن نحث الخطا نحوها، بصدق نية، وصبر وتحمُّل، لنعمل سوية من أجل التعجيل بهذا الظهور، والتي يمكن تخليص بعض منها بما يلي:

١ ـ الالتزام الواعي بالفكر الاسلامي الصحيح، بعيداً عن الأطروحات الشاذة والغريبة التي تروِّج لها المحافل الغربية والمنحرفة السائرة في ركابها، والتي تحاول جاهدة اقامة صروح بديلة مزوقة هشة قبالة الصروح الشامخة للعقيدة الاسلامية، من خلال التلاعب بالمفردات، والكذب والتمويه والافتراء.

بلى، فما يطالعنا بين الفينة والأخرىٰ من الدعوات المتجلببة برداء التصحيح، والصادرة عن هذه الدوائر المشبوهة، والمدعومة من قبلها، تشكِّل في حقيقتها صورة صارخة من أحابيل أعداء هذا الدين في خداع السذَّج والبسطاء من رجال هذا الدين، وحرفهم عن جادة الصواب، والمنهج السليم الذي يتقدمه ركبه الائمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام).

وحقاً إنّا لا نقف ضد الدعوات المخلصة والصادقة لتشذيب الدين من الشوائب التي علقت به، ونسبت ظلماً اليه، كما تقدَّم منّا الحديث عنه في كتابنا السالف (رسالة عقائدية) إلّا إنّا نقف بشدة ضد معاول الهدم التي يسمها روادها جوراً بمباضع التصحيح، والتي لا تؤتي ثمراً إلّا الحنظل والزقوم.

ومن هنا فانَّ الادراك الواعي للعقيده الاسلامية المباركة، بعيداً عن

التقليد والمحاكاة والانقياد الاعمى، هو الغاية التي يجب أن تسعى جميعاً نحوها للوصول الى اقامة القاعدة المتينة التي يستند اليها الامام المهدي(عليه السلام) في ظهوره، والتي تشكّل عنصراً اساسياً في تعجيل هذا الظهور.

٢ ـ التزود المتواصل من مناهل العلم والفكر الاسلامي النقي الصادر عن مشكاته الاساسية التي أقامها لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وركّزها لنا خلفاؤه وأوصياؤه المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام).

٣ ـ التمسُّك بالمثل والاخلاق السامية التي حدَّدتها لنا الشريعة الاسلامية. وبيَّنت لنا مواصفاتها، وترويض النفس على تقبُّلها، والتعامل مع ما يحيطها من خلالها.

فالاستقامة، والشرف، والشجاعة، والصدق، وغيرها من مصاديق الخلق الاسلامي مواصفات لازمة لرواد الحق الإلهي، وعشاق الظهور المرتقب للإمام المهدي (عليه السلام).

٤ ـ التوكُّل المطلق على الله تبارك وتعالى ونبذ الاستعانة بغيره، والاعتماد على غيره.

فلا يجد المرء شخصاً استعان في قضاء حوائجه، وتحقيق مآربه بغير الله سبحانه، إلّا وأصابه الذل، ولحقه الاستصغار، ولفّته الاستهانة به ويمتغاه.

ولعل المطالعة المتأمّلة للوقائع اليومية لحياة البشر المتعددة الجوانب، تظهر بوضوح جلي صدق هذا التصوُّر، وصواب هذا المدعي... لانَّ الانسان بطبعه مركَّب من خصال الخير والشر، التكبُّر والتواضع، الزهد والجشع، السلب والايجاب، حين لا تجد لهذه المتناقضات مصاديق في الذات الالهية الكاملة.

فهو سبحان وتعال مطلق الكرم، ومطلق العطاء، ومطلق الخير... هو سبحانه من يعطي ويرزق دون حساب، لا حاجة له بعطاء مخلوق، ولا بطاعته، بل يقابل جحود عبده بكرمه، وعصيانه بمغفرته... يعلم سبحانه بعظم ما يجترحه عباده من المعاصي والمنكرات في خلواتهم ولا يفضحهم ولا يخزيهم، رغم كونهم عاصين له، مخالفين لاوامره، وهذا لم لن تجده في عموم البشر إلّا من استخلصه الله تعالىٰ لطاعته، وارتضاه دليلاً لأمّته.

كما أنَّ هذا التوكُّل الصحيح علىٰ الله تبارك وتعالىٰ يرتبط اساساً باتِّباع المنهج القويم الذي اختطه لنا اولياء الله وعباده الصالحون، دون اللجوء لغيره، أو الاستناد اليه، لانَّ السبل المتغرِّبة عن سبيل الله تعالىٰ تتفرَّق برواها في متاهات الضياع التي لا حدود لها، وعندها تقود بخطاها المتعثِّرة أصحابها نحو الهلاك والخسران المبين.

٥ ـ التحسس الواقعي بمعاناة مستضعفي هذه الأمَّة، والعمل الجاد والمدروس لرفع الحيف عنهم، وانتشالهم من وهدة الاستضعاف التي تحيق بهم، وتطبق عليهم بفعل المتجبِّرين والمستكبرين الذين توارثوا ـ ظلماً وقسراً ـ مراكز القوى في هذا العالم، فجرَّعوا بأفاعيلهم وأعمالهم المنحرفة والفاسدة المستضعفين غصص الموت الزؤام دون أبسط رحمة أو انسانية، فلم يعد أمام هؤلاء المساكين إلّا التثبُّت بالأمل الموعود المرتقب الذي يرفع عنهم هذا الحيف وهذا الظلم، في عصر تسود فيه العدالة بقاع الأرض وفيافيها، وتنهار فيه مراكز الظلم والتجبُّر بأيدي القضاء الالهي الذي لابدَّ أن يعمل منتظريه سوية لتمهيد أرضية قيامه وثورته.

٦ ـ تجاوز عقد التنافر المذهبي الحادة التي تروِّج لها مراكز الكفر ومخابئ التخلُّف، والعمل الجاد والواعي من أجل ارساء أُسس التفاهم

لإقامة قاعدة اسلامية موحَّدة قوية انقياداً لأمر الله تبارك وتعالىٰ في محكم كتابه الكريم، اذ قال جل اسمه:

﴿وَاعتَصِموا بِحَبلِ اللهِ جَميعاً وَلا تَفَرَّقوا وَاذكُروا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إذ كُنتُم أعداءً فَألَّف بَينَ قُلُوبِكُم فَأصبَحتُم بِنعمَتِهِ إخواناً وَكُنتُم علىٰ شَفا حُفرَةٍ مِنَ النّارِ فَأنقَذَكُم مِنها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ لَعَلَّكُم تَهتَدونَ﴾[1].

نعم، إنَّ الطريق القويم الموصل الى طاعة الله تبارك وتعالىٰ يدعو الىٰ نبذ الخلاف والتفرُّق بين أُخوة الدين الواحد، واشاعة روح التلاقي والتقارب بينهم، واعتماد الاسلوب العلمي الرصين في التوصل الى القاعدة السليمة التي يرتكز عليها هذا الدين الحنيف.

ولا يخفىٰ علىٰ أحد أنَّ المحاورة الرصينة، والجدال البنّاء هو خير اسلوب يمكن اعتماده لتجاوز خطوط التباعد الوهمية التي كان وما يزال دعاة التفرُّق والاختلاف في دأب متواصل لترسيخها وتثبيتها، ومحاولة تضخيمها قبالة نقاط الالتقاء الكثيرة التي لا تخفىٰ علىٰ الباحثين والدارسين.

بلى، فانَّ النهضة الموعودة للإمام المهدي (عليه السلام) تسلتزم قاعدة واعية مدركة، تسمو بها أفكارها عن واقع التشرذم والتنافر، والاحقاد الصفراء المصطنعة والموهومة، بل وتحلِّق بها هذه الأفكار عالياً في عالم الملكوت العظيم.

٧ ـ التكافل والتعاضد بين عموم المسلمين، واستحداث حلقات التواصل والتنسيق المشترك بينهم.

---

(١) آل عمران ٣: ١٠٤.

اقول: إنَّ التأمُّل في هذه المفردات المحددة الكلمات، الكبيرة المعاني، يقود الانسان الىٰ ادراك ماهية الانسان المؤمن الذي ستناط به مسؤولية مساندة الامام المهدي (عليه السلام) في ثورته الكبيرة التي ستهد باذن الله تعالىٰ أركان وقواعد الكفر والفساد المتجذِّرة، والتي أفنىٰ الصالحون من عباد الله تعالىٰ والمخلصون حياتهم في التصدي لها، والتحذير من مخاطرها، وخاضوا مع دعاتها وأذنابهم من المعتاشين على فتات موائدهم معارك قاسية متواصلة خلَّفت أنهاراً واسعة من الدماء التي صبغت أرض المعمورة من أدناها الى أقصاها، وبتواصل لا انقطاع له، جيلاً بعد جيل، وعهداً بعد عهد، وستبقىٰ هكذا حتىٰ يأذن الله تعالىٰ بظهور الامام المهدي (عليه السلام) وثورته بأصحابه المخلصين الممتحنين، الذين أوقفوا أنفسهم في خدمة طريق المتسامي، حيث مَنَّ الله تعالىٰ عليهم بالمزيد من العطاء والتكريم، فصاروا خير قوم أُعدُّوا لخير أمر.

روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قوله: كأنِّي بأصحاب القائم (عليه السلام) قد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس من شيء إلّا وهو مطيع لهم، حتى سباع الأرض، وسباع الطير تطلب رضاهم في كل شيء، حتى تفخر الأرض على الأرض، وتقول: مرَّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم (عليه السلام)[1].

وروى أبو بصير عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: ما كان يقول لوط: ﴿لو أنَّ لي بِكُم قُوَّةً أو آوي الىٰ رُكنٍ شَديدٍ﴾[2] إلّا تمنياً لقوة القائم (عليه السلام)، ولا ذكر إلّا شدة أصحابه، وأنَّ الرجل منهم ليعطىٰ قوة أربعين رجلاً، وأنَّ قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مروا بجبال الحديد

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٧٣ / ٢٥.

(٢) هود ١١: ٨٠.

لقلعوها، ولا يكفون سيوفهم حتىٰ يرضىٰ الله عزّ وجلّ[1].

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٧٣ / ٢٦.

الغيبة الكبرىٰ وولاية الفقيه

لما أعلنت الغيبة الكبرىٰ للإمام المهدي (عليه السلام)، وبموجب كتابه الاخير (عليه السلام) الى وكيله الرابع أبي الحسن علي بن محمَّد السمري رحمه الله تعالىٰ ـ والذي تقدَّمت منّا الإشارة اليه في أكثر من مورد ـ فقد كان ذلك ايذاناً بانقضاء عهد وجود النائب الخاص عن الإمام (عليه السلام)، وبقاء الأمّة تركة في أعناق الفقهاء المجتهدين الجامعين للشرائط، والذين دعا الإمام (عليه السلام) أمّته الرجوع اليهم في استحصال المنهج الصواب الواجب الاتباع.

فقد مر منّا في كتابه الأخير (عليه السلام) الىٰ سفيره الرابع قوله للأمّة:

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فانّهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليكم.

وبذلك التوجيه المتضمه هذا الخطاب فقد فُتح الباب على واسعاً وعلىٰ مصراعيه لمناقشة هذا الأمر المهم والحساس في عقيدة التشيُّع، والذي تفرضه وتمليه حالة الغياب الظاهري للإمام المعصوم (عليه السلام)، وتؤكده الشواهد والادلة النقلية والعقلية المتوافرة في الفقه الشيعي الكبير.

نعم فرغم أنَّ الفقهاء في أخذ ورد بين قبول اناطة الولاية الخاصة بالإمام (عليه السلام) الى الفقهاء فيعصر غيبته هذه، وبين عدمها، إلّا أنَّ ظاهر الادلة يوحي بوجوب تولّي الفقهاء الجامعي للشرائط هذه المسؤولية المهمة ادامة لعصر الحضور المقدَّس. وحفظاً للأمّة من الضياع والتخبُّط.

وعموماً فانَّ من يقول بالرأي الاول يعضده ـ كما ذكرنا آنفاً ـ الدليلان العقلي والنقلي، واللذان سنحاول التعرُّض لهما بعجالة

واختصار[1].

١ ـ الدليل العقلي:

لمّاكانت الأمم المختلفة على طول الدهور والعصور بحاجة الى من يدير شؤونها، ويدبّر أمورها، ويتولّىٰ وضع وتطبيق القوانين المعدة لهذا الامر، لادراكها القطعي بانّ في غياب هذا التدبير وعدم تطبيقه الحكم علىٰ تمزّق هذه الأمّة وتبعثرها، بل وفتح الباب علىٰ مصراعيه لذوي المآرب الفاسدة والنوايا السيئة للتسلق على أكتاف المغلوبين على أمرهم، ومصادرة حقوقهم واستعبادهم.

ومن هنا فقد ترسّخت في أذهان الجميع فكرة وجوب أقامة حكومة قوية عادلة تتولّىٰ ادارة شؤونهم، وتنظّم حياتهم، وذلك أمر نفسي غريزي لا يستطيع عاقل أن يتخلىٰ عنه أو يعارض الحاجة اليه، بل وهو ما تشير اليه بوضوح كتب الفلاسفة والمفكّرين، وعلماء الاجتماع والنفس، حيث تجزم جميعها بان النظم الاجتماعي واستقراره يتكافئ مع وجود الحكومة وقدرتها ومدىٰ تطبيقها للعدالة.

واقتراناً مع هذا الفهم المنطقي فانّ قدرة الحكومة علىٰ ادارة شؤون الأمّة يستلزم بها شروطاً ومواصفات خاصة تؤدي بتوفرها وتطبيقها الى تحقيق مفهوم العدالة في المجتمع الانساني، واقامة نظامه الذي هو طلبة العقلاء والمصلحين على طول الدهور.

بيد أنّ الامر الذي لا ينبغي أنْ نغفل عنه هو وجوب توفر النظام المتكامل الذي تستقر عليه هذه التطبيقات، وتنبعث منه ضمن مسارب خاصة ومتينة لا يعتريها الوهن. ولا يدب فيها العجز، ولا تخضع قطعاً

---

(١) تقدّم منّا الحديث عن هذا الموضوع مفصّلاً في كتابنا الموسوم برسالة عقائدية (ص١٣٢) فراجع.

للاهواء والامزجة والمصالح الذاتية، وهذا هو مركز الخلل الذي تعاني منه جميع النظم البشرية رغم ادعائها بتمثيلها وتطبيقها لمفهوم العدالة الواسع والكبير.

ولا غرابة في ذلك، فانَّ الانسان باعتباره مخلوق بشري جُمعت في ذاته المتناقضات بطرفيها السلبي والايجابي، وثبت عدم قدرته علىٰ الاستيعاب الكامل والادراك الدقيق للحاجات البشرية وكيفية تنظيمها وتوظيفها بما يؤدي الى رفاه البشرية وسيادة العدل على أطرافها.

نعم كل ذلك يستلزم وجود نظام كامل صادر عن قدرة مطلقة كاملة، وليس هناك من يمتلك هذا غير الله تبارك وتعالىٰ والنظم الصادر عنه، والمترجَم بواسطة رسله وأنبيائه (عليهم السلام).

فالشرائع السماوية باعتبار صدورها عن القوة والكمال المطلق، هي وحدها القادرة علىٰ تطبيق هذا الامر وحفظ ديمومته، والشريعة الاسلامية التي نسخت بها جميع الاديان السماوية الأخرىٰ، وجاءت خاتمة لها جميعاً ـ لا سيما بعد التحريف الشنيع الذي أصاب ما سبقها ـ هي النظام الوحيد القادر علىٰ تولّي إقامة وتطبيق هذا النظام، والمجسَّد عملياً بواسطة حملة علومها والمنفِّذين لمناهجها.

وإذا تصدىٰ الائمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) لادارة شؤون الأمّة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فانَّ المتخرِّجين من مدرستهم، والمرتكزين علىٰ علومهم من الفقهاء المجتدين هم بلا شك خلفائهم ومترجمي علومهم ، والنواب عنهم.

نعم، اذا كان هؤلاء العلماء هم القناة السليمة المركزة على علوم الدوحة المحمدية المباركة فلن يجد المرء أولىٰ منهم للتصدي لهذا الامر وتطبيقه.

ثم أن التصدي لهذا الامر يستطلب بالفقيه جملة من الشروط والضوابط التي ينبغي أن يتصف بها، والتي أفرد لها فقهاؤنا الاعلام مباحثاً واسعة لتفصيلها ومناقشتها، ولا يسعنا هنا وضمن هذه الوريقات المحدودة التعرُّض لها، والخوض في تفصيلاتها، وحيث لا يعسر على باحث استقراؤها من مظانها.

٢ ـ الدليل النقلي:

كثيرة هي الادلة المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، والداعية الى اتِّباع الولي الفقيه في غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام)، والمصرِّحة بشرعية هذه الولاية وأهميتها بالنسبة للأُمَّة.

فمن ذلك ما رواه الشيخ محمَّد بن يعقوب الكليني في الكافي بسنده عن عمر بن حنظلة من أنَّه سأل أبا عبدالله الصادق (عليه السلام) عن رجلين من الشيعة بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما الى السلطان أو الى القضاة، أيحل لهما ذلك؟

فأجابه (عليه السلام): من تحاكم اليهم ـ في حق أو باطل ـ فانَّما تحاكم الى الطاغوت، وما يحكم له فانَّما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له، لانَّه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله تعالى بأنْ يُكفر به، قال الله تعالى: **﴿يُريدونَ أنْ يَتحاكَموا الى الطّاغوتِ وَقَدْ أُمِروا أنْ يَكفُروا بِهِ﴾**[1].

فقال له حنظلة: فكيف يصنعان؟

فأجابه (عليه السلام): ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فاني قد جعلته عليكم حاكماً، فاذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فانَّما استخف بحكم الله

---

(١) النساء ٤:٦٠.

تعالىٰ وعلينا رد، والراد علينا الراد علىٰ الله، وهو علىٰ حد الشرك[١].

وما رواه الشيخ الطوسي (رحمه الله) تعالىٰ في تهذيبه بسنده عن أبي خديجة من أنّه قال: بعثني أبو عبدالله (عليه السلام) الى أصحابنا وقال: قل لهم: إيّاكم اذا وقعت بينكم خصومة أو تدارىٰ بينكم في شيء من الأخذ والعطاء أن تتحاكموا الى أحد من هؤلاء الفسّاق، اجعلوا بينكم رجلاً ممَّن عرف حلالنا وحرامنا، فانّي جعلته قاضياً، وايّاكم أن يخاصم بعضكم بعضاً الىٰ السلطان الجائر[٢].

وغير ذلك من الروايات والاخبار التي تراجع في مظانها، والتي تشير صراحة الىٰ نيابة الفقيه العادل عن الإمام الغائب (عليه السلام)، وتصديه لادارة شؤون الأمّة، وتدبير أمور دينها ودنياها.

---

(١) الكافي ١: ١ / ١٠ و٧: ٤١٢ / ٥

(٢) تهذيب الاحكام ٦: ٣٠٣ / ٨٤٦.

الظهور المرتقب، وعلاماته

ليس بخاف على أحد أنَّ لكلِّ حدث عظيم مرتقب شواهد ودلالات معينة تسبقه وتدل على وقوعه.

والمطالعة المتفحِّصة لكثير من الوقائع التي سجَّلها لنا التأريخ في صفحاته المطوية على تكرارها وكثرة وقوعها تنبئ حقيقة بوجوب هذا التسلسل المنطقي في هذه الأحداث.

ولعله لا يخالفنا أحد بأن ضرورة توفُّر الشواهد تتناسب طردياً مع عظم هذا الحدث، وأهميته بالنسبة للمترقِّبين والمنتظرين، وهذا أمر بديهي يوافقه المنطق والصواب، وتؤيده دراسة مجمل الأحداث التي مرَّت، واحتوتها حافظة التأريخ.

ومسألة الظهور المرتقب للإمام المهدي (عليه السلام) والذي كان ولا زال أمنية عزيزة تراود أذهان الصالحين من عباد الله تعالىٰ، من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم من المؤمنين، حتىٰ أمست هاجساً لا تنفك الشفاه من ترديده صباحاً ومساء، ورحلت عن عالم الوجود أجيال متلاحقة من هؤلاء وهم في حالة ترقُّب وانتظار مبنيين على شدة الشوق، وعظم المحنة التي لم تنفك عن ملاحقتهم دهوراً طويلة متواصلة.

نعم، إنَّ مسالة هذا الظهور تعد بلا شك من أهم القضايا التي تعيش علىٰ أمل تحقُّقها الأجيال الصالحة، وتتوجَّس من وقوعها جماعات الظلم والانحراف والفساد.

ومن هنا، فكان لا بدَّ لان تتقدَّم وقوعها جملة مشخَّصة من الشواهد والعلامات الدالة على قرب وقوعها، وهذا ما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وأشار اليه الأئمة المعصومين من أهل البيت (عليهم السلام) في أكثر من مناسبة ومكان، داعين فيه الى التثبُّت من هذه الشواهد، وصحة وقوعها، وصولاً الى اقترابهم من عصر الظهور المبارك.

ولعل من الأمور التي تثير الاستغراب في أذهان البعض أنَّ الشيعة وعلى امتداد الدهور كانوا وكأنَّهم يترقَّبون ظهوره المنتظر (عليه السلام) في كل لحظة من لحظات حياتهم، رغم ادراكهم بعدم وقوع العلامات السابقة لذلك الظهور، والمنبئة بقرب حصوله.

نعم، هذه حقيقة لا يمكن انكارها، بيد أنَّ التأمُّل المتدبِّر في جملة الشواهد والمترابطة في حياة الشيعة تقلِّل الى حد ما من استغرابنا من موقفهم هذا، رغم ادراكنا بانَّ مجمل العلامات المقترنة بظهوره المقدس (عليه السلام) ليست بخافية حتى على صبيان الشيعة، فكيف بهم.

نعم، موقفهم هذا ـ كما ذكرنا ـ تبرِّره عدة عوامل يمكن حصرها بالتالي:

أولها: شدة الشوق والحنين الذي تعتلج به نفوس الشيعة لهذا الامام الغائب عن أنظارهم منذ أكثر من ألف عام.

ثانيها: عظم المحنة التي أحاطت بهم طوال هذه القرون المتلاحقة، وحتى ما قبلها، فلا غرو أن يعيشون على حلم الظهور القريب لتستقر على هذا الأمل نفوسهم، وتطمئن اليه قلوبهم.

ومن ثم، فلكي نترجم مصاديق شواهد الانتظار السابقة لهذا الظهور، لابدَّ لنا من أن نعرِّج الى ذكر هذه العلامات، وباعتماد ومناقشة الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام).

وقفة تأمل

كثيرة هي الروايات التي تتحدَّث عن العلامات التي تسبق ظهور الامام المهدي (عليه السلام)، وقد غصَّت بها الكتب والمجلَّدات الضخمة، بيد أنَّ في كيفية التعاطي معها ينبغي اعتماد منهجية سليمة في التعامل مع مجمل الروايات المختلفة والمنقولة أو المنسوبة لاهل بيت العصمة (عليهم السلام) والتي يمكن حصرها في مرتكزين اثنين، هما:

١ ـ صحة صدور الرواية المنقولة عن المعصوم (عليه السلام).

فلمّا كانت قضية ظهور الامام المهدي (عليه السلام) من الحقائق المرتقبة في حياة المسلمين عامّة، والشيعة خاصّة، فقد خضعت في التعاطي معها الىٰ جملة المؤثرات الخاصة بكلِّ طائفة على حدة من جانب، والىٰ الفعل الخارجي المتغرِّب عن العقيدة من جانب آخر.

نعم، فانَّ التعصُّب الطائفي والمذهبي الذي ساد الساحة الفكرية الإسلامية في حقب ماضية من التأريخ الاسلامي، وحيث دوِّنت في صفحاته المطوية مواقف شاذة وغريبة عن الأرضية العقائدية الإسلامية، اعتمدت تشويه وتكذيب عقائد الآخرين، ودس الأكاذيب البيِّنة الوضع ونسبتها اليهم ومن ثم التعرُّض لابطالها في محاولة للتوهين في ذلك المعتقد، مضافاً الىٰ الدور الخبيث الذيي يمارسه الوضّاعون في كلِّ عصر كما هو معروف، كل ذلك كان له كبير أثر في تسرُّب جملة ما من الأخبار الموضوعة والمنسوبة الىٰ الائمة (عليهم السلام)، والمتغرِّبة عن حقيقة الشواهد التي يرتبط بوقوعها الظهور.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد مرَّت جملة من تلك الروايات

الموضوعة على البعض من المحدِّثين الذين لم يحاولوا أن يخضعوا تلك الروايات للنقد والتعديل، والدارسة والتفحُّص، فتسرَّبت الىٰ كتبهم ومؤلَّفاتهم وأخذها غيرهم منهم واعتبرها حقيقة مسلَّمة.

ومن هنا، فقد أفرد علماؤنا المحقِّقون مؤلَّفات متعدِّدة لدراسة ونقد الحديث، والتثبُّت من صحَّة نسبته للامام المعصوم (عليه السلام)، فخلَّصوا هذا التراث الحديثي الواسع من كثير ممّا علق به من الشوائب والأدران.

٢ ـ القرب والبعد الزمني بين وقوع العلامة وبين الظهور.

فالمطالعة المتأنِّية في جملة الروايات المتحدِّثة عن علامات الظهور المختلفة تظهر بوضوح أنَّ هناك من العلامات ما يتصل وقوعها بالظهور المقدَّس للامام المهدي (عليه السلام) مباشرة، ومنها بساعات، ومنها بأيام، ومنها بأكثر من ذلك، ثم يمتد ذلك ليكون غير مؤقت بوقت معين، وحيث يفصل بين وقوعها وبين الظهور زمن طويل، وهذا ما سنتتعرَّض اليه بعد انْ شاء الله تعالىٰ عند ايرادنا لبعض الروايات المختصة بهذا الموضوع.

بيد أنَّ الأمر الذي يجب أنْ لا يغفل عن الاذهان كون ارتباط كل ذلك بجملة من الشرائط التي يتوقَّف الظهور المنتظَر على تحقُّقها، وهي في حقيقتها تتجسَّد في وجود الثلة المؤمنة والصادقة القوية التي تنهض مع الامام (عليه السلام) في ثورته الكبرىٰ ضد الظلم والفساد لاقامة حكم الله تعالى في الأرض، والتي تستلزم مواصفات خاصة متميِّزة لا يسع أحد القيام بهذا الفعل الأكبر دونها، ولا النهوض دون توفرها.

وهذه الشرائط كالعلامات لابدَّ من تحقُّقها قبل ظهور الامام (عليه السلام)، إلّا أنَّ تحقُّقها شرط أساسي في الظهور، على خلاف بعض الشرائط التي قد لا تقع باعتبار عدم كونها من الأمر المحتوم.

ثم إنَّ هذا الشرائط ترتبط عضوياً وزمنياً فيما بينها من جانب، وبينها

وبين زمن الحضور من جانب آخر، حين ربما تجد بعض علامات الظهور متناثرة ومبعثرة على امتداد التأريخ، وغير مترابطة فيما بينها عضوياً، حيث تقع كلُّ علامة على حدة، وفي زمن معين، وإن كانت جميعها تؤدِّي الىٰ هدف واحد.

ثم إنَّ بعض هذه العلامات ـ وكما ذكرنا ـ قد تقع في عصر بعيد عن عصر الظهور، كما اسلفنا آنفا، فتبدو في نظر البعض عند عدم اخضاعها للاطار العام الموحَّد حادثة منفصلة لا صلة لها بما يقع في هذه العصور التالية، بل وغير ذلك من الاختلافات البيّنة والواضحة التي تستدعي بالباحث استقراءاً وتفحُّصاً مرتكزان على قاعدة الحصر بامتداداتها العمودية والأفقية.

* * * * *

علامات الظهور في الروايات

عندما يحاول المرء استعراض الروايات المختلفة الواردة في كتب الفريقين، والمختصّة بالظهور المقدّس للإمام المهدي (عليه السلام)، فانّه سيجد نفسه في خضم واسع، وميدان واسع كبير، احتوته الكثير من المجلّدات الضخمة المختصّة، ونقلته على متون صفحاتها، عصراً بعد عصر، ودهراً بعد دهر، حتى اختزنته ذاكرة التأريخ، وتمتمت به شفاه المنتظِرين والمترقّبين.

وحقاً أنّ الاستقراء المتفحّص لجملة من المراجع التي نقلت الروايات الخاصة بعلامات ظهور الامام المهدي (عليه السلام) قد شخّصت من خلال ذلك بعضاً من تلك من الاشارات السابقة لظهور الامام (عليه السلام) إلّا أنّها تبقى في مجملها منضوية خلال متون الروايات المتعددة، والتي قد يعسر على البعض استقصاؤها وحصرها منفردة مستقلة، بيد أنّ ذلك لا يلغي محاولة البعض سردها مستقلّة كما عمد الى ذلك الشيخ المفيد رحمه الله تعالى في ارشاده، حيث خصّص باباً منفرداً لهذا الموضوع، ذكر فيها جملة منفصلة من هذه العلامات مستلّة من الأخبار والروايات المنقولة عن أهل بيت النبوة (عليهم السلام).

فقد صدّر رحمه الله تعالى هذا الباب بعنوان أسماه: ذكر علامات قيام القائم (عليه السلام) ذكر فيه: قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي (عليه السلام)، وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات، فمنها:

١ ـ خروج السفياني.

٢ ـ قتل الحسني.

٣ ـ اختلاف بني العباس في الملك الدنياوي.

٤ ـ كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره، على خلاف العادات.

٥ ـ خسف بالبيداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالمشرق.

٦ ـ ركود الشمس عند الزوال على وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب.

٧ ـ قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين.

٨ ـ ذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام.

٩ ـ هدم سور الكوفة.

١٠ ـ اقبال رايات سود من قبل خراسان.

١١ ـ خروج اليماني.

١٢ ـ ظهور المغربي بمصر وتملُّكه للشامات.

١٣ ـ نزل الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة.

١٤ ـ طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر، ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي طرفاه.

١٥ ـ حمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها.

١٦ ـ نار تطلع بالمشرق طولاً وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام.

١٧ ـ خلع العرب أعنّتها وتملُّكها البلاد وخروجها عن سلطان العجم.

١٨ ـ قتل أهل مصر أميرهم.

١٩ ـ خراب الشام، واختلاف ثلاثة رايات فيه.

٢٠ ـ دخول رايات قيس والعرب الىٰ مصر، ورايات كندة الىٰ خراسان.

٢١ ـ ورود خيل من قِبَل المغرب حتى تُربط بفناء الحيرة، واقبال رايات سود من المشرق نحوها.

٢٢ ـ بثق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة.

٢٣ ـ خروج ستين كذّاباً كلهم يدعي النبوة.

٢٤ ـ خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدّعي الإمامة لنفسه.

٢٥ ـ احراقُ رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء، وخانقين.

٢٦ ـ عقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينة السلام، وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار، وزلزلة حتى ينخسف كثير منها.

٢٧ ـ خوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه.

٢٨ ـ نقص في الأنفس والأموال والثمرات.

٢٩ ـ جراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه حتى يأتي علىٰ الزرع والغلات.

٣٠ ـ قلة ريع لما يزرعه الناس.

٣١ ـ اختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثير فيما بينهم.

٣٢ ـ خروج العبيد عن طاعة ساداتهم، وقتلهم مواليهم.

٣٣ ـ مسخ لقوم من أهل البدع حتىٰ يصيروا قردة وخنازير.

٣٥ ـ نداء من السماء يسمعه أهل الأرض كل أهل لغة بلغتهم.

٣٦ ـ وجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس.

٣٧ ـ أموات يُنشرون من القبور حتىٰ يرجعوا الىٰ الدنيا، فيتعارفون فيها، ويتزاورون.

ثم يُختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل، فتحيىٰ بها الأرض من بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحقّ من شيعة المهدي (عليه السلام)، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكّة، فيتوجّهون نحوه لنصرته، كما جاءت بذلك الاخبار.

ومن جملة هذه الأحداث محتومة، ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وانّما ذكرناه علىٰ حسب ما ثبت في الأصول، وتضمّنها الأثر المنقول، وبالله نستعين، وإيّاه نسأل التوفيق[١].

أقول: ان ما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله تعالىٰ في ارشاده يشكّل في حقيقته ـ وكما ذكر ذلك في آخر حديثه ـ خلاصة مستجمعة لما ورد في متون الروايات المختلفة التي تشير الىٰ هذا الحدث الكبير، وسنحاول نحن في طي هذه الصفحات المحدودة التعرّض لبعض هذه الروايات والأخبار المنقولة عن أهل بيت العصمة(عليهم السلام)، والمتعرّضة لعلامات ظهور الإمام المهدي (عليه السلام):

فمن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قوله: لا تقوم الساعة حتىٰ تُملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[٢].

وروى عنه أيضاً (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: أبشّركم بالمهدي، يُبعث في اُمّتي علىٰ اختلاف الناس وزلازل، فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً[٣].

وقال (صلى الله عليه وآله): ستكون بعدي فتن لا خلاص منها، فيها هرب

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ٣٦٨.

(٢) مستدرك الصحيحين ٣: ٥٥٧، ينابيع المودة: ٤٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ٧: ٣١٤.

وحرب، ثم من بعدها فتن أشد منها، كلما انقضت تمادت حتى لا يبقىٰ بيت من العرب إلّا دخلته، ولا مسلم إلّا وصلته، حتىٰ يخرج رجل من عترتي[١].

وروى عنه (صلى الله عليه وآله) عوف بن مالك أنّه قال: تجيء فتنة غبراء مظلمة، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً، حتىٰ يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي، فإن ادركته فاتبعه وكن من المهتدين[٢].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): خمس قبل قيام القائم: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية[٣].

وقال (عليه السلام) أيضاً: قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[٤].

وقال (عليه السلام) أيضاً: ليس بين قيام قائم آل محمّد (عليه السلام) وبين قتل النفس الزكية إلّا خمسة عشر ليلة[٥].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إنَّ أبا جعفر (عليه السلام) كان يقول: إنَّ خروج السفياني من الأمر المحتوم.

فقال (عليه السلام): نعم، واختلاف ولد العباس من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وخروج القائم من المحتوم.

فقال له الثمالي: فكيف يكون النداء؟

---

(١) منتخب الأثر: ٤٢٢.
(٢) العرف الوردي ٢: ٦٧.
(٣) كمال الدين ٢: ٦٤٩/ ١.
(٤) كمال الدين ٢: ٦٥٠/ ٧.
(٥) كمال الدين ٢: ٦٤٩/٢

قال (عليه السلام): يُنادي مناد من السماء أوّل النهار: ألا أنَّ الحقَّ في علي وشيعته، ثم يُنادي ابليس لعنه الله تعالىٰ في آخر النهار: ألا أنَّ الحقَّ في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون[١].

وقال الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام): الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان[٢].

وقال (عليه السلام): صوت جبرئيل (عليه السلام) من السماء وصوت ابليس من الارض، فاتّبعوا الصوت الأول وايّاكم والأخير أن تُفتنوا[٣].

وروىٰ عامر بن واثلة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): عشر قبل الساعة لا بدَّ منها: السفياني، والدجّال، والدخان، والدابة، وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسىٰ (عليه السلام)، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر[٤].

وروىٰ أبو هريرة عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: يخرج رجل يُقال له السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتىٰ يبقر بطون النساء... ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ الىٰ السفياني خروجه، فيبعث اليه جنداً من جنده، فيهزمهم، فيسير اليه السفياني بمن معه، حتىٰ اذا جاء ببيداء من الأرض خُسف بهم، فلا ينجو منهم إلّا المخبر[٥].

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٥٢، ارشاد المفيد ٢: ٣٧٢، اعلام الورىٰ: ٤٢٦، غيبة الطوسي: ٤٣٥ / ٤٢٥.

(٢) كمال الدين ٢: ٦٥٠ / ٦.

(٣) كمال الدين ٢: ١٣/٦٥٢.

(٤) غيبة الطوسي: ٤٣٦ / ٤٢٦.

(٥) عقد الدرر: ١٢٣.

وقالت أُمُّ سلمة رحمها الله تعالىٰ: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يُبايع لرجل من اُمّتي بين الركن والمقام كعدة أهل بدر، فتأتيه عصب العراق، وأبدال الشام، فيأتيهم جيش من الشام، حتىٰ اذا كانوا بالبيداء خُسف بهم[1].

وعن عبدالله بن عمر عنه (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: اذا خسف بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدي[2].

وقال الامام الصادق (عليه السلام): إنَّ أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب[3].

وروي عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) قوله: إنَّ أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلّا بسفياني[4].

وسأل محمّد بن مسلم أبا جعفر (عليه السلام): يا ابن رسول الله، متىٰ يخرج قائمكم؟

فقال (عليه السلام): اذا تشبّه الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، واكتفىٰ الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وركبت ذوات الفروج السروج، وقبلت شهادات الزور، وردَّت شهادات العدل، واستخفَّ الناس بالدماء، وارتكاب الزنا، وأكل الربا، واتقي الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السفياني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) بين الركن والمقام اسمه محمّد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت

---

(١) كنز العمال ٧: ١٨٨.
(٢) العرف الوردي ٢: ٦٦.
(٣) كمال الدين ٢: ٦٥٠/ ٥.
(٤) قرب الاسناد: ٣٧٤/ ١٣٢٩

صيحة من السماء بأنّ الحق فيه، وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا[1].

وأمّا صعصعة بن صوحان فقد سأل الامام علي (عليه السلام) بعد خطبة له: يا أمير المؤمنين، متىٰ يخرج الدجّال؟

فقال له (عليه السلام): اقعد، سمع الله تعالىٰ كلامك، وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً، كحذو النعل بالنعل، وإنْ شئت أنبأتك بها.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

فَقال (عليه السلام)احفظ، فانّ علامة ذلك: اذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الامانة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادة الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان، والاثم والطغيان، وحلّيت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوّلت المنارات، وأُكرمت الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت القلوب، ونُقضت العهود، واقترب الموعود، وشارك النساء أزواجهن في التجارة حرصاً علىٰ الدنيا، وعلت أصوات الفساق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتُّقي الفاجر مخافة شره، وصدِّق الكاذب، وائتمِن الخائن، واتُّخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمّة أوّلها، وركبت ذوات الفروج السروج، وتشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير أن يُستشهَد، وشهد الآخر قضاء لذمام بغير حق عرفه، وتفقّه لغير الدين،

---

(١) كمال الدين ٢: ١٦/٣٣١.

وآثروا علم الدنيا علىٰ الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف، وأمرٌ من الصبر، فعند ذلك ألوحا ألوحا، ثم العجل العجل...[١].

وروىٰ بكر بن محمّد الأزدي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: خروج الثلاثة: الخراساني، والسفياني، واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدىٰ من راية اليماني، يهدي الىٰ الحق[٢].

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قوله: اذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهردي العظيم تطلع ثلاثة أيام أو سبعة توقعوا فرج آل محمّد (عليهم السلام) إن شاء الله عزّ وجلّ، إنّ الله عزيز حكيم

ثم قال (عليه السلام): الصيحة لا تكون إلّا في شهر رمضان شهر الله تعالىٰ، وهي صيحة جبرئيل (عليه السلام) الىٰ هذا الخلق

ثم قال (عليه السلام): يُنادي مناد باسم القائم (عليه السلام) فيسمع من بالمشرق ومن بالمغرب، لا يبقى راقد إلّا استيقظ، ولا قائم إلّا قعد، ولا قاعد إلّا قامعلىٰ رجليه فزعاً من ذلك الصوت، فرحم الله من اعتبر بذلك الصوت فأجاب، فإنّ الصوت الأوّل صوت جبرئيل الروح الامين

وقال (عليه السلام): لا يقوم القائم (عليه السلام) إلّا على خوف شديد من الناس، وزلازل، وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتيت في دينهم، وتغيير في حالهم، حتىٰ يتمنّى الموت صباحاً ومساء من عظم ما يرى من

---

(١) كمال الدين ٢: ٥٢٥ / ١.

(٢) ارشاد المفيد ٢: ٣٧٥، غيبة الطوسي: ٤٤٦ / ٤٤٣، غيبة النعماني: ٢٥٥، اعلام الورىٰ: ٤٢٩.

كلب الناس وأكلهم بعضهم بعضاً....

وقال (عليه السلام): لا بدَّ لبني فلان من أن يملكوا، فاذا ملكوا ثم اختلفوا تفرّق ملكهم، وتشتّت أمرهم حتىٰ يخرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق وهذا من المغرب، يستبقان الىٰ الكوفة كفرسي رهان، هذا من هنا وهذا من هنـا، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما، أما أنَّهم لا يبقون منهم أحداً.

ثم قال (عليه السلام): خروج السفياني واليماني والخراساني فـي سـنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كل جهة، ويل لمن ناوأهم.

وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية هدىً، لأنَّه يدعو الىٰ صاحبكم.

فاذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنَّه يدعو الىٰ الحقِّ والىٰ صراط مستقيم...[1]

وقال (عليه السلام) أيضا: آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم (عليه السلام) الىٰ الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره.

فقيل له: يا ابن رسول الله، تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف؟!

فقال (عليه السلام): إنّي لأعلم بما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط

---

(١) غيبة النعماني: ١٣/٢٥٣.

آدم (عليه السلام)[1].

وعن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: لا يخرج القائم حتىٰ يخرج قبله **اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو الىٰ نفسه**[2]

وقال محمّد بن مسلم: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنَّ قدّام القائم بلوىٰ من الله تعالىٰ.

قلت: ما هو، جعلت فداك.

فقرأ (عليه السلام): **﴿وَلَنبلوَنكُم بشيء مِنَ الخَوفِ وَالجوعِ وَنَقصٍ مِنَ الأموالِ وَالأنفُسِ وَالثَمراتِ وَبَشِّرِ الصّابرينَ﴾**[3].

ثم قال (عليه السلام): الخوف من ملوك بني فلان، والجوع من غلاء الأسعار، ونقص من الأموال من كساد التجارات وقلّة الفضل فيها، نقص الأنفس بالموت الذريع، ونقص الثمرات بقلّة ريع الزوع وقلّة بركة الثمار.

ثم قال (عليه السلام): وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم (عليه السلام)[4].

وروي عنه (عليه السلام) قوله: يُزجر الناس قبل قيام القائم (عليه السلام) عن معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلّل السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة، ودماء تُسفك بها، وخراب دورها، وفناء يقع في أهلها، وشمول أهل العراق خوف لا يكون لهم معه قرار[5].

---

(1) ارشاد المفيد ٢:٣٧٢، غيبة الطوسي: ٤٤٤/٤٣٩، اعلام الورىٰ: ٤٢٩.

(2) ارشاد المفيد ٢:٣٧٢، غيبة الطوسي: ٤٣٧/٤٢٨، اعلام الورىٰ: ٤٢٦.

(3) البقرة ٢:١٥٥.

(4) ارشاد المفيد ٢:٣٧٧، اكمال الدين ٢: ٣/٦٤٩، غيبة النعماني: ٥/٢٥٠، اعلام الورىٰ: ٤٢٧.

(5) ارشاد المفيد ٢:٣٧٨، اعلام الورىٰ: ٤٢٩.



تساؤلات حول الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته المتطاولة

مدخل

الحديث عن الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته وظهوره وما يتصل بالاثنين، حديث متشعّب وواسع الأبعاد يستلزم اطناباً مستفيضاً، وبحثاً شاملاً، وهذا ما لا يمكن لأي مبحث استيعابه والاحاطة به، وهذه حقيقة لا مناص من الاقرار بها، والتسليم بحقيقتها.

نعم، والمطالعات المتشعبة لجملة المؤلفات المتفرقة ـ التي لم يأل فيها مؤلّفوها جهداً في أتمام مبحثهم حول هذا الموضوع ـ تؤكّد حقيقة ما ذهبنا اليه من القول.

ولا غرابة في ذلك، فانَّ ادراك الأسرار الالهية، والحكَم الربّانية في ما يتعلّق بوجود امام معصوم يمثّل خلاصة السلسلة المقدّسة لحلقات الامامة المتواصلة، والتي لا تنتهي إلّا عند اعتاب نهاية هذا العالم، وكذا في ادراك ملابسات مفردات دوران حياته (عليه السلام)، وما يرتبط بها وما يتشعّب عنها، كل ذلك ـ وما عداه ممّا لم نذكره ـ يجعل من قضية الاحاطة بهذه القضية من الأماني المستحيلة المنال، والقمم العسيرة الارتقاء، وهذا هو السر فيما نراه من الكم الوفير من المؤلّفات المختصة بهذا الأمر، والتي يجد المرء عند مطالعة البعض ـ وأستثني من ذلك التقليدية منها ـ آفاقا جديدة واطروحات مبتكرة تثير في ذهن القارئ مدى سعة هذه القضية وعظم تفرّعاتها وامتداداتها.

ولا غرو في ذلك، فالباحث عند استقرائه لبعض المفردات المطروحة محل البحث في أي مؤلّف لا بدَّ أن تطرق ذهنه جملة اضافية من التساؤلات وعلامات الاستفهام التي تنشد لها أجوبة وحلولاً تنقلها

خطوة متقدِّمة أُخرىٰ من الفهم والادراك السليم لهذا الأمر العظيم والمقدَّس.

ومن هنا، فلا يسع المرء إلّا أن يبحث عن ضالّته في ما يتوفّر بين يديه من المؤلّفات والمباحث المختلفة المختصة بهذا الموضوع وصولاً الىٰ غايته ومبتغاه، وهو أمر قد يعسر ويشق علىٰ البعض لأسباب ودوافع متعددة، عندها تطرق مخيلته فكرة اعداد موسوعة ضخمة ومتخصِّصة تحاول ما استطاعت عليه حصر الدقائق المختلفة والمتفرِّعة عن هذا المبحث المهم.

ولمّا حاولنا في كتابنا هذا أن ندلي بدلونا في هذا المعترك المقدَّس ـ مع علمنا المسبق بعجزنا عن الاحاطة بالكثير من الجوانب المختلفة لهذا ـ توخينا أن نمر بعجالة علىٰ بعض الموارد التي ينبغي أن لا تغرب عن صفحات أي كتاب ينحو هذا المنحنى في الكتابة عن الامام المهدي (عليه السلام)، وما يتعلّق بغيبته وظهوره المرتقب.

ومن هنا فقد أرتأينا أن نجمل هذا الموارد ببعض الأسئلة المحددة، ثم نجيب عنها باختصار يتناسب واسلوبنا في كتابه هذا الكتاب، ومحدودية صفحاته.

* * * * *

السؤال الأوّل: هل ورد في القرآن الكريم ما يختص بالامام المهدي (عليه السلام)، وما يتعلّق به وبدولته؟

الجواب: التأمُّل في جملة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، والمبثوثة في الكتب المتفرّقة، يظهر ـ واعتماداً على التأويل ـ أنّ هناك بعضاً من الآيات القرآنية قد تعرّضت لهذا الأمر، وأشارت اليه صراحة كما هو مثبت في كتب بعض علماء الطائفة ومؤلّفيها، وقد أفرد العلّامة المجلسي (رحمه الله) لها باباً خاصاً في موسوعته الحديثية البحار (٥١: ٤٤ ـ ٦٤) أورد فيه جملة واسعة من هذه الروايات، ندعو القارئ الكريم الىٰ مراجعتها ودراستها.

فمن ذلك ما رواه أبو بصير عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) من أنّه قال في معنىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَعَدَ اللهُ الّذينَ آمَنوا مِنكُم وَعَملوا الصّالِحاتِ لَيستَخلِفَنَّهُم في الأرضِ كَما استَخلَفَ الّذينَ مِنْ قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَ لَهُم دينَهُمُ الّذي ارتَضىٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِنْ بَعدِ خَوفِهِم أمناً يَعبُدونَني لا يُشرِكونَ بي شَيئاً﴾**[1].

قال (عليه السلام): القائم وأصحابه[2].

وفي قوله تبارك وتعالىٰ: **﴿وَنُريدُ أنْ نَمُنَّ عَلىٰ الّذينَ استُضعِفوا في الأرضِ وَنَجعَلَهُم أئِمَةً وَنَجعَلَهُمُ الوارِثينَ﴾**[3].

---

(١) النور ٢٤: ٥٥.

(٢) غيبة النعماني: ٢٤٥.

(٣) القصص ٢٨: ٥.

روىٰ عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): هم آل محمّد (صلى الله عليه وآله) يبعث الله تعالىٰ مهديهم بعد جهدهم، فيعزّهم ويذلّ عدوهم[١].

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس علىٰ ولدها.

وتلا (عليه السلام) عقيب ذلك: **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ علىٰ الَّذينَ اسْتُضعِفوا في الأرضِ وَنَجعَلَهُم أئِمَةً وَنَجعَلَهُمُ الوارِثينَ﴾**[٢][٣].

وفي بيان للمجلسي (رحمه الله) علىٰ هذا القول قال: عطفت عليه: أي أشفقت. وشمس الفرس شماساً: أي منع ظهره. ورجل شموس: صعب الخلق. وناقة ضروس: سيئة الخلق تعض حالبها ليبقىٰ لبنها لولدها[٤]

---

(١) غيبة الطوسي:٣٢٥.
(٢)القصص ٢٨: ٥ .
(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم / ٢٠٩ .
(٤) بحار الانوار ٥:٦٤ .

السؤال الثاني: هل تنطوي عقائد غير المسلمين على فكرة ظهور مصلح عالمي في يوم من الايام؟

الجواب: تقدَّم منّا الحديث آنفاً وباختصار حول قضية الاعتقاد المترسِّب لدى بعض الملل والأديان الأخرى بحتمية ظهور مصلح كبير في آخر الزمان يقيم من خلال ثورته الكبرى أركان حكم ونظام عجز اتباعه ومريديه عن اقامته، أو لتحقيق عدل مفتقَد في الوجود الحياتي لتلك الأمّة التي تنتظر خروجه وظهوره.

ولا مناص من الجزم ـ من خلال الاستقراء المتدبِّر، والتفحُّص المتأمِّل ـ بأنَّ جميع هذه المذاهب أو الجماعات غير الاسلامية قد أخذت واستلت فكرة المهدي من صلب العقيدة الاسلامية، وما بشَّر به الأنبياء والمصلِحين على طول الدهور، وإن خضعت بمجملها الى المؤثِّرات العقائدية لتلك الجماعة أو هذه.

فممّا لا شك فيه أنَّ التحريف والتشويه الذي أصاب الديانات السابقة ـ ولا سيما الديانتين اليهودية والمسيحية ـ قد انعكس بشكل أو بآخر على مفهوم عقيدة المهدي فيها، والتي لا بدَّ أن يكون قد بشَّر بها الأنبياء (عليهم السلام) وأحاطوا أتباعهم علماً بانَّ جميع أحلامهم باقامة العدل الالهي في هذه الأرض ستتحقق على يد مصلح يأتي في آخر الزمان، ومن ذرية نبي يكون آخر الأنبياء، وأنَّ هذا الأمر حتم لا بدَّ منه.

ولا غرابة في ذلك، فاذا كان اليهود لعنهم الله تعالى وأخزاهم قد حرَّفوا ما بشَّر به موسى (عليه السلام) من إخبارهم بظهور عيسى (عليه السلام) من

بعده، وادعوا بانّه لم يعن بذلك عيسىٰ بن مريم (عليه السلام)، وعنىٰ به رجل مصلح يأتي آخر الزمان، فأنكروا نبوة نبي مرسَل من قبل الله تعالىٰ، وصادروا دور إمام يأتي بعد من ذرية آخر الانبياء والمرسَلين، فوزرا وزر أمرين عظيمين يضافان الىٰ ما حمّلوا به من أوزار تنوء بحملها الجبال الرواسي.

نعم، واذا كان مبحثنا هنا لا يتعلّق بهذه الانكار الفاسد لنبوّة المسيح عيسىٰ بن مريم (عليه السلام)، فان مبتغانا هو الاشارة الىٰ سريان فكرة المهدي (عليه السلام)الىٰ الديانة اليهودية، رغم ما صاحبها من التحريف والتشويه.

بل ولا يتعلّق الأمر بهم وحدهم، بل يتعدّاهم الىٰ المسيحيين حيث يعتقد الكثير منهم أيضاً برجعة المسيح عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) في يوم من الأيام لانقاذ البشرية من الظلم الذي يحيط بها، وهو ما يتفق بعضه مع ما يذهب اليه المسلمون من صلاة المسيح (عليه السلام) خلف الامام المهدي (عليه السلام)، وحيث تؤكّد ذلك الروايات المنقولة عند الفريقين[1].

---

(١) روىٰ السيوطي في العرف الوردي: بسنده عن عبدالله بن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: المهدي ينزل عليه عيسىٰ بن مريم من السماء ويصلي خلفه.

وفيه أيضاً عن أبي سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآله): منّا الذي يصلي عيسىٰ بن مريم خلفه.

وروىٰ البخاري ومسلم عن نافع مولىٰ قتادة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم.

وفي عقد الدرر بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يلتفت المهدي وقد نزل عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي: تقدم صل بالناس. فيقول عيسىٰ بن مريم: انما أقيمت الصلاة لك. فيصلي عيسىٰ خلف رجل من ولدي.

واخرج أيضاً بسنده من كتاب الفتن لنعيم بن حماد عن هشام بن محمد قال:

=

بل وقيل أنَّ مسيحيي الأحباش بانتظار عودة ملكهم المدعو تيودور علىٰ أنَّه مهدي آخر الزمان الذي يحقِّق أحلامهم وأمانيهم التي حرموا منها.

وفي العهد العتيق تصريح بانَّ هناك مصلحاً للبشرية يأتـي آخـر الزمان.

بل وفي مزامير داود (عليه السلام) (برقم ٣٧) جاء: ... وهكذا ينقطع نسل الأشرار، ويرث أُمناء الله تعالىٰ الأرض، ولن يبقىٰ للاشرار وجود.

وفيه أيضاً: يرث المؤمنون بالله تعالىٰ والمتبرِّكين به الأرض، وأمّا من حلَّت عليهم لعنة الله تعالىٰ فلا بقاء لهم، ومصيرهم الىٰ الدمار.

وفي كتاب حيقوق (الفصل السابع): ... واذا تأخَّر حدوث ذلك فعليك بالانتظار، لأنَّه لا بدَّ أن يأتي، وعندها تعيش جميع الأمم في سعادة ونعيم.

وكذا هو الحال في انجيل متى (الفصل الرابع والعشرين) وفي انجيل لوقا (الفصل الثاني عشر) حيث ورد ما يقارب من هذه التعبيرات، فراجع.

ثم أنَّ الأمر لا يتوقَّف عند أتباع الأديان السماوية فحسب، بـل يتجاوزهم الى غيرهم من أصحاب العقائد والأساطير، وحيث يبدو ذلك بيِّنا لمن تأمَّل وتفحَّص في تراث ومعتقدات كثير من الأمم والشعوب غير

= المهدي من هذه الأُمَّة، وهو يؤم عيسىٰ بن مريم.

ورویٰ الشیخ الطوسي في غيبته بسنده عن ابي سعيد الخدري أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) - في حديث طويل - إنّا أُعطينا أهل البيت سبعاً لم يعطها أحد قبلنا... ومنّا - والله الذي لا اله إلّا هو - مهدي هذه الأُمَّة الذي يصلِّي خلفه عيسىٰ بن مريم.

و في الاحتجاج رویٰ الطبرسي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: ما منّا أحد إلّا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلّا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسىٰ بن مريم.

ما تقدَّم منّا الحديث عنه.

فهؤلاء المغوليون تراهم يرددون فيما بينهم بانَّ جنكيز خان سيعود في يوم من الأيام لانقاذهم من قبضة الحكم الصيني، ولأنَّه ـ أي جنكيز هذا ـ وعدهم قبل موته بانَّه سيعود اليهم يوماً لتخليصهم من وضعهم هذا الذي لا يرتضونه.

وفي أحد الكتب الهندية، ويدعي بـ(وشن جوك) ذكر بانَّه سيأتي في نهاية الدنيا رجل يحبه الله تعالىٰ، وهو عبد متصف بشروط خاصة، ويدعىٰ فرخنده وخجسته.

وفي كتاب (دداتك) ـ وهو من كتب البراهمة المقدَّسة لديهم ـ ذكر بأن ٌ آخر الزمان سيشهد ظهور شخص يهدي الأمَّة والخلائق، ويبسط سلطانه علىٰ الشرق والغرب، ويُدعىٰ ممتاطا.

* * * * *

السؤال الثالث: أنىٰ لطفل عمره أقل من ست سنين التصدّي للامامة، وما يستتبعها من قيادة حكيمة للأمّة ؟

الجواب: التعرّض لمضامين هذا الأمر يستلزم بالمرء تصوُّراً وادراكاً واضحين لجملة أُمور يجب أنْ لا تخفي عنه قطعاً.

نعم، فمن ذلك استقراء إمكان حصول أمر مشابه لهذا الأمر الاستثناني في حياة البشر عند الاطلاق أو عدم الامكان.

ولا يعد هذا الامر تخليطاً وتسويفاً في الاجابة على السؤال قطعاً، لانّ اقتناص المفردات المختلفة المتسمة بهذه الصفة الخاصة يصل بالباحث الىٰ الجزم بالامكان وعدم الاستحالة، فانّ ما هو ممكن لفرد يمكن أن يناله فرد آخر، ويدخل ضمن دائرة الإمكان، وهذا ما لا خلاف فيه.

بلى، ونحن في بداية تعاملنا مع هذه الحالة نتجاوز الحالات الخاصة المتعلِّقة بالأنبياء والأوصياء، لادراك حقيقة كون حالة الامام المهدي (عليه السلام) ليست مستحيلة الوقوع كما يغالط البعض نفسه ويخاتل الواقع.

نعم، فانّ المرء ـ المعرض عن هذه الحقيقة ـ لو تجاوز عقد التصوُّر المسبق المفروض علىٰ عقله، وأطلق لنفسه الباحثة عن الحقيقة ـ فحسب ـ العنان لحملته بخطواتها المتتابعة نحو مرفأ الأمان، وباحته الواسعة.

بلى، فانّ التأريخ بصفحاته المطوية قد حفظ لنا الكثير من المشاهدات والمفردات المتفرّقة التي تنضوي تحت مظلة هذا التصوُّر المنطقي الذي نقول به، ونجزم بامكان وقوعه.

فالتأمُّل في بعض هذه الصفحات يظهر عياناً حالات بشرية لأناس معينين امتازوا بهذه السمات المتميِّزة منذ باكورة حياتهم، حيث تراهم قد بزوا أقرانهم علماً وفهماً، بل وسموا عالياً في آفاق العلم والمعرفة، والقدرة علىٰ ادارة كثير من شؤون الأمَّة وقضاياها.

ولا منافاة في ذلك مع المنطق والصواب، بل وامكان بروز مثل هذا الأمر في حياة البشر أمر غير مستحيل الوقوع، لانَّ الله تبارك وتعالىٰ أودع في هذا الانسان الكثير من القدرات العظيمة التي يمكن عند استثمارها وتوظيفها بشكلها السليم الانطلاق بعيداً في حدود الامكان البشري، وحيث تتجاوز عقد العجز التي تحكم كثيراً من الناس، والتي تراها في جوانح الكثير من البشر رهينة الإحباط والوهن النفسي، فتضمحل معه، وتموت بموته، وهذا أمر مفروغ منه، مشهودة حقيقته.

بلىٰ، ومصداق قولنا هذا في التأمُّل المتبصر بحياة البشر علىٰ امتداد التأريخ وحتىٰ يومنا هذا، فكم مرَّت الدهور علىٰ ملايين من البشر لم يتركوا حتىٰ بصمات باهتة تدل علىٰ مرورهم عبر بوابة هذا التأريخ الكبير، بل وطافت بهم الأيام يميناً ويساراً دون أي تحفُّز منهم وتشبُّث يوشي بتملُّكهم لشيء ولو كان قليلاً جداً من القدرات والامكانات التي مَنَّ الله تعالىٰ بها علىٰ البشر، علىٰ خلاف البعض ممَّن سمت به نفسه وهمَّته ليشحذ قواه وقدراته الكامنة في طوايا جسده فتحلَّق به عالياً في الأفق الكبير.

ولا مغالاة في القول اذا قلنا بأنَّ هذا الأمر لم يعد في موارد معينة موضع تعجُّب واستغراب ودهشة جملة واسعة من الناس، حيث تآلف الكثيرون مع تكرر هذه المواقف والمشاهدات الخارجة عن الاطار التقليدي المعروف عنها.

نعم، وفي عصرنا الحاضر كثيراً ما نعاين من الاطفال أو الصبيان الذين اظهروا قدرات كبيرة وامكانيات متميِّزة في التعامل مع المفردات والمواضيع المختلفة في شتىٰ العلوم والمعارف، وذلك ليس بخاف علىٰ أحد.

وأما ما شابه ذلك وطواه الزمن بصفحاته المتلاحقة فكثير لا يُعد، عُلِم منه البعض وضاع منه الكثير، وقد حفظ لنا التأريخ قليل من ذلك البعض، واثبته ذاكرته، ولا يسعنا هنا التعرُّض مفصلاً لبعض مفردات هذا الامر قدر ما نبتغي منه الإشارة الىٰ وقوعها، استرسالا في الاستدلال والمحاجة.

ولنستعرض سوية حالة واحدة من تلك الحالات، قد لا تكون خافية عن المتتبِّعين والباحثين، وهي ما تختص بابن سينا، علي بن الحسين الفيلسوف المعروف، والملقَّب بالشيخ الرئيس.

يقول ابن سينا متحدِّثاً عن نفسه: لمّا بلغت التمييز سلَّمني أبي الىٰ معلِّم القرآن، ثم الىٰ معلِّم الأدب، فكان كل شيء قرأ الصبيان علىٰ الأديب احفظه، والذي كلَّفني استاذي في كتب الصفات، وغريب المصنَّف، ثم أدب الكاتب، ثم اصلاح المنطق، ثم كتاب العين، ثم شعر الحماسة، ثم ديوان ابن الرومي، ثم تصريف المازني، ثم نحو سيبويه، فحفظت تلك الكتب في سنة ونصف، ولولا تعويق الاستاذ لحفظتها بدون ذلك، وهذا مع حفظي وظائف الصبيان في المكتب.

ولمّا بلغت عشر سنين كان في بخارا يتعجَّبون منِّي. ثم شرعت في الفقه، فلمّا بلغت اثنتي عشرة سنة كنت أُفتي في بخارا.

ثم شرعت في علم الطب، وصنَّفت القانون وأنا ابن ست عشرة سنة، فمرض نوح بن منصور الساماني فجمعوا الأطباء لمعالجته،

فجمعوني معهم، فرأوا معالجتي خيراً من معالجاتهم كلهم، فصلح على يدي.

واشتغلت بتحصيل الحكمة ليلاً ونهاراً حتىٰ حصّلتها، فلمّا انتهىٰ عمري الىٰ أربع وعشرين كنت أفكّر في نفسي ما كان شيء من العلوم أنّي لا أعرفه[1].

بل وهناك عشرات الأمثلة التي لا تخفىٰ علىٰ الباحثين والمحقّقين، لأمثال هذا العالم الفذ، فمن ذلك توماس يونك الذي أخذ يقرأ ويكتب في السنة الثانية من عمره، وفي الثامنة من عمره أجاد علم الرياضيات لوحده[2] وغيره من الذين تركوا آثاراً كبيرة دالة عليهم، وعلىٰ قدراتهم العظيمة.

اقول: إذا كان هذا الأمر متعلّق بفرد من أفراد البشر لا تكليف له بامامة قوم، ولا بقيادة أمّة، ولا بهدايتهم ورعاية مصالحهم، فكيف بمن جعله الله تبارك وتعالىٰ إماماً، وهادياً، ومرشداً، وخليفة له تعالىٰ في أرضه؟

ثم ألم تقرأ قوله تعالىٰ حاكياً عن حال نبيه عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) بعد ولادته مباشرة، وقدوم أمّه به الى قومها: **﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحمِلُهُ قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئتِ شَيئاً فَرِياً * يا أُختَ هٰرونَ ما كانَ أبوكِ امرَء سَوءٍ وَما كانَتْ أُمُّكِ بَغيّاً * فَأشارَتْ اليهِ قالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهدِ صَبيّاً * قالَ انِّي عَبدُاللهِ آتاني الكِتابَ وَجَعَلَني نَبيّاً * وَجَعَلَني مُبارَكا أينَ ما كُنتُ وَأوصاني بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمتُ حَيّاً * وَبَراً بِوالِدَتي وَلَمْ يَجعَلني جَبّاراً شَقيّاً * وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ وَيَومَ**

---

(١) انظر الكنىٰ والالقاب ١:٣٠٩.

(٢) تأريخ العلوم: ٤٣٢.

أموتُ وَيَومَ أُبعَثُ حَيّاً﴾[١].

وقوله سبحانه مخاطباً يحيىٰ بن زكريا (عليهما السلام): **﴿يا يَحيىٰ خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيناهُ الحُكمَ صَبيّاً﴾**[٢].

ثم أنَّ في هذا التكليف والإظهار إشارة الىٰ توفُّر القدرة التي تمكِّن مدَّعيها علىٰ مواجهة الأحداث وتطوُّراتها.

نعم، والىٰ هذا الحقيقة أشار الشيخ الصدوق (رحمه الله) تعالىٰ في مقدَّمة كتابه الموسوم بكمال الدين وتمام النعمة، حيث قال راداً علىٰ هذه الشبهة: إنَّكم نسيتم كتاب الله عزّ وجلّ، ولولا ذلك لم ترموا الإمامية بأنَّهم لا يحفظون كتاب الله، وقد نسيتم قصة عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) وهو في المهد حين يقول [وذكر الآية المتقدِّمة].

ثم أضاف قائلا: أخبرونا لو آمن به بنو اسرائيل ثم حزبهم أمر من العدو[٣] كيف كان يفعل المسيح (عليه السلام)، وكذلك القول في يحيىٰ (عليه السلام)، وقد أعطاه الله تعالىٰ الحكم صبياً؟

فان جحدوا ذلك فقد جحدوا كتاب الله، ومن لم يقدر علىٰ دفع خصمه إلّا بعد أن يجحد كتاب الله فقد وضح بطلان قوله.

ونقول في جواب هذا الفصل: إنَّ الأمر لو أفضىٰ بأهل هذا العصر الىٰ ما وصفوه لنقض الله تعالى العادة فيه، وجعله رجلاً بالغاً، كاملاً، فارساً، شجاعاً، بطلاً، قادراً علىٰ مبارزة الأعداء، والحفظ لبيضة الإسلام، والدفع عن حوزتهم[٤].

---

(١) مريم ١٩:٣٠ـ ٣٣.

(٢) مريم ١٩:١٢.

(٣) أي ألم بهم ضرر من جهة العدو.

(٤) كمال الدين ١: ٧٩.

وأخيراً، فإنَّ الحكمة الالهية في تدبير الأمور وتقديرها لا يمكن أن توضع في المقاييس البشرية القاصرة لغرض ادراكها أو الحكم على صوابها، لانَّ ذلك هو الكفر المحض، والانحراف القطعي عن جادة الصواب.

فإذا ثبت كون الإمام المهدي (عليه السلام) هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، بالدليلين العقلي والنقلي، فإنَّ التقدير والحكمة الربانيتين لابدّ أن تكونا قد استوعبتا كل الظروف الموضوعية التي يستلزمها هذا الأمر، ويتطلّبها واقع الحال، فلا معنى للتساؤل عن أمر سماوي، وحتم الهي كيف يكون، وأنى له أن يقع؟

* * * * *

السؤال الرابع: كيف يمكن لامرئ أنْ يتطاول عمره الىٰ هذا الحد من السنين التي تجاوزت الألف عام؟

الجواب: لكثرة ما تردد هذا التساؤل علىٰ شفاه البعض ـ ممّن لايُخضعون تساؤلاتهم هذه الىٰ المعايير الموضوعية والثابتة لدى جميع الفرقاء ـ ويزداد هذا الترديد مع التراكم المتواصل في عدد سنين الغيبة والتي لا يعرف مداها ألّا الله تبارك وتعالىٰ.

ولا غرابة تعهد بمن يدور في حلقات هذا التساؤل بحيرة وتشتت اذا تعامل مع هذه الظاهرة تعاملاً سطحياً ضيقاً وقاصراً، بيد أنَّ مبعث الغرابة تعلق بمن يمتلك بين يديه وبمتناوله الكثير من الأدلة والشواهد القطعية بإمكان حصول هذا الأمر، بل وبسبق حصوله في حالات أُخرىٰ مناظرة لهذه الحالة التي تتميَّز عن غيرها باستلزام انتهائها توفُّر شروط قامت أو حدثت هذا الظاهرة بسبب عدم وجودها.

ثم أنَّ الأمر الذي يجب أن لا يغرب عن مخيلتنا هو أنَّ الكثير من الشواهد المختلفة التي وقف أمامها الناس دهوراً طويلة موقف المتحيِّر والمشكِّك، أثبت التطور الحاصل في العلوم البشرية اسرارها ودقائقها، ومنطقية حدوثها وحصولها، بل وأشار صراحة الىٰ حالات مشابهة لها، ومناظرة لظروف قيامها.

ومن هنا، فإنَّ القول بإمكان امتداد عمر الانسان ليتجاوز الحدود التقليدية المتعارفة عندنا أمر غير مستبعد الحصول، وممكن الوقوع، وهذا ممّا يخرج هذا الامر ـ وفق هذا التصور ـ عن دائرة الاستحالة الىٰ دائرة

الامكان.

فالتسلسل الطبيعي في حياة أنسجة وخلايا الانسان الحيَّة من دور النشوء الى دور الهرم والشيخوخة، ومن دور المرونة الى دور التصلُّب، كل ذلك يعتبر في أوضح صوره خلاصة حيَّة للصراع الدائب بين تلك الاجهزة وبين المؤثِّرات الخارجية المهاجمة لها، كالميكروبات والجراثيم، وغيرها، وحيث يؤدي هذا الفعل ورده بهذه الخلايا الى التلاشي والضعف، والانهيار أمام تلاحق هذا الفعل وتواليه.

وحقاً أنَّ مسألة وجوب تخطِّي الحياة البشرية مراحلها المتعارفة المؤدية بها الى الشيخوخة من الأمور المألوفة الممثِّلة للقانون البشري الطبيعي، إلّا أنَّ ذلك لا يلغي في حدوده العامَّة وقوع الاستثناء أو المرونة في بعض الحالات التي تتوافر فيها الظروف الموائمة لحدوث هذا الاستثناء، وهذا ما نلاحظه كثيراً في حياتنا اليومية من مظاهر محافظة البعض على بعض، المظاهر المخالفة للشكل العام للشيخوخة، رغم تجاوزها لتلك المرحلة، وتخطيها من قبلهم.

نعم، فإن علماء البيولوجيا يذهبون الى أنَّ مظاهر الشيخوخة باعتبارها ظاهرة فسيولوجية لا ترتبط ارتباطاً ملتصقاً بمراحل العمر المتأخرة قطعاً، بل قد تتأخَّر وقد تتقدَّم تبعاً لظروف خاصة معينة، وهذا الأمر يفتح الأفق واسعاً أمام العلماء لبذل جهدهم في التحكُّم بهذه الظروف وصولاً الى مبتغاهم في تأخير مظاهر الشيخوخة التي نعرفها.

ومن ثم فإنَّ الذهاب الى هذا القول يستدعي بنا التنبه الى حقيقة يجب أنَّ لا تغرب عن مخيلتنا، وهي ترتكز على هذا الادراك والفهم، حيث أنَّ توصُّلنا الى القول بالامكان البشري في الوصول الى هذا الأمر مع توافر دواعيه التي قد يتوصَّل اليها الانسان بعد حين يطول أو يقصر، يقيم

علينا الحجة والبرهان بأنّ الخالق جل اسمه أقدر على اتيان هذا الأمر، وهو القادر على كل شيء... فالقول بالنفي ذهاب الى نسبة القصور الى الله تبارك وتعالى، وهو الكفر المحض.

نعم، ليس ذلك الأمر بعسير قطعاً على الله تبارك وتعالى، وهو الذي خلق الانسان وأوجده من العدم، بمراحل منظمة متلاحقة بينها قوله جلّ اسمه: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ * ثُمَّ جَعَلناهُ نطْفَةً في قَرارٍ مَكينٍ * ثُمَّ خَلَقْنا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضغَةً فَخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَونا العِظامَ لَحماً ثُمَّ أنشأناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقينَ﴾**[1].

ثم ألم نقرأ قوله تعالى في القرآن الكريم عندما يتحدّث عن نبيّه نوح (عليه السلام)، كيف أنّه لبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً، عدا سنيه قبل البعثة، وبعد هلاك قومه.

قال جلّ اسمه: **﴿ وَلَقَدْ أرسَلنا نُوحاً الى قَومِهِ فَلَبِثَ فيهِم ألفَ سَنَةٍ إلّا خَمسينَ عاماً فَأخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمونَ ﴾**[2].

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجّل لنا التأريخ في صفحاته أسماء الكثير من المعمّرين الذين امتد بهم العمر طويلاً رغم بساطة الامكانيات المتوافرة لديهم، وضعف وسائل الرعاية الصحية في زمانهم، حتى أنّ العديد من المؤلّفين والمحقّقين أفردوا أبواباً خاصاً في كتبهم لتناول نبذ من أخبار اولئك المعمّرين، وطرف متناثرة من حياتهم.

فمن ذلك ما رواه السيّد المرتضى رحمه الله تعالى برحمته الواسعة في أماليه، حيث ذكر في باب أخبار المعمّرين وأشعارهم ومستحسن

---

(١) المؤمنون ٢٣: ١٢ ـ ١٤.

(٢) العنكبوت ٢٩: ١٤.

كلامهم جانباً مختصاً بهذا الموضوع، تعرَّض فيه الىٰ أسماء بعض من هؤلاء المعمَّرين، ذاكراً أسمائهم، وسني عمرهم، وجوانب من سيرتهم وأحاديثهم، سنحاول سوية نستعرض جانبا من ذلك.

شرع رحمه الله تعالىٰ بذكر الحارث بن كعب بن عمرو بن نملة المذحجي الذي عاش مائة وستين عاماً، والذي خاطب بنيه لمّا ادركته الوفاة ـ كما ذكر ذلك أبو حاتم السجستاني ـ: يا بني، قد أتىٰ عليَّ ستون سنة ومائة سنة، ما صافحت بيميني يمين غادر، ولا قنَّعت نفسي بخلَّة فاجر، ولا صبوت بابنة عم ولا كنة، ولا طرحت عندي مومسة قناعها، ولا بحت لصديق بسر، وإنّي لعلى دين شعيب النبي (عليه السلام)، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مرة، فاحفظوا وصيتي، وموتوا علىٰ شريعتي، الهكم فاتقوه يكفكم المهم من أُموركم، ويصلح لكم أعمالكم، وإيّاكم ومعصيته، لا يحل بكم الدمار...

ومن المعمَّرين أيضاً: المستوغر، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب.

قال عنه أصحاب الأنساب أنَّه عاش ثلاثمائة سنة وعشرين، وأدرك الإسلام أو كاد يدرك أوله، حتى ملَّ الحياة وسئم منها، وفي ذلك يقول:

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولِها   وعمِّرتُ من عدد السنين مِئينا
مائةٌ أتت من بعدها مائتان لي   وازددتُ من عدد الشهور سنينا
هل ما بقى إلا كما قد فاتنا   يومٌ يكر وليلةٌ تحدونا

ومنهم: دويد بن زيد بن نهد بن زيد.

ذكر السجستاني أنَّه عاش أربعمائة سنة وستاً وخمسين سنة.

قال ابن زيد: كان دويد من المعمَّرين، ولا تعد العرب معمَّراً إلّا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً.

ومن المعمَّرين أيضاً: زهير بن جناب بن هبل بن عبدالله.

قال أبو حاتم: عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة، وأوقع مائتي وقعة، وكان سيِّداً مطاعاً شريفاً في قومه.

يقال: كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه: كان سيُد قومه، وشريفهم، وخطيبهم، وشاعرهم، ووافدهم الىٰ الملوك، وطبيبهم ـ والطب في ذلك الزمان شرف ـ وحازي قومه ـ والحزاة الكهانة ـ وكان فارس قومه، وله البيت فيهم، والعدد منهم.

وأوصى بنيه فقال: يا بني، قد كبرت سني، وبلغت حرساً من دهري، فأحكمتني التجارب، والأمورُ تجربةٌ واحتيالٌ، فاحفظوا عنِّي ما أقول وعوه: إيّاكم والخور عند المصائب، والتواكل عند النوائب، فانَّ ذلك داعية للغم، وشماتة للعدو، وسوء ظن بالرب.

ومنهم أيضاً: ذو الاصبع العدواني، حرثان بن محرث.

قيل: أنَّه عاش مائة وسبعين سنة. وقال أبو حاتم، أنَّه عاش ثلاثمائة سنة.

وسبب لقبه بذي الاصبع أنَّ حيَّة نهشته علىٰ إصبعه فشلَّت، فسمُّي بذلك.

ومن المعمِّرين أيضاً: معدى كرب الحميري، من آل ذي رعين.

قال ابن سلام: وقال معدى كرب الحميري وقد طال عمره:

أراني كلَّما أفنيت عمراً … أتاني بعدهُ يومٌ جديدُ
يعود بياضه في كلِّ فجرٍ … ويأبىٰ لي شبابي ما يعودُ

ومنهم أيضاً: الربيع بن ضبع الفزاري.

يقال أنَّه بقىٰ الىٰ أيام بني أُميَّة، بل والتقى بعبد الملك بن مروان، أيام حكمه.

قال حين بلغ مائتين وأربعين سنة:

أصبح منّي الشبابُ قد حَسَرا إن ينأ عنّي فقد ثوىٰ عُصُراً
ودَّعـنا قبل أن نـودّعه لمّا قضىٰ من جماعنا وَطراً
ها أنا ذا آملُ الخلودَ وقد أدرك عقلي ومولدي حُجُراً

ومنهم: أبو الطمحان القيني، واسمه حنظلة بن الشرقي.

قال عنه أبو حاتم السجستاني: أنّه عاش مائتي سنة، فقال في ذلك:

حنتني حانياتُ الدهر حتىٰ كأنّي خاتلٌ أدنو لصيدِ
قصيرُ الخطو يحسبُ مَنْ رآني - ولستُ مقيَّداً - أنّي بقيدِ

ومنهم أيضاً: عبد المسيح بن بُقيلة الغسّاني.

ذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما: أنّه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان نصرانياً.

وذُكر أنّ بعض مشايخ أهل الحيرة خرج الىٰ ظهرها يختط ديراً، فلمّا احتفر موضع الأساس وأمعن في الاحتفار أصاب كهيئة البيت، فدخل فإذا رجل علىٰ سرير من رخام، وعند رأسه كتابة: أنا عبد المسيح بن بُقيلة.

حلبتُ الدهرَ أشطرَهُ حياتي ونِلتُ من المنىٰ بُلغَ المزيدِ
وكافحتُ الأمورَ وكافَحتني فلم أحفل بمعضلةٍ كئودِ
وكِدتُ أنالُ في الشرف الثُّريا ولكن لا سبيلَ الىٰ الخلودِ

ومنهم: النابغة الجعدي، قيس بن عبدالله بن عدس.

قيل: مات وهو ابن عشرين ومائة سنة بإصبهان.

وروي عن هشام بن محدم الكلبي: أنه عاش مائة وثمانين سنة.

وروى ابن دريد عن أبي حاتم: أن النابغة عاش مائتي سنة، وأدرك الإسلام، وروى له:

قالت أمامة كم عَمِرتَ زمانةً وذبحتَ من عِتَرٍ على الأوثانِ
ولقد شهدتُ عُكاظَ قبلَ محلِّها عنها وكنتُ أُعَدُّ مِلْ فتيانِ
والمنذرَ بن مُحَرِّقٍ في ملكه وشهدتُ يومَ هجائنِ النُّعمانِ
وعَمِرتُ حتى جاء أحمدُ بالهدىٰ وقوارعٍ تُتلىٰ منَ القُرآنِ
ولبِستُ مِلْ إسلامِ ثوباً واسعاً من سَيبٍ لا حَرمٍ ولا منّانِ

ويروىٰ: أنَّ النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول: أتيت النبي (صلى الله عليه وآله) فأنشدته:

بلغنا السَّماءَ مجدُنا وجُدُودُنا وإنّا لنرجو فوقَ ذلك مَظهراً

فقال له (صلى الله عليه وآله): أين المظهر يا أبا ليلىٰ ؟

فقال النابغة: الجنَّة يا رسول الله.

فقال (صلى الله عليه وآله): أجل إن شاء الله تعالى

ويقال: أنَّ النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس.

وفي رواية أُخرىٰ عن بعضهم قال: فرأيته قد بلغ الثمانين ترف غرويه، وكلَّما سقطت له ثنية نبتت له أخرىٰ، وهو أحسن الناس ثغراً[١].

وأورد الشيخ الصدوق رحمه الله تعالىٰ في كتابه الموسوم بإكمال الدين جملة من أسماء اولئك المعمَّرين، وطرف من أخبارهم، نورد جانباً منها باختصار وعجالة:

ذكر رحمه الله تعالى في أوائل المعمَّرين شداد بن عاد بن ارم، صاحب ارم ذات العماد، التي ذكر الله تبارك وتعالى عنها أنَّه لم يُخلق مثلها في البلاد[٢]، وذكر أنَّه عاش تسعمائة عام.

---

(١) بتلخيص من كتاب الامالي للسيد المرتضى ١: ٢٣٢ ـ ٢٦٩.

(٢) قال تبارك وتعالىٰ في سورة الفجر (٦ ـ ٧): ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد * ارم ذات العماد﴾.

وأمّا أوس بن ربيعة بن كعب بن أُميّة الأسلمي فقد عاش مائتين وأربع عشرة سنة، وفي ذلك يقول:

لقد عمرتُ حتى ملَّ أهلي ثوائي عندهم وسئمتُ عمري
وحق لمن أتى مائتان عاماً عليه وأربعٌ من بعد عشرِ
يملُّ من الثواء وصبح يوم يغاديه وليلٌ بعد يسري
فأبلىٰ جدَّتي وتركت شلواً وباح بما اجنُّ ضمير صدري

وعاش أبو زبيد البدر بن حرملة الطائي خمسين ومائة سنة.

وعاش نصر بن دهمان مائة وتسعين سنة.

وعاش سويد بن حذاق العبدي مائتي سنة.

وعاش ثعلبة بن كعب الاشهل مائتي سنة فقال:

لقد صاحبت أقواماً فأمسوا خفاتاً ما يُجاب لهم دعاء
مضوا قصد السبيل وخلفوني فطال علي بعدهم الثواء
فأصبحت الغداة رهين بيتي وأخلفني من الموت الرجاء

وعاش الجعشم بن عوف بن حذيمة دهراً طويلاً، فقال:

حتى متى الجعشم في الاحياء ليس بذي أيد ولا عناء
هيهات ما للموت من دواء

وعاش رداءة بن كعب النخعي ثلاثمائة سنة، وقال:

لم يبق ياخذلة من لداتي أبو بنين لا ولا بنات
ولا عقيم غير ذي سبات إلّا يعد اليوم في الأموات
هل من مشتر أبيعه حياتي

وعاش عدي بن حاتم طي عشرين ومائة سنة.

وعاش اماباة قيس بن الحارث الكندي ستين ومائة سنة.

وعاش عميرة بن هاجر بن عمير سبعين ومائة سنة، وقال:

بليتُ وأفناني الزمان وأصبحت　　هنيدة قد ابقيت من بعدها عشرا
وأصبحتُ مثل الفرخ لا أنا ميتٌ　　فأسلىٰ ولا حيّ فاصدِرُ لي أمرا
وقد عشت دهراً ما تجنُّ عشيرتي　　لها ميتاً حتى أخط به قبرا

وعاش العرام بن المنذر بن زبيد دهراً طويلاً في الجاهلية، وأدرك عمر بن عبدالعزيز، فقيل له: ما أدركت؟ فقال:

و والله ما أدري أأدركت أمّةً　　علىٰ عهد ذي القرنين أم كنت أقدَما
متىٰ تخلعا منّي القميص تبيّنا　　جآجئ لم يُكسين لحماً ولا دماً

وعاش سيف بن وهب الطائي مائتي سنة، فقال:

ألا انَّني عاجلاً ذاهب　　فلا تحسبوا أنّني كاذبُ
لبست شبابي فأفنيتُه　　وأدركني القدر الغالبُ
وخصم دفعتُ ومولىٰ نفعـ　　ـت حتى يثوب له ثائبُ

وعاش أبو الوليد أرطأة بن دشهبة المدني عشرين ومائة سنة.

وفي ذلك يقول:

رأيتُ المرء تأكله الليالي　　كأكل الأرض ساقطة الحديدِ
وما تُبقي المنيّة حين تأتي　　على نفس ابن آدم من مزيدِ
وأعلم أنّها ستكرُّ حتىٰ　　توفّي نذرها بأبي الوليد

وكذا عاش مثله شريخ بن هانئ حتىٰ قُتل في زمن الحجاج بن يوسف لعنه الله تعالىٰ.

وعاش عبيد بن الأبرص ثلاثمائة سنة، فقال:

فنيتُ وأفناني الزّمانُ وأصبحت　　لداتي بنو نعش وزهرُ الفراقدِ

ثم أخذه النعمان بن المنذر يوم بؤسه فقتله.

وعاش رجل من بني ضبّة يُقال له: المسجاح بن سباع الضبّي دهراً

طويلاً، فقال:

لقد طوّفت في الآفاق حتىٰ بليت وقد أنىٰ لي لو أبيدُ
وأفناني ولو يفنىٰ نهارٌ وليلٌ كلما يمضي يعودُ
وشهرٌ مستهلّ بعد شهرٍ وحولٌ بعده حولٌ جديدُ

وعاش لقمان العادي الكبير خمسمائة وستين سنة، وعاش عمر سبعة أنسر، كل نسر منها ثمانين عاماً، وكان من بقية عاد الاولىٰ.

وعاش زهير بن جناب ثلاثمائة سنة.

وعاش مزيقيا، عمر بن عامر ثمانمائة سنة.

وعاش هبل بن عبدالله بن كنانة ستمائة سنة.

وعاش أبو الطحّان القيني مائة وخمسين سنة.

وعاش مستوغر بن ربيعة بن كعب بن تميم ثلاثمائة وثلاثين سنة.

وعاش دويد بن زيد بن نهد أربعمائة سنة وخمسين سنة، فقال في ذلك:

ألقىٰ عليَّ الدهر رجلاً ويداً والدهر ما أصلح يوماً أفسدا
يفسد ما أصلحه اليوم غدا

وعاش تيم الله بن ثعلبة بن عكاية مائتي سنة.

وعاش ربيع بن ضبيع مائتين وأربعين سنة.

وعاش معدي كرب الحميري مائتين وخمسين سنة.

وعاش شرية بن عبدالله الجعفي ثلاثمائة سنة.

وعاش الريان بن دومغ ـ والد العزيز الذي كان في زمن النبي يوسف (عليه السلام) ـ ألف وسبعمائة سنة، وعاش والده سبعمائة سنة.

وعاش ضبيرة بن سعيد بن سعد القرشي مائة وثمانين سنة، وأدرك

الاسلام فهلك فجأة

وعاش لبيد بن ربيعة الجعفري مائة وأربعين سنة، وأدرك الإسلام فأسلم، فلمّا بلغ سبعون سنة من عمره أنشأ يقول:

كأنّي وقد جاوزت سبعين حجة خلعت بها عن منكبي ردائيا

فلما بلغ سبعاً وسبعين سنة أنشأ يقول:

باتت تشكي اليّ النفس مجهشة وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا

فان تزيدي ثلاثاً تبلغي أملاً وفي الثلاث وفاء للثمانينا

فلمّا بلغ تسعين سنة أنشأ يقول:

كأنّي وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لثامي

فلمّا بلغ مائة وعشر سنين أنشأ يقول:

أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

فلما بلغ مائة وعشرين سنة أنشأ يقول:

قد عشت دهراً قبل مجرىً داحس لو كان للنفس اللجوج خلود

فلمّا بلغ مائة وأربعين سنة أنشأ يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

غلب الرجال وكان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

يوماً اذا يأتي عليّ وليلة وكلاهما بعد المضي يعود

فلمّا حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني إنّ أباك لم يمت ولكنه فني.

وعاش ذو الاصبع العدواني حرثان بن الحارث ثلاثمائة سنة.

وعاش جعفر بن قرط ثلاثمائة سنة.

وعاش محصن بن عتبان بن ظالم الزبيدي مائتين وخمسين سنة.

وعاش عوف بن كنانة الكلبي ثلاثمائة سنة.

وعاش صيفى بن رياح بن أكثم مائتين وسبعين سنة.

وعاش عباد بن شداد مائة وخمسين سنة.

وعاش أكثم بن صيفي ثلاثمائة وستين سنة، وقال بعضهم: مائة وتسعين سنة، وأدرك الاسلام، فاختلف في اسلامه، إلّا أنَّ أكثرهم لا يشك في أنَّه أسلم، فقال في ذلك:

وإن امرءاً قد عاش تسعين حجة   الىٰ مائة لم يسأم العيش جاهل

خلت مائتان غير ست وأربع   وذلك من عد الليالي قلائل

وعاش قردة بن ثعلبة السلولي مائة وثلاثين سنة في الجاهلية، ثم أدرك الإسلام فأسلم.

وعاش مصاد بن جناب بن مرارة أربعين ومائة سنة.

وعاش قس بن ساعدة الايادي ستمائة سنة.

وعاش الحارث بن كعب ستين ومائة سنة[١].

والتأمُّل في هذه الأسماء المذكورة يبيِّن بوضوح جلي أنَّ هؤلاء بشر عاديون، ليسوا بأصحاب رسالة ودور سماوي كلِّفوا القيام به، وأُنيط بهم النهوض به واداؤه، بيد أنَّ المشيئة الالهية شاءت أن يمتد بهم العمر طويلاً

---

(١) كمال الدين ١: ٥٥٢ ـ ٥٧٤ بتصرُّف.

وأضاف رحمه الله تعالىٰ في نهاية هذا السرد المطوّل لجملة المعمَّرين وأخبارهم قائلاً:

هذه الأخبار التي ذكرتها في المعمَّرين قد رواها مخالفونا أيضاً من طريق محمَّد ابن السائب الكلبي، ومحمَّد بن اسحاق بن بشّار (يسار) وعوانة بن الحكم، وعيسىٰ ابن زيد بن رئاب، والهيثم بن عدي بن الطائي.

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: كلّما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأُمَّة مثله، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة.

وقد صح هذا التعمير فيمن تقدَّم، وصحت الغيبيات الواقعة بحجج الله تعالى (عليهم السلام) فيما مضىٰ من القرون، فكيف السبيل الىٰ انكار القائم (عليه السلام) لغيبته وطول عمره مع الأخبار الواردة فيه عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن الإئمة (عليهم السلام).

ليتجاوز الحد المألوف عند البشر، وليطوفوا بحياتهم أجيالاً متلاحقة ومترادفة، ويكونوا شهود عيان على دهور مرّت وتعاقبت وطواها الزمن بأقدامه المتسارعة.

نعم، اذا كان ذلك ممكناً في الظروف الاعتيادية التي لم تستلزمها حاجة خاصة، فإنّ ذلك الإمكان يكون أقرب الى المنطق والقبول في مواضع الحاجة الخاصة ذات الاغراض المبيتة.

بيد أنّ الإنكار غير المبني على المنطق والصواب الذي يعتمده البعض مغالطة ومماراة بعيدة عن استدرار الصواب، فانّه ممّا لا يؤبه به، ولا يؤخذ بالحسبان، لأنّه واضح البطلان، بيّن الفساد.

وللسيّد المرتضى رحمه الله تعالى مبحثاً رائقاً متصلاً بهذه الواقعة يتعرّض فيه الى مدعي البطلان في امكان امتداد الأعمار، وما يتعلّق به، نورده اتماماً للفائدة، واعضاداً للدليل.

يقول رحمه الله تعالى: إن سأل سائل فقال: كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الاعمار وامتدادها، وقد علمتم أنّ كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول: إنّه لا قدرة عليه، ولا سبيل اليه. وفيهم من ينزّل انكاره درجة فيقول: إنّه وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان فانّه ممّا يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات، إنّ العادات اذا وثق الدليل بأنّها لا تنخرق إلّا على سبيل الآية والدلالة على صدق نبي من الانبياء (عليهم السلام) علم أنّ ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل ممنوع لا يُلتفت الى مثله.

الجواب: أمّا من أبطل طول الاعمار من حيث الاحالة، أو أخرجه عن باب الإمكان فقوله ظاهر الفساد، لأنّه لو علم ما العمر في الحقيقة، وما المقتضى لدوامه اذا دام، وانقطاعه اذا انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه.

والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حيًّا، وغير حي حيًّا.

وإن شئت أن تقول: هو استمرار كون الحي الذي لكونه علىٰ هذه الصفة ابتداء حياً.

وإنَّما شرطنا الاستمرار لأنَّه يبعد أن يوصف من كان حالة واحدة حياً بأنَّ له عمراً، بل لابد من أن يراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد، وإن قل.

وشرطنا أن يكون ممَّن يجوز أن يكون غير حي، أو يكون لكونه حياً ابتداء، لئلا يلزم عليه القديم تعالى، لانَّه جلَّت عظمته ممَّن لا يوصف بالعمر، وان استمر كونه حياً، وقد علمنا أنَّ المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج اليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عزّ وجل، ولا يدخل الىٰ تحت مقدوره، كالرطوبة وما يجري مجراها.

فمتى فعل القديم تعالى الحياة، وما تحتاج اليه من البنية ـ وهي ممّا يجوز عليه البقاء ـ وكذلك ما تحتاج اليه فليست إلّا بضد يطرأ عليها، أو بضد ينفي ما تحتاج اليه، والاقوى أنَّه لا ضد لها في الحقيقة، وإنَّما ادعى قوم أنَّه ما يحتاج اليه، ولو كان للحياة ضد علىٰ الحقيقة لم يخل بما نقصده في هذا الباب.

فمهما لم يفعل القديم ضدها، أو ضد ما يحتاج اليه، ولا نقض ناقض بنية الحي استمر كون الحي حياً.

ولو كانت الحياة لا تبقى علىٰ مذهب من رأىٰ ذلك لكان ما قصدن صحيحاً، لانَّه تعالى علىٰ أن يفعلها حالاً فحالاً، ويوالي بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه، فيستمر كون الحي حياً.

فأمّا ما يعرض من الهرم بإمتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان، فليس ممّا لابدَّ منه، وإنَّما أجرى الله تعالى العادة بأنْ يفعل ذلك

عند تطاول الزمان، ولا ايجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالىٰ قادر علىٰ ان يفعل ما أجرى العادة بفعله.

واذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنّما أتى من حيث اعتقد أن استمرار كون الحي موجب عن طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة، متى انتهتا اليه انقطعتا واستحال أن تدوما، ولو اظافوا ذلك الىٰ فاعل مختار متصّرف لخرج عندهم من باب الاحالة.

فامّا الكلام في دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها فلا شك في أنّ العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة يعد الزائد عليها خارقاً للعادة، إلّا أنّه قد ثبت أنّ العادة قد تختلف في الاوقات وفي الاماكن أيضاً، ويجب أن يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت.

وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتىٰ يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف، ولا بكثير الخارق للعادة حتىٰ يصير حدوثه غير خارق لها علىٰ خلاف فيه.

وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الاعمار وامتدادها، ثم تناقص ذلك علىٰ تدريج، حتىٰ صارت عادتنا الآن جارية بخلافه، وصار ما بلغ مبلغ تلك الاعمار خارقاً للعادة[1].

---

(١) أمالي المرتضىٰ ١:٢٧٠.

السؤال الخامس: لم هذا العمر الطويل للإمام المهدي (عليه السلام)؟

الجواب: نعم ربما يتساءل متسائل عن مغزىٰ هذا العمر الطويل للإمام المهدي (عليه السلام)، وامتداده المتطاول الذي تجاوز الألف عام في الغيبة فحسب، وحيث لا يعلم كم تمتد بعد ذلك، ويمتد العمر بإمامنا الغائب عن الأنظار.

نعم، ليس في هذا التساؤل ما يثير الاستهجان والاستغراب، لأنّه وإن قفز فوق الحقائق المعلنة والواضحة والتي تعرّضنا لبعضها آنفاً، إلّا أنّه يستدعي دراسة فاحصة متأنية تستجلي حقائق علّة امتداد الغيبة التي يمتد عمر الإمام (عليه السلام) ـ لا شك فيه ـ بامتدادها.

ولا مناص من القول بأنّ في التعامل مع معطيات هذا الامر يستلزم بالمرء ادراكا واضحاً بالمكانة الخاصة بائمة أهل البيت (عليهم السلام)، وأنّهم أمناء الله تعالىٰ في أرضه، وأنّهم ـ وكما هو معروف ـ أعمدة الأرض التي تسيخ بفقدهم وبانتهائهم، وأنّ هذه الأرض ـ واعتماداً علىٰ هذا المنطلق ـ لا يمكن أن تخلو من حجة منهم قطعاً، امّا ظاهر أو غائب، ولذا فقد توالوا (عليهم السلام) واحد بعد واحد، وحيث انتهىٰ الامر الىٰ الإمام المهدي (عليه السلام)، آخر الائمة وخاتمة الاوصياء.

ومن ثم، فانّ منزلتهم العظيمة هذه من الله تبارك وتعالىٰ تجعلهم بمستوىٰ لا يعد فيه اظفاء درجات الاعجاز والتكريم الخارج عن المألوف بأمر غريب وغير معهود، وحيث يمثل الامتداد المتطاول في العمر واحد منها.

نعم، ولقد تقدَّم منّا الحديث عن أنَّ هناك جملة أسباب تحول دون ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) واعلانه لثورته الكبرىٰ التي ستحيل عالم الوجود الأرضي المليء بالظلم والفساد الىٰ عالم تسوده العدالة، ويحكمه الخير، وأشرنا الىٰ أنَّ عدم توافر الأرضية المناسبة لهذه الثورة هو العنصر الاساسي الذي يحكم هذا التأخير، ويطيل في أيامه.

بيد أنَّ هناك جملة أُخرىٰ من العوامل التي ترتبط ارتباط عضوياً بعلَّة اطالة هذه الغيبة، وبالتالي اطالة عمر الإمام المهدي (عليه السلام)، ومنها الاشراف المباشر من قبل الإمام (عليه السلام) في معاينة الأحداث التي تحكم الأرض، من التقلُّبات الحضارية والسياسية وغيرهما، وحتىٰ تتبلوّر أمام ناظريه (عليه السلام) المراحل المتلاحقة التي تحكم حياة الحضارات المختلفة، منذ نشأتها وحتىٰ ضعفها وسقوطها، ومراكز القوة والضعف فيها، والكيان الذي ترتكز عليه.

بلىٰ، لقد تمثَّلت أمام ناظري الإمام (عليه السلام) طوال هذه الحقب المتلاحقة الكثير من المشاهدات المختلفة التي لم تكن لتكون لولا هذا الحضور غير الظاهري له (عليه السلام) في الارض، وبين أظهرنا.

إن هذا الغياب علىٰ الرغم من تسليمنا بأنَّه محكوم بعدم توافر شروط انتهائه الموضوعية، إلّا أنَّه في عين الوقت ساهم في توفير فرصة الإشراف المباشر، والإحاطة الشاملة من قبل الإمام (عليه السلام) علىٰ أحداث هذه المعمورة، وعللها وأسبابها ومراحل حياتها.

* * * * *

السؤال السادس: هل يمتلك المسلمون القدرات الخاصة بالقيام بدور القاعدة التي تستند عليها ثورة الإمام المهدي (عليه السلام)؟

الجواب: لو تجاوزنا القدرات الخاصة بالإمام المعصوم (عليه السلام)، والمد الغيبي الالهي له، وتعاملنا مع هذه الثورة المترقبة كظاهرة عامّة فحسب فإنّا سنجد ـ بلا ادنىٰ مغالاة ـ أنّ المسلمين يمتلكون الكثير من القدرات الذاتية العظيمة التي منحها الله تعالىٰ لهم، وأصبحت ـ لو عقلوا ذلك ـ سلاحاً ماضياً في أيديهم، وبمتناولهم.

نعم، فانّ الموقع الجغرافي ـ مثلاً ـ المتميز لدول المسلمين جعلهم حلقة وصل كبرىٰ بين بقاع الارض المختلفة، ومرحلة واسعة لا يسع أحد أن يتجاوزها ويتخطاها بأي شكل كان.

كما أنّ سيطرتهم علىٰ الكثير من ممرات العبور، والمضائق المختلفة ـ التي تشكّل في ترتيبها ونظمها وأهميتها كالشريان الحيوي في حياة كثير من الأمم ـ منحتهم قدرات أكبر في التحكُّم بمجريات الأمور، وفرض ارادتهم ومشيئتهم العادلة لو عملوا من أجل الوصول إليها.

فالخليج الفارسي، ومضيق عمان، وقناة السويس، وغيرها ممرات حيوية لا يسع أحد القول بامكان الاستغناء عنها في كثير من التعاملات التجارية والتحرُّكات العسكرية، بل هي بلا أدنى شك كعنق الزجاجة الذي لو أغلق بوجه أصحاب هذه النشاطات لانتهىٰ بهم الأمر الىٰ الفشل والخذلان.

بل ومن نعم الله تعالى عليهم اشراف أراضيهم على كثير من البحار

التي لا منفذ منها إلّا بواسطة الموانئ التي تشرف عليها هذه الدول.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فانَّ اكتناز أراضيهم للكثير من الخيرات المختلفة والتي يتصدرها النفط، الطاقة الكبرىٰ والذي ترتكز عليه الحركة الصناعية والحضارية البشرية على هذه الأرض، وحيث يمثّل قطعه عن الدول الكبرىٰ الىٰ اضطراب وانهيار كبيرين في مجمل حياتهم ونشاطهم، فانّه بلا شك من أكبر العوامل التي تستطيع الدول الاسلامية من خلالها فرض ارادتها ومشيئتها العادلة على مناوئيها من خلال الاستخدام الأمثل له.

نعم، ولا يخفى على أحد ما شكّله الموقف البسيط الذي اتخذته الدول الاسلامية ابان احدى حروبها مع اسرائيل في عام ١٩٧٣م كيف أصاب الشلل الحياة في كثير من المراكز والقطاعات الصناعية فياوربا، وما أصابهم من الهلع والخوف من تبعات هذا الأمر لو تواصل.

والىٰ كل ذلك يضاف الكثافة البشرية العالية للمسلمين، والمنتشرين في كثير من بقاع المعمورة، عدا دولهم، حيث تذكر الاحصائيات المختلفة أنَّ عدد المسلمين يبلغ ربع سكان المعمورة، حين تبلغ دولهم في حدود الخمسين دولة مستقلة تتمتع أكثرها بمواصفات متميّزة كثيرة، وهذا ما لا تجده في غيرها من دول العالم الاخرىٰ.

اذن فإنَّ المسلمين الذين استطاعوا في يوم من الأيام أن يصلوا الىٰ أقاصي المعمورة، وأن يُخضعوا العديد من دول العالم النائية عنهم الىٰ سلطانهم وحكمهم، في وقت تواضعت فيه امكانياتهم المادية بشكل بيّن واضح، إلّا أنّهم قاتلوا بقوة الايمان، وثبات العقيدة، فانّهم لو انساقوا وانقادوا تحت مظلة وقيادة أمام معصوم، وبهذه الامكانيات الهائلة فانَّ الظرف يكون مواتياً جداً لهم، والنتائج محسومة قطعاً لصالحهم.

نعم، إنَّ المسلمين يمتلكون بلا أدنىٰ شك القدرات المختلفة التي تؤهّلهم للقيام بالدور الكبير والخطير الذي سيعلق بهم بعد ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، واعلانه ثورته الكبرىٰ باذن الله تعالىٰ.

* * * * *

السؤال السابع: ما مدىٰ صحة ما يُقال من رجعة بعض الناس الموتىٰ للالتحاق بركب الإمام المهدي (عليه السلام) ؟

الجواب: مسألة الرجعة في العقيدة الشيعية من المسائل التي أخذت لها قسطاً وافراً من النقاش والجدال المستمرّين، وحيث تبنىٰ المتعارضين جملة واسعة من القواعد الشرعية في قضية الاستدلال علىٰ صواب المنهج الذي آمنوا به، وسلّموا بصوابه.

نعم، فمسألة الرجعة ـ بالشكل الذي أشرنا اليه، وكما هو معروف ـ من المسائل الخلافية التي تجد أنَّ هناك من الشيعة من لا يقول بها، ومنهم من يقول بها، إلّا أنَّ الثابت عند الطرفين هو أنَّ عدم الإيمان بها لا يشكِّل خروجاً علىٰ العقيدة ولا عن التشيُّع، فهي عقيدة مطروحة لها دعاتها، ولهم دلائلهم التي يستندون إليها، فمن شاء من خلال ادراك صواب هذه الادلة الايمان بها فليؤمن، ومن شاء فله أنْ لا يؤمن بوقوعها.

ولقد تعرَّضنا آنفاً في كتابنا (رسالة عقائدية) الىٰ بعض مفردات هذا الموضوع وخصائصه، وسنحاول هنا تناولها بشكل متعجِّل وصولاً الى إيضاح التساؤل المذكور.

بلى، فرغم أنَّ هناك من ينفي رجوع اشخاص بأعيانهم في فترات لاحقة من حياة البشرية، فانَّ منهم من يقول بوقوع الرجعة ولكن بشكل مغاير لذلك.

فهؤلاء يقولون بانَّ الرجعة إذا تمَّت أدلَّتها فهي رجعة دولة الحق المفتقد والمسلوب عن أهل البيت (عليهم السلام)، وتكون بقيام دولة الإمام

المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان.

ولا غرو في ذلك، فانَّ قيام هذه الدولة المباركة هو بلا شك عودة ورجعة لنظام العدل الالهي الذي دعا إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة والحسن والحسين وباقي الائمة من أهل البيت (عليهم السلام) ... ذلك العدل الذين تجرّعوا في سبيله غصص الألم ومرارة الاضطهاد، حتىٰ قُتل منهم الكثيرون بعد طول معاناة، وتلاحق محن.

فإذا كان المنطق والصواب المعضودين بالادلّة النقلية والعقلية يقطعان بانَّ دولتهم هي دولة الحق الوحيدة، وأنَّ حكمهم هو حكم الله تعالىٰ في أرضه، وأنَّ هذا الحكم وهذه الدولة قد سُلبت منهم بتواطئ أعداء الدين عليهم، ومرَّت علىٰ ذلك دهور طويلة، وقرون متلاحقة، فانَّ عودة هذه الدولة الىٰ الواقع العملي هي بلا شك عودة لدولتهم وحكمهم.

هذا تصوُّر جماعة كبيرة من علماء وفقهاء الشيعة، وتفسيرهم لماهية الرجعة المتكرر ذكرها في الفكر الشيعي.

بيد أنَّ من يؤمن رجعة الأشخاص بأعيانهم بعد وفاتهم ـ والتي ربما يكون قد مر عليها زمن يمتد الىٰ آلاف السنين ـ فأنهم يستدلُّون علىٰ ذلك بجملة واسعة من الادلّة المختلفة المرتكزة على القرآن الكريم، والسنَّة المطهَّرة.

فمن الادلَّة القرآنية التي يستند اليها القائلون بهذا الشكل من الرجعة مثلاً قوله تعالىٰ في سورة البقرة: **﴿وَإذ قُلتُم يا مُوسىٰ لَنْ نُؤمِنَ لَكَ حَتّىٰ نَرىٰ اللهَ جَهرَةً فَأَخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ وَأنتُم تَنظُرونَ * ثُمَّ بَعَثناكُم مِن بَعدِ مَوتِكُم لَعَلَّكُم تَشكُرونَ﴾**[1].

---

(١) البقرة ٢: ٥٥ ـ ٥٦.

وقوله تعالىٰ في السورة نفسها: ﴿أَلَمْ تَرَ الىٰ الَّذينَ خَرَجُوا مِن ديارِهِم وَهُم أُلوفٌ حَذَرَ المَوتِ فَقالَ لَهُمُ اللهُ مُوتوا ثُمَّ أحياهُم إنَّ اللهَ لَذو فَضلٍ علىٰ النّاسِ وَلكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرونَ﴾[١].

وقال سبحانه ايضاً: ﴿أو كَالَّذي مَرَّ علىٰ قَريَةٍ وَهيَ خاوِيَةٌ علىٰ عُرُوشِها قالَ أنَّىٰ يُحيي هٰذِهِ اللهُ بَعدَ مَوتِها فَأماتَهُ اللهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ كَمْ لَبِثتَ قالَ لَبِثتُ يَوماً أو بَعضَ يَومٍ قالَ بَلْ لَبِثتَ مِائَةَ عامٍ فانظُرْ الىٰ طَعامِكَ وَشَرابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه وَانظُر الىٰ حِمارِكَ وَلِنَجعَلَكَ آيَةً لِلنّاسِ وَانظُر الىٰ العِظامِ كَيفَ نُنشِزُها ثُمَّ نَكسوها لَحماً فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ قالَ أعلَمُ أنَّ اللهَ علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[٢].

بل ويتمسّكون بما يذهبون اليه من خلال استدلالهم بقوله تعالىٰ ﴿وَإذا وَقَعَ القَولُ عَلَيهِم أخرَجنا لَهُم دابَّةً مِنَ الأرضِ تُكَلِّمُهُم أنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنونَ * وَيَومَ نَحشُر مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُم يُوزَعونَ﴾[٣].

فالآية الاولىٰ تشير الىٰ جملة أحداث ووقائع تحدث قبل يوم القيامة، والىٰ ذلك ذهب المفسّرون، واعتبروها من العلامات السابقة والدالة علىٰ قرب حدوث القيامة.

ثم أنَّ الآية التالية لها ـ كما يقول أصحاب هذا الرأي ـ من أوضح الادلّة المشيرة الىٰ وقوع الرجعة، حيث تذكر بانَّ هناك حشراً لجماعة معيَّنة من الناس، وهذا خلاف ما هو ثابت من أنَّ الحشر في يوم القيامة

---

(١) البقرة ٢:٢٤٣.
(٢) البقرة ٢:٢٥٩.
(٣) النمل ٢٧:٨٢ ـ ٨٣.

عامّاً شاملاً لا يُستثنىٰ منه أحد، ويؤكّد هذا الأمر قوله تعالىٰ في سورة الكهف: **﴿وَيَومَ نُسَيِّرُ الجِبالَ وَتَرىٰ الأرضَ بارِزَةً وَحَشَرناهُم فَلَم نُغادِر مِنهُم أحَداً﴾**(١)(٢).

نعم، فإذا كان هناك حشراً جزئياً فإنّه ليس في يوم القيامة بل سابقاً لها، وهو ما تحاجج به هذه الجماعة في تأييد مذهبها القائل بانَّ الرجعة تحصل قبل يوم القيامة لاشخاص بأعيانهم.

بل ويستدلون بغير ذلك من الآيات القرآنية المتحدِّثة عن ذلك، والمأولةبه، وحيث يجزمون بانَّ عودة هؤلاء الاشخاص تستلزمها ظروف وأدوار معينة لوقائع سالفة في حياتهم الأولىٰ، أو ما لحق بها.

بلىٰ فأنَّ القائلين بذلك يذهبون الىٰ انَّ الرجعة لا تكون عامَّة بل خاصة ببعض الناس، وحيث يشير الىٰ ذلك قول الشيخ المفيد رحمه الله تعالىٰ في تصحيحه للاعتقاد، حيث يذكر: إنَّما يرجع الىٰ الدنيا عند قيام القائم (عليه السلام) مَنْمحض الايمان محضاً، أو محض الكفر محضاً، وأمّا ما سوىٰ هذين فلا رجوع لهم الىٰ يوم المآب(٣).

اذن فباعتماد هذا القول تنحصر الرجعة بمن بلغ بتقواه وايمانه وجهاده حداً يؤهله للاقتصاص ممَّن أسرف وبالغ في الانحراف والفساد والظلم، فيعود الاثنان، ليقتص المؤمن من الكافر، والمتقي من المشرك

---

(١) الكهف ١٨:٤٧.

(٢) روىٰ علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالىٰ هذا: ما يقول الناس فيها؟

قيل: يقولون انها في القيامة.

فقال (عليه السلام): أيحشر الله تعالىٰ في القيامة من كل أمة فوجاً ويترك الباقين؟ انما ذلك في الرجعة، فاما آية القيامة فهذه: **﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾**.

(٣) تصحيح الاعتقاد: ٤٠.

بعد أن فاتهم ذلك في حياتهم الاولىٰ، التي انقضت وأتت عليها الأيام والدهور.

وأخيراً، فانَّ من يذهب الىٰ الرجعة يستدل أيضاً بجملة من الروايات المختلفة، سنحاول أن نستعرض جانباً منها من خلال هذه الصفحات المحدودة، والتي منها:

ما روي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) من أنَّه قال: أوَّل من تنشق الأرض عنه ويرجع الىٰ الدنيا الحسين بن علي (عليه السلام)، وأنَّ الرجعة ليست بعامة، بل هي خاصة، لا يرجع إلّا من محض الايمان محضاً، أو محض الشرك محضاً[1].

وعن أبي بصير أنَّه قال: قال لي أبو جعفر الباقر (عليه السلام): ينكر أهل العراق الرجعة؟

فقلت له: نعم.

فقال (عليه السلام): أما يقرأون القرآن: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾[2][3].

وقال (عليه السلام) لأبي حمزة الثمالي: يا أبا حمزة، لا تضعوا علياً دون ما وضعه الله تعالىٰ، ولا ترفعوا علياً فوق ما رفعه الله تعالىٰ، كفىٰ بعلي أن يقاتل أهل الكرَّة، وأن يزوِّج أهل الجنة[4].

وسأل المأمون الامام علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام): يا أبا الحسن، ما تقول في الرجعة؟

---

(١) بحار الانوار ٥٣: ٣٩ / ١.
(٢) النمل ٢٧:٨٣.
(٣) الاختصاص: ١٠٥.
(٤) أمالي الصدوق: ٢٤٣.

فقال (عليه السلام): إنَّها لحق، قد كانت في الأمم السالفة، ونطق بها القرآن، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يكون في هذه الأمّة كل ما كان في الأمم السالفة، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة.

وقال (صلى الله عليه وآله): إنَّ الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبىٰ للغرباء.

قيل: يا رسول الله، ثم ماذا؟

فقال (صلى الله عليه وآله): ثم يرجع الحق الىٰ أهله[1].

وفي تفسير العيّاشي عن رفاعة بن موسىٰ أنَّه قال: قال ابو عبدالله جعفر بن محمَّد الصادق (عليه السلام): إنَّ أوّل من يكرُّ الىٰ الدنيا الحسين بن علي (عليهما السلام) وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه، فيقتلهم حذو القذة بالقذة.

ثم قال (عليه السلام): **﴿ثُمَّ رَدَدنا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيهِم وَأمدَدناكُم بِأموالٍ وَبَنينَ وَجَعَلناكُم أكثَرَ نَفيراً﴾**[2][3].

وروىٰ علي بن المغيرة عن أبي جعفر (عليه السلام) أنَّه قال: كأنّي بعبدالله ابن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتان بين كتفيه مصعداً الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبِّرون ومكرُّون[4].

وروىٰ عبدالكريم الخثعمي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أنَّه قال: إذا آن قيامه [أي القائم (عليه السلام)] مطر الناس جمادىٰ الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم ير الخلائق مثله، فينبت الله تعالىٰ به لحوم الآدميين وأبدانهم

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ١/٢٠١.

(٢) الاسراء ١٧:٦.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٣/٢٨٢.

(٤) رجال الكشي ٢: ٣٩٠/٤٨١.

في قبورهم، فكأني أنظر اليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب[١].

وروىٰ عنه المفضّل بن عمر أنّه قال (عليه السلام): يخرج القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة من قوم موسىٰ (عليه السلام) الذين كانوا يهدون الىٰ الحق وبه يعدولون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبادجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكاً الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً[٢].

وفي قوله تعالىٰ **﴿رَبَّنا أمَتَّنا اثنَتَينِ وَأحيَيتَنا اثنَتَينِ فَاعتَرَفنا بِذُنُوبِنا فَهَل الىٰ خُروجٍ مِنْ سَبيلٍ﴾**[٣].

قال الامام الصادق (عليه السلام): ذلك في الرجعة[٤].

وعن مهران الجمّال، عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) في زيارة الأربعين: واشهد أنّي بكم مؤمن، وبايابكم موقن، بشرائع ديني وخواتيم عملي[٥].

وقال (عليه السلام): ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا[٦].

وعن دعاء العهد المشهور قال الامام الصادق (عليه السلام) من دعا الله تعالىٰ أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله تعالىٰ من قبره وأعطاه بكلِّ كلمة ألف حسنة، ومحا عنه ألف

---

(١) ارشاد المفيد ٢:٣٨٦، اعلام الورىٰ :٤٣٢، غيبة الطوسي :٤٧٤/ ٤٩٧، الفصول المهمة :٣٠٢.

(٢) ارشاد المفيد ٢:٣٨١، تفسير العياشي ٢:٣٢/ ٩٠.

(٣) غافر ٤٠:١١.

(٤) تفسير القمي ٢: ٢٦٠.

(٥) تهذيب الاحكام ٦: ١١٤/ ١٧.

(٦) الفقيه ٣: ٤٨٥/ ٤٥٨٣.

سيئة[١].

وعنه (عليه السلام) في زيارة للامام الحسين (عليه السلام): ونصرتي لكم معدَّة حتىٰ يحكم الله تعالىٰ ويبعثكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم، إنّي من المؤمنين برجعتكم، لا أُنكر لله تعالىٰ قدرة، ولا أُكذِّب له مشيئة، ولا أزعم أنَّ ما شاء لا يكون[٢].

وللشيخ الطبرسي (رحمه الله) تعالىٰ عند تفسيره لقوله تعالىٰ: **﴿وَيَومَ نَحْشُر مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوجاً مِمَّن يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُم يُوزَعونَ﴾**[٣] تعليق متصل بموضوعنا هذا يقول فيه:

استدل بهٰذه الآية علىٰ صحة الرجعة من ذهب الىٰ ذلك من الامامية، بان دخول من فى الكلام يوجب التبعيض، فدل ذلك علىٰ ان اليوم المشار اليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم، وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: **﴿وَحَشَرناهُم فَلَم نُغادِر مِنهُم أَحداً﴾**[٤].

وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدىٰ من آل محمَّد (عليهم السلام) بانَّ الله تعالىٰ سيُعيد عند قيام القائم (عليه السلام) قوماً ممَّن تقدَّم موتهم من أوليائه وشيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته.

كما أنَّه تعالىٰ يُعيد أيضا قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل علىٰ ايدي شيعته، وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته.

ولا يمتري عاقل أنَّ هذا مقدور لله تعالىٰ، غير مستحيل في نفسه،

---

(١) مصباح الزار (مخطوط)
(٢) كامل الزيارات: ٢١٨ / ١٣.
(٣) النمل ٨٤:٢٧.
(٤) الكهف ٤٧:١٨.

وقد فعل الله تعالىٰ ذلك في الأمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع، مثل قصة عزير وغيره، وصح عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: سيكون في أمّتي كل ما كان في بني اسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتىٰ لو أنّ أحدهم دخل حجر ضب لدخلتموه.

علىٰ أنّ جماعة من العلماء تأوّلوا ما ورد من الأخبار في الرجعة علىٰ رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الاشخاص، لمّا ظنّوا الرجعة تنافي التكليف، وليس كذلك، لأنّه ليس فيها ما يلجئ الىٰ فعل الواجب، والامتناع عن القبيح، والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة، والآيات القاهرة، كفلق البحر، وقلب العصا ثعباناً، وما أشبه ذلك.

ولأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرّق التأويل عليها، وإنّما المعوّل في ذلك علىٰ اجماع الشيعة الإمامية[1].

(١) مجمع البيان ٤:٢٣٣.

السؤال الثامن: من هو السفياني، وما هي سيرته، وكيف تكون نهايته؟

الجواب: تقدَّم منّا الحديث آنفاً وباختصار عن ظهور رجل طاغ مفسد في الارض، يعمل السيف في رقاب المسلمين، وبالأخص في الشيعة منهم، فيقتل الرجال والنساء والأطفال، لا تأخذه رحمة ولا شفقة بأحد، حتىٰ يأذن الله تعالىٰ بهلاكه وهلاك أصحابه.

وسنحاول خلال هذه الصفحات استعراض جانب من الجوانب الكثيرة المتعلّقة بهذا المفسد الذي يشكّل خروجه أمراً محتوماً سابقاً علىٰ ظهور الامام المهدي (عليه السلام)، وبشيء من الايضاح والتفصيل.

تذكر الروايات المتفرّقة أنَّ السفياني رجل ينحدر نسبه من بني أُميَّة، أشد الناس عداء للاسلام وأهله، وبغضاً وكراهة لأهل بيت النبوة (عليهم السلام).

قيل أنَّ اسمه هو: عثمان بن عنبسة، وأنَّه - علىٰ قول بعض الروايات - إمّا مسيحي المعتقد، أو من صنّاعهم وأزلامهم، وحيث تذكر هذه الروايات أنَّه يقدم من بلاد الروم وفي عنقه صليب.

بل تجد جملة اخرىٰ من الروايات تشير الى أنَّه مسلم منحرف عن عقيدة المسلمين، بل شديد البغض والعداء لامير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده المعصومين (عليهم السلام).

وأي يكن، فانَّ حركة السفياني وظهوره من الأُمور المحتومة التي لابُدّ أن تقع قبل ظهور الامام المهدي (عليه السلام)، وأنَّ عهده متصل بعهد

ظهور الامام (عليه السلام).

كما أنَّ من الثابت المنقول والمتفق عليه من قبل الفريقين هو كون نهايته لن يطول بها الامد، حيث سيخسف بجيشه الجرار في البيداء بعد توجهه لقتال الامام المهدي (عليه السلام).

ومن هنا فانّا سنحاول سوية استعراض جملة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) المتعرضة والمفصّلة لأمر السفياني، لانَّها ـ وكما هو معروف ـ تشكّل المرجع الاساسي في إدراك ومعرفة جميع ما يتعلّق به، وما يرتبط بسيرته.

فمن ذلك ما رواه محمَّد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) من قوله: السفياني أحمر، أشقر، أزرق، لم يعبد الله تعالىٰ قط، ولم ير مكة قط، يقول: يا رب ثأري والنار، يارب ثأري والنار[١].

وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قوله: إنَّ أمر السفياني من الأمر المحتوم، وخروجه في رجب[٢].

وروىٰ عنه عيسىٰ بن أعين أنَّه قال (عليه السلام): السفياني من المحتوم، وخروجه من أول خروجه الىٰ آخره خمسة عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً[٣].

وعن خلّاد الصائغ عنه (عليه السلام) أنَّه قال أيضاً: السفياني لا بُّد منه، ولا يخرج إلّا في رجب.

فقال له رجل: يا أبا عبدالله، إذا خرج فما حالنا؟

---

(١) غيبة النعماني: ٣٠٦ / ١٨.

(٢) كمال الدين ٢: ٦٥٢ / ١٨.

(٣) غيبة النعماني: ٣٠٠ / ١.

فقال (عليه السلام): إذا كان ذلك فالينا[1].

وقال (عليه السلام): قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[2].

وعن علقمة قال: قال ابن مسعود: قال لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله): أحذركم سبع فتن تكون بعدي: فتنة تقبل من المدينة، وفتنة بمكة، وفتنة تقبل من اليمن، وفتنة تقبل من الشام، وفتنة تقبل من المشرق، وفتنة تقبل من المغرب، وفتنة من بطن الشام، وهي السفياني[3].

وروىٰ الإمام الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس ، وهو رجل ربعة، وحشي الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان، وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان، حتىٰ يأتي أرض قرار ومعين فيستوي علىٰ منبرها[4].

وأخرج أبو عبدالله، نعيم بن حمّاد في كتاب الفتن عن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) قوله: السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، بعينه نكتة بياض، يخرج من ناحية مدينة دمشق، وفي واد يُقال له الوادي اليابس[5].

وسأل عبدالله بن أبي منصور أبا عبدالله الصّادق (عليه السلام) عن اسم السفياني، ما هو؟

---

(١) غيبة النعماني : ٣٠٢/ ٧.

(٢) كمال الدين ٢ : ٦٥٠/ ٧.

(٣) مستدرك الحاكم ٤ : ٤٦٨ .

(٤) كمال الدين ٢ : ٦٥١/ ٩.

(٥) الفتن اللوحة ٧٥ .

فقال له الإمام (عليه السلام): وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والاردن، وقنسرين، فتوقعوا عند ذلك الفرج.

فقال له عبدالله: يملك تسعة أشهر؟

فقال (عليه السلام): لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً[١].

وقال الثمالي: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أنَّ أبا جعفر (عليه السلام) كان يقول: إنَّ خروج السفياني من الامر المحتوم.

فقال لي (عليه السلام): نعم[٢].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): عشر قبل الساعة لا بدَّ منها: السفياني...[٣].

وروى بكر بن محمَّد الأزدي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قوله: خروج الثلاثة: الخراساني، والسفياني، واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد[٤].

وروي عن حذلم بن بشير أنَّه سأل الإمام علي بن الحسين السجّاد (عليه السلام) فقال: صف لي خروج المهدي، وعرّفني دلائله وعلاماته؟

فقال (عليه السلام): يكون قبل خروجه رجل يُقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق، ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثم يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس، وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان، فإذا ظهر السفياني

---

(١) كمال الدين ٢: ٦٥١/ ١١.
(٢) كمال الدين ٢: ٦٥٢/ ١٤.
(٣) غيبة الطوسي: ٤٣٦/ ٤٢٦.
(٤) غيبة الطوسي: ٤٤٦/ ٤٤٣.

اختفىٰ المهدي ثم يخرج بعد ذلك[1].

وعن بشر بن غالب قال: يقبل السفياني من بلاد الروم متنصِّراً، في عنقه صليب، وهو صاحب القوم[2].

وروىٰ عمر بن أبان الكلبي عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: كأنّي بالسفياني أو بصاحب السفياني قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادىٰ مناديه: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم.

فيثب الجار علىٰ جاره، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه، ويأخذ الدراهم.

أما وأنَّ امارتكم يومئذ لا تكون إلّا لأولاد البغايا[3].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: يظهر السفياني علىٰ الشام، ثم تكون بينهم وقعة بقرقيسيا حتىٰ تشبع طير السماء وسباع الأرض من جيفهم، ثم ينفتق عليهم فتق من خلفهم، فتقبل طائفة منهم حتىٰ يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السفياني في طلب أهل خراسان، ويقتلون شيعة آل محمّد، ثم يخرج أهل خراسان في طلب المهدي[4].

وروىٰ جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قوله ـ في حديث طويل ـ : ويظهر السفياني ومن معه، حتىٰ لا تكون له همّة إلّا آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، وشيعتهم، فيبعث بعثاً الىٰ الكوفة، فيصاب بأناس من شيعة آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، قتلاً وصلباً[5].

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٦٢ / ٤٥٣.
(٢) غيبة الطوسي: ٤٦٢ / ٤٧٨.
(٣) غيبة الطوسي: ٤٥٠ / ٤٥٣.
(٤) غيبة الطوسي: ٤٥٠ / ٤٥٣.
(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٢٣.

وعن الحارث عن الإمام علي (عليه السلام) أنّه قال: المهدي أقبل، جعد، بخده خال، يكون مبدأه من قبل المشرق، وإذا كان ذلك خرج السفياني، فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلّا طوائف من المقيمين علىٰ الحق، يعصمهم الله تعالىٰ من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيش جرّار، حتىٰ إذا انتهىٰ الىٰ بيداء المدينة خسف الله تعالىٰ به[١].

وروىٰ هشام بن سالم عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: اليماني والسفياني كفرسي رهان[٢].

وأخرج الحاكم في مستدركه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق، وعامّة من يتبعه من كلب، فيقتل حتىٰ يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع له قيس فيقتلها، حتىٰ لا يمنع ذنب تلعة.

ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرم، فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده، فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه، حتىٰ إذا جاز ببيداء من الأرض خسف بهم، فلا ينجو منهم إلّا المخبر عنهم[٣]

وذكر أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره في معنىٰ قوله عزّ وجلّ: **﴿وَلَو تَرَىٰ إذ فَزَعوا فَلا فَوتَ وَأُخِذوا مِنْ مَكانٍ قَريبٍ﴾**[٤].

فذكر سنده الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ـ وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب ـ: فبينما هم كذلك إذ خرج

---

(١) غيبة النعماني: ٣٠٤ / ١٤.
(٢) غيبة النعماني: ١٥٢٣٠٥.
(٣) مستدرك الحاكم ٤: ٥٢٠.
(٤) سبأ ٣٤: ٥١.

عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك، حتىٰ ينزل دمشق، يبعث جيشين، جيشاً الىٰ المشرق، وجيشاً إلىٰ المدينة، حتىٰ إذا نزلوا بأرض بابل، في المدينة الملعونة، والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العبّاس.

ثم ينحدرون الىٰ الكوفة، فيخرّبون ما حولها، ثم يخرجون متوجّهين الىٰ الشام، فتخرج راية هدىٰ من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش، منها علىٰ مسيرة ليلتين، فيقتلونهم، لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم.

ثم يخرجون متوجّهين الىٰ مكة، حتىٰ إذا كانوا بالبيداء بعث الله عزّ وجلّ جبرئيل فيضربها برجله ضربة يخسف الله تعالىٰ بهم، وذلك قوله عزّ وجل: **﴿وَلَو تَرىٰ إذ أُخِذوا فَلا فَوتَ وَأُخِذوا مِنْ مَكانٍ قَريبٍ﴾**.

لا يفلت منهم إلّا رجلان، احدهما بشير، والآخر نذير[1].

* * * * *

---

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر: ١١٠

السؤال التاسع: كيف يكون خروج الدجّال، وما هو مواصفاته وارتباط خروجه بظهور الإمام المهدي (عليه السلام)؟

الجواب: إنّ الاستفاضة الواسعة في كتب الحديث الشيعية فيما يتعلّق منها بقضية السفياني، واسرافه في الفساد في الارض، وقتله لعباد الله تعالىٰ الصالحين، والشيعة منهم بالأخص، تقابلها في الطرف الآخر استفاضة واسعة في كتب العامة عن شخصية الدجّال ومفاسده، وتحذير الأمّة منه.

نعم، فقد تواترت المصادر الحديثية العامة في نقل الأخبار الخاصة بالدجّال، حين تحددت بشكل واضح هذه الأخبار في المصادر الحديثية الشيعية قياساً لما هي عليه في الاولىٰ.

والمستقرئ في مجمل روايات الفريقين حول هاتين الشخصيتين الفاسدتين يجد بوضوح تقارباً معيناً في بعض جوانب سيرتهما الذاتية، وهذا ما دفع البعض الىٰ الذهاب بالقول بأنّ الاثنين مصداق لشخص واحد، وأنّ كل فريق حاول أن يتفرّد بروايات مختصة به عن هذا الشخص، فاصطلح تسمية خاصة به، إلّا ان الذهاب الىٰ ذلك دون تدبُّر وتفحُّص اطلاق للكلام علىٰ عواهنه، وهذا ليس ببغية المحصّلين.

نعم، إنّ في التدبُّر والتفحُّص بسيرة كل من هذين الشخصين المذكورين خير منطلق ومرتكز لادراك مدىٰ صواب هذا القول وعدمه، وهذا هو الأمر الذي يجب أن لا يغرب عن ذهنية الباحث والدارس.

بلىٰ، فانّ عملية استقراء جملة الروايات الخاصة بكل من هذين

الشخصين تبيّن بشكل واضح مدىٰ التطابق والتفاوت بين هذين الاسمين، وهذا ما عمدنا اليه في مبحثنا هذا.

ولا نخفي علىٰ القارئ الكريم أنَّ هذا الاستقراء قادنا الىٰ وجود جملة واضحة من الاختلافات البينة بين الاثنين، والتي تميِّز ـ قطعاً ـ أحدهما عن الآخر، وتميِّز كل شخصية عن الأخرىٰ بمواصفات وسمات مختصة بها.

واجمالاً، فانَّ ما قادنا اليه هذا التفحُّص في الروايات المختصة بكل منها، وفي كتب الفريقين، هو تحديد التباينات والتفاوتات المختلفة التي يمكننا من خلالها فرز كل واحد منهما عن الآخر، والتي منها:

١ ـ ذهبت الروايات المختصة بهما الىٰ أنَّ لكل منهما تسمية خاصة به لا علاقة لها بالاخرىٰ، فالسفياني يدعىٰ في أغلب الروايات بعثمان بن عنبسة، والدجّال بابن صائد.

٢ ـ حددت الروايات عند تقصيها لنسب السفياني وانحداره الأسري بأنّه من ولد أبي سفيان السيء الذكر، ومن تلك الشجرة الملعونة في القرآن الكريم، حين لا نجد لهذه النسبة صلة في نسب الدجّال.

٣ ـ تشير جملة واسعة من الروايات المختصة بالدجّال الىٰ كونه رجل عاصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وله معه مواقف مثبّتة في كتب الحديث والرواية، وأنَّ العمر يمتد به حتىٰ يظهر في آخر الزمان[1]، خلاف

(١) للشيخ الصدوق رحمه الله تعالى تعليق مفيد حول هذه الروايات المشيرة بامتداد عمر الدجّال منذ زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى وقت ظهوره في آخر الزمان، يقول فيه:

إنّ أهل العناد والجحود يصدِّقون بمثل هذا الخبر، ويروونه في الدجّال وغيبته، ولا يصدِّقون بأمر القائم (عليه السلام) وأنّه يغيب مدة طويلة، ثم يظهر فيملأ الأرض عدلاً =

السفياني الذي تشير الروايات الىٰ ظهوره في لاحقاً، وأنّه وليد عصره وزمنه.

٤ ـ تتحدَّث الروايات الخاصة بالدجّال الىٰ أنّه سيدعي عند ظهوره الربوبية، وهذا الأمر غير وارد في قضية السفياني.

٥ ـ ذهبت الروايات المختصة بالدجّال الىٰ أنّه أعور العين، حين لم تذهب روايات السفياني الىٰ ذلك، وإن أشار البعض منها الىٰ أنَّ في عينيه نكتة بيضاء، أو أن من يراه يحسبه أعور، لكنَّها لا تقطع بكونه أعور، كما هو الحال في قضية الدجال.

= وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، مع نص النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) بعده عليه باسمه، وغيبته، ونسبه، وإخبارهم بطول غيبته ارادة لاطفاء نور الله عز وجل، وابطالاً لأمر ولي الله، ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

وأكثر ما يحتجُّون به في دفعهم لأمر الحجة (عليه السلام) أنّهم يقولون: لم نرو هذه الأخبار التي تروونها في شأنه، ولا نعرفها.

وهكذا يقول من يجحد نبوة نبينا (صلى الله عليه وآله) من الملحدين، والبراهمة، واليهود، والنصارى، والمجوس، أنّه ما صح عندنا شيء ممّا ترونه من معجزاته ودلائله ولا نعرفها، فنعتقد ببطلان أمره لهذه الجهة، ومتى لزمنا ما يقولون لزمهم ما تقوله هذه الطوائف وهم أكثر عدداً منهم.

ويقولون أيضاً: ليس في موجب عقولنا أن يعمَّر أحد في زماننا هذا عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، فقد تجاوز عمر صاحبكم على زعمكم عمر أهل الزمان.

فنقول لهم: أتصدِّقون على أنَّ الدجّال في الغيبة يجوز أن يعمِّر عمراً يتجاوز عمر أهل الزمان، وكذلك ابليس اللعين، ولا تصدِّقون بمثل ذلك لقائم آل محمَّد (عليه السلام) مع النصوص الواردة فيه بالغيبة، وطول العمر، والظهور بعد ذلك للقيام بأمر الله عز وجل، وما روي في ذلك من الأخبار التي ذكرتها في هذا الكتاب، ومع ما صح عن النبي (صلى الله عليه وآله) اذ قال: كل ما كان في الأمم السالفة يكون في هذه الأمّة مثله حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة ...الى آخر ما ذكره (انظر: كمال الدين ٢ : ٥٢٩).

٦ـ تذكر الروايات المختصّة بالدجّال الىٰ أنه سيقتل علىٰ يد عيسىٰ ابن مريم (عليه السلام)، حين ذكرت روايات السفياني الىٰ أنه سيخسف به وبجيشه في البيداء.

بل وغير ذلك من الاختلافات البينة التي تظهر للباحث عند المطالعة والتأمُّل في الروايات المختصة بكل منهما، والمبثوثة في كتب الفريقين.

ولمّا كنا قد تعرَّضنا آنفاً الىٰ جملة من الروايات المختصة بالسفياني، فإنّا سنحاول هنا التعرُّض الىٰ بعض الروايات المتحدِّثة عن الدجّال، وما يتعلَّق به.

فمن ذلك ما رواه النزَّال بن سبرة، من أنَّ صعصعة بن صوحان سأل أمير المؤمنين علي (عليه السلام): يا أمير المؤمنين، متىٰ يخرج الدجّال؟

فقال له (عليه السلام): اقعد، فقد سمع الله تعالىٰ كلامك، وعلم ما أردت، والله ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً، كحذو النعل بالنعل، وإن شئت أنبأتك بها؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال (عليه السلام): احفظ، فانَّ علامة ذلك: إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلُّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيَّدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتَّبعوا الأهواء، واستخفوا بالدماء.

وكان الحلم ضعيفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقرّاء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعلن الفجور، وقول البهتان، والاثم والطغيان، وحلِّيت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطوِّلت المنارات، وأُكرمت الأشرار...

فقام اليه الأصبغ بن نباتة فقال: يا أمير المؤمنين، من الدجّال؟

فقال (عليه السلام): ألا أنَّ الدجّال صائد بن الصيد، فالشقي من صدَّقه، والسعيد من كذَّبه، يخرج من بلدة يُقال لها أصفهان، من قرية تعرف باليهودية، عينه اليمنىٰ ممسوحة، والعين الأُخرىٰ في جبهته تضيء كأنّها كوكب الصبح، فيها علقة ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب: كافر، يقرؤه كل كاتب وأُمّي.

يخوض البحار، وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يري الناس أنّه طعام، يخرج في قحط شديد، تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوىٰ له الارض منهلاً منهلاً، لا يمر بماء إلّا غار الىٰ يوم القيامة، ينادي بأعلىٰ صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والانس والشياطين، يقول: اليَّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوىٰ، وقدَّر فهدىٰ، أنا ربكم الاعلىٰ.!!

وكذب عدو الله، إنّه أعور يطعم الطعام، ويمشي في الأسواق، وانَّ ربكم عزّ وجل ليس بأعور، ولا يطعم، ولا يمشي، ولا يزول، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

إلّا وأنَّ أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنا، وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عزّ وجل بالشام، علىٰ عقبة تعرف بعقبة أفيق، لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة علىٰ يد من يصلّي المسيح عيسىٰ بن مريم (عليهما السلام) خلفه، ألا أنَّ بعد ذلك الطامة الكبرىٰ[1].

وروىٰ البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): ما بُعث نبي إلّا أنذر أُمّته الأعور الكذّاب، ألا أنّه أعور، وأنَّ ربكم ليس بأعور، وأنَّ بين يديه مكتوب: كافر[2].

---

(١) كمال الدين ٢: ٥٤٥ / ١.
(٢) صحيح البخاري ٩: ٧٥.

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لأنا أعلم بما مع الدجّال منه، معه نهران يجريان، أحدهما ـ رأي العين ـ ماء أبيض، والآخر ـ رأي العين ـ نار تأجج...

وأنَّ الدجّال ممسوح العين، عليها ظفرة[1] غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب[2].

وعن أسماء بنت يزيد قالت: كان النبي (صلى الله عليه وآله) في بيتي فذكر الدجّال فقال: إنَّ بين يديه ثلاث سنين، سنة تمسك السماء فيها قطرها، والأرض ثلث نباتها. والثانية تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا تبقىٰ ذات ظلف، ولا ذات خف من البهائم إلّا هلكت.

وأنَّ من أشر فتنة أن يجيء الاعرابيَ فيقول: أرأيت إن أحييت لك ابلك، ألست تعلم أني ربك؟

فيقول: بلىٰ.

فيتمثّل له نحو ابله كأحسن ما تكون ضروعاً، وأعظمه، وأسمنه

وقال (صلى الله عليه وآله): ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه، فيقول أرأيت إن احييت لك أخاك، ألست تعلم أني ربك؟

فيقول: بلىٰ.

فيتمثّل له الشيطان نحو أبيه وأخيه[3].

وعن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فكان أكثر حديثاً حدَّثناه عن الدجّال، وحذَّرنا، فكان من قوله: أنَّه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله تعالىٰ ذرية آدم (عليه السلام) أعظم من فتنة الدجّال، وأنَّ الله

---

(١) لحمة تنبت عند المآقي.
(٢) صحيح مسلم ٤: ٢٢٤٩.
(٣) مسند أحمد ٦: ٤٥٣.

تعالىٰ لم يبعث نبياً إلّا حذَّر أُمّته من الدجّال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ...[١] .

وعن ابن عمر قال : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رهط من أصحابه قِبَل ابن صيّاد ، حتىٰ وجده يلعب مع الصبيان ، عند أطم[٢] بني مغالة ، وقد قارب ابن صيّاد الحلم ، فلم يشعر حتىٰ ضرب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ظهره بيده ثم قال (صلى الله عليه وآله) له : أتشهد أني رسول الله ؟

فنظر اليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأميين .

ثم قال ابن صياد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : أتشهد أني رسول الله .

فرفضه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال : آمنت بالله وبرسله .

ثم قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ماذا ترىٰ ؟

قال ابن صيّاد : يأتيني صادق وكاذب .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : خلط عليك الأمر .

ثم قال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني قد خبأت لك خبيئاً .

فقال ابن صيّاد : هو الدخ[٣] .

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اخسأ فلن تعدو قدرك .

فقال عمر : ذرني يا رسول الله أضرب عنقه .

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ان يكنه فلن تُسلَّط عليه ، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله[٤] .

وعن محمّد بن المنكدر قال : رأيت جابر بن عبدالله الأنصاري

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٥٩ .

(٢) الأُطم : الحصن .

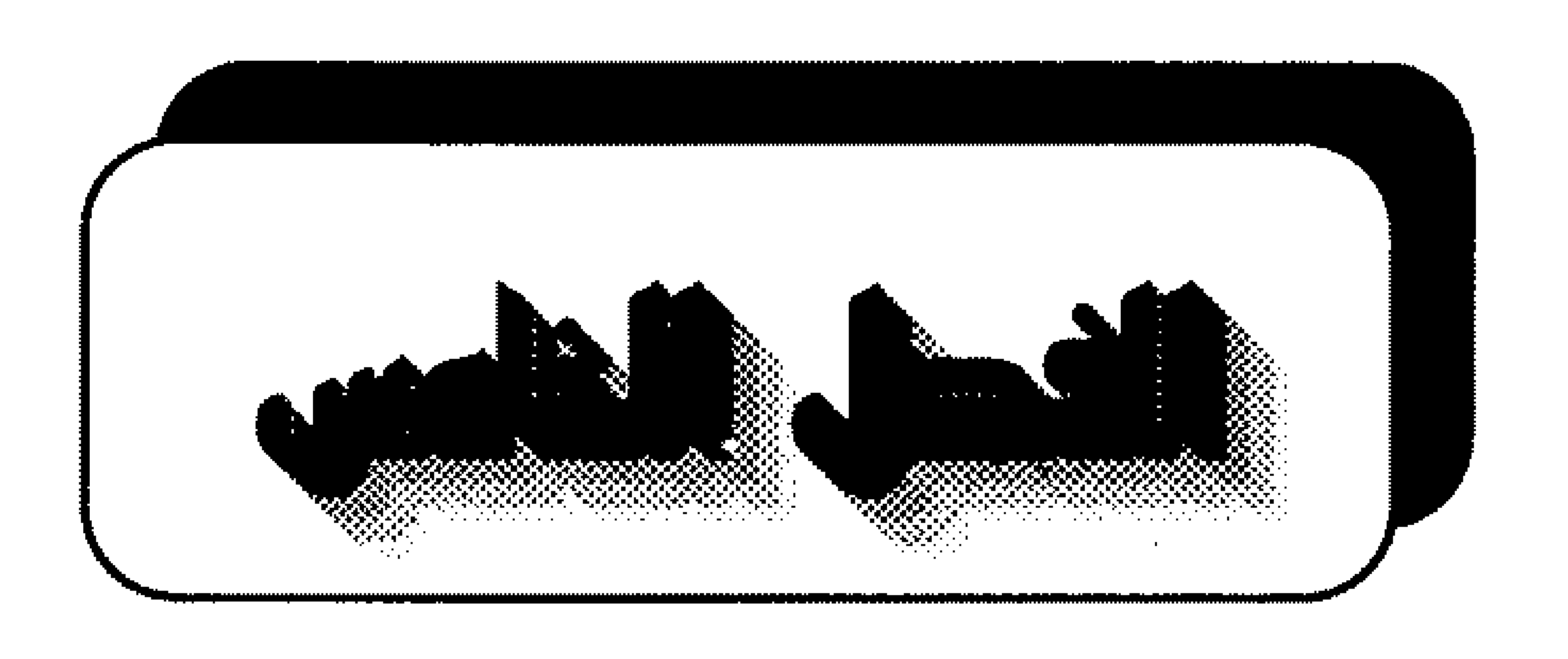
(٣) الدخان ، وقيل : آية الدخان .

(٤) صحيح البخاري ٤ : ٨٥ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٢٤٤ .

يحلف بالله تعالىٰ أنَّ ابن صيّاد الدجّال[١].

---

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٢٤٢ .



الإمام المهدي (عليه السلام) غذاء الروح

عندما يتأمّل المرء بتدبُّر وتمعُّن في ما يحيطه من مظاهر الانسلاخ الروحي الذي يغلِّف بوضوح حياة أكثر الشعوب المادية التي أعتقدت متوهمة أنَّ ما كان يعيقها ويقف حائلاً دون رقيِّها العلمي، وتطوُّرها الحضاري هو حالة التشبث العقائدي بالأفكار الدينية التي تنادي بها الأديان السماوية، وتفرض فيها على أتباعها مناهجاً تربوية، وأُصولاً سلوكية معينة، تتعارض والأفكار العلمانية التي تتشكّل بها تلك الأفكار المعارضة.

نعم، ان من يتأمّل في ذلك قليلاً يدرك عظم الخطأ الفادح الذي كان ولا زال يروِّج له دعاة العلمانية والالحاد.

ولا يخفى على القارئ الكريم بأنَّ هذا التصوُّر السقيم والباهت والساقط، ورغم عجزه عن الوقوف لحظة واحدة أمام المناقشة والمحاجَّة، إلّا أنَّه لا يصدر عن خواء وعن فراغ كما ربما يتوهم ذلك البعض، ويقطع به دون دراية أو تفحُّص.

فالمراجعة التأريخية المتدبِّرة والمتأمِّلة لحقب التخلُّف السوداء التي أحاطت بالمجتمعات الاوربية في قرونها الغابرة، وحيث لعبت الكنيسة وروّادها آنذاك دوراً كبيراً في اشاعة هذا المفهوم - المعارض للعلم والعلماء - وتركيزه في عقلية المواطن الغربي ومن يلهث وراءه، ستدفع المرء - بلا مغالاة - الىٰ الاستهجان والامتعاض، بل واصابته بذهول واستغراب كبيرين يتناسب وسوء الفهم والتقدير اللذين وقعت فيهما هذه الشعوب وهذه الجماعات غيلة وقصداً، وسقوطها بالتالي - نتيجة لذلك - بين مطرقتي الاسفاف المستهجن في الموقف الشاذ من قبل الكنيسة ودعاتها في تعاملها الميداني والفكري مع التطور العلمي من جانب،

والاطلاق الظالم في الحكم على كيفية تعامل الاديان السماوية معه من قبل مناؤيها ومعارضيها، من جانب آخر.

نعم، إنَّ هذا الأمر الحسّاس والخطير هو ما ينبغي للمثقَّفين الغربيين وعموم تلك الشعوب أن تعيد النظر فيه بشكل عقلائي مدروس يرفع هذه الغشاوة المعتمة عن ناظريهم.

فاذا كانت النظرة السطحية للعقلية المادية في عصرنا الحاضر ترتكز بشكل قطعي على نبذ التوجُّه نحو المثل الروحية وكمالاتها، وتوجيه مصاديق التعامل الحياتي لها نحو التفسيرات الماديَّة البحتة الخاضعة للبرامج البشرية المرتبطة بشكل لا يقبل الشك نحو تحقيق الرفاه والمتع المادية الرخيصة التي لا ترعوي أمام شيء، ولا تتوقف أمام حد، فانَّه توجيه ركيك وخاطئ يستدعي بالمرء الانجرار تدريجياً ـ ودون علم واحاطة من قبل الكثيرين ـ نحو هاوية التلاشي والانهيار.

بلى، فانَّ الأزمة النفسيَّة الحادة التي كان قد خلقها الاسلوب الخاطئ والمنحرف لروّاد الكنيسة وسدنتها ودعاتها من جانب، والانبهار بحالة الرقي المادي الكبرى التي لا تنكر للمراكز الصناعية في العالم من جانب آخر، كان ذلك له كبير الأثر، وأعظم التأثير في تبلور وبروز حالة الإعراض هذه عن المثل الروحية والمبادئ الداعية لها، وهو أمر ينبغي بالباحثين الالتفات اليه، ودراسته دراسة واقعية ومنطقية.

ولا يخفى على مطَّلع ما شكَّله هذان المفهومان من أثر سلبي في التعامل البشري الغربي ـ بالخصوص، والمتأثِّرين به ـ مع القيم الروحية والتعاطي معها بالشكل الواقعي والحقيقي، وإلقاء كثير من تبعات التخلُّف الذي يغلِّف حياة كثير من دول العالم الفقيرة والمتأخرة عليها.

فعندما قادت خطا رجال الكنيسة أتباعها نحو التخريف والتدجيل،

والازدواجية البيِّنة في التعامل، وشفعت ذلك بما هو أشد انحرافاً من ذلك، وأكبر منه بكثير عندما وقفت كالطود الشامخ قبالة التطور العلمي، والاكتشافات الكبيرة التي قادها رجال العلم ورموزه في فترة شهدت أحلك فترات التخلُّف في حياة تلك الأمم، وحيث عمد رجال الكنيسة الىٰ إقامة مقاصل الموت ومحارق الرعب في الساحات والشوارع والأزقة كالسيف الحاد المسلول بوجه رجال العلم وروّاده، وحيث تعاضدهم في أفعالهم المنكرة هذه ثلل وجماعات قادها جهلها وتخلُّفها، وأعماها حقدها علىٰ العلم بأشكاله، ودعاة التطور ورجاله، فتفنَّنت في وسائل التصدِّي لمظاهر العلم هذه، وسلكت أكثر من منحىٰ واسلوب، وانتهجت ما استطاعت من وسائل الظلم والتقييد والمعاداة، وحيث تمثَّلت أوضح صورها في محاكم التفتيش سيئة الذكر، والتي خلَّفت في ذاكرة التأريخ آثار سوداء قاتمة لا تنسى ولا تغتفر.

نعم، لقد سجَّل لنا التأريخ في صفحاته المطوية الكثير من المواقف السلبية لهذه المحاكم قبالة العلم والعلماء، حتىٰ قيل أنَّها ـ أي محاكم التفتيش هذه ـ حاكمت ما يقارب من الثلاثمائة ألف من العلماء في ذلك العصر الذي تغرق فيه أكثر الشعوب المغلوبة على أُمرها في سبات الجهل وليله المعتم الطويل، وللقارئ الكريم ان يتصوَّر من خلال ذلك مدىٰ وقفتها السلبية هذه من العلم والعلماء.

ثم إنَّ هذه المحاكم أحرقت ـ وذلك أسوأ أسلوب تلجأ إليه محاكم فاسدة في العالم ـ أكثر من ثلاثين ألف من كبار علماء الطبيعة الذين خالفوا علمياً، وبنظرياتهم العلمية الجديدة الاطروحات الفاسدة والباطلة للكنيسة، والمتعلِّقة مثلاً بحركة الأرض والشمس والكواكب وغيرها، والتي تفترضها مبادئ مقدَّسة لا يحق لأحد معارضتها ونقضها!!.

إنَّ موقف الكنيسة المخزي هذا من العلم والعلماء لا يمت بصلة الىٰ العقائد السماوية المباركة التي تحث علىٰ العلم وتدعو له، بل وتشجِّع روّاد العلم وحملته، وذلك أمر مفروغ منه، مقطوع بصحته.

بيد أنَّ هذا الموقف السلبي ترجمة واقعية للانحراف والفساد الذي أصاب هذا المركز، وتشكَّلت سدنته به، ولا صلة له قطعاً بالأديان السماوية وعقائدها المباركة.

لقد كان لهذا الامر كبير أثر في اعراض الكثير من العلماء والمفكِّرين والمثقفين الغربيين، وبالتالي شرائح كبيرة من الشعوب الاوربية عن مجمل المثل الروحية السماوية التي أساءت تفسيرها وطرحها الكنيسة وروّادها، فانعكست بالتالي علىٰ مجمل الحياة العامة للناس.

بل ويقف بالتالي المظهر المشرق للتطوُّر العلمي الكبير الذي تشهده الدول الصناعية في مجمل نواحي الحياة المختلفة ـ والذي حقَّق بلا شك طفرة كبرىٰ في حياة البشرية ورقيِّها ـ في الطرف الآخر من هذه المعادلة التي تبنّاها دعاة التغريب والإعراض عن المثل الروحية، والمعتقدات السماوية في الدعوة الىٰ رفضها وتحميلها مسؤولية الاخفاقات المتكرِّرة التي سببتها الكنيسة ورجالها كما ذكرنا آنفاً.

ولا غرو في ذلك، فانَّ في هذا التلاعب المكشوف في تفسير الحقائق الكبرىٰ، وربطها بحالات الانحراف التي تبنّاها واحد من المراكز التي تدعي ظلماً وزوراً حماية المعتقدات السماوية، هو ما قاد هذه الشعوب الىٰ الوقوع في هذه الشراك وهذه المصائد القاتلة.

لقد نادت جميع الاديان ـ واستثني من ذلك التي أصابها الانحراف ـ الىٰ العلم والتعلُّم، بل وكرَّمت العلم والعلماء، ورفعتهم في تعاملها معهم الىٰ أرفع درجات التقديس والتكريم، وهذا ما لا يستدعي بنا كثير شرح،

ومزيد تفصيل، لأنّه أوضح من الشمس في رابعة النهار.

نعم، والاستقراء في مجمل العقائد السامية للدين الاسلامي الحنيف الذي جاء خاتماً وناسخاً لما سبقه من الأديان يظهر بجلاء مصاديق بينة وواضحة لهذا الأمر، وهذه الحقيقة.

ومن ثم، فانّ سير حديثنا وإن كان قد قادنا نحو منافذ أخرىٰ مشرعة في سبيلنا لا يسعنا في حديثنا هنا إلّا ولوجها والتطرُّق إليها، فإنّا نبتغي من ذلك الاشارة الىٰ ما تشكّله الجوانب الروحية في رفعة النفس البشرية والسمو بها نحو عالم مفعم بالخير والعطاء.

ولا غرو في ذلك، فإنّ حالات الانهيار النفسي المتلاحقة التي نعاينها كثيراً في العالم المادي، والانكباب الرهيب علىٰ تعاطي المخدرات والعلاجات النفسية المسكّنة التي يحاول من خلالها متعاطوها تجاوز الاضطراب النفسي الذي يعيشونه بأي شكل كان، كل ذلك مبعثه الخواء النفسي، والفراغ الروحي الذي يلف بجلبابه كثيراً من أفراد تلك المجتمعات، ويطحنهم بأسنانه القاطعة التي لا ترحم.

بل ولا يعسر على المرء أن يطالع بجلاء ويدرك بيسر أنّ كثيراً من حالات الخواء النفسي هذه تترك آثاراً لا تخفىٰ علىٰ البنية الذاتية للانسان بحيث تنعكس بشكل أمراض وهمية تلقي بظلالها المعتمة القاتمة علىٰ حياة ذلك الانسان.

فمثلاً علىٰ ذلك، نرىٰ أنّ علماء النفس يذهبون في احصائياتهم العلمية الرصينة الىٰ ان ما يقارب من ٦٥ بالمائة من المرضىٰ الذين يترددون علىٰ عيادات الاطباء والمستشفيات المختصة بدعوىٰ ظهور أعراض عضوية مختلفة، هم مرضىٰ نفسانيون، وحيث يذهب علماء النفس الىٰ أنّ هذه الأمراض النفسية متلونة وخبيثة، حيث تظهر في صور

أمراض متعددة ربما ينخدع بها حتىٰ الأطباء المختصون، وحيث تراهم يواظبون فيها علىٰ علاج ذلك المريض أشهراً عديدة، أو سنوات متطاولة دون جدوىٰ، حتىٰ يستبين لهم بعد ذلك خطأ تشخيصهم، ومدى انخداعهم بهذه المظاهر الخادعة التي يعسر تكذيبها.

نعم، ومبعث ذلك كله يعود الىٰ حالات الاكتئاب والقلق النفسي الذي يشكِّل أكثر الامراض انتشاراً في عصرنا الحاضر، والمظهر العام الذي يغلف الاطار العام له.

ورغم أنَّ العديد من الأخصائيين يلجأون الىٰ وصفات ونصائح متعددة لمعالجة حالات القلق النفسي الحادة التي أُخذت تصبغ حياة كثير من أفراد العالم المادي المتغرِّب عن المثل الروحية الكبرىٰ والسامية التي نادت بها الأديان السماوية المتلاحقة، والتي ختمت بالدين الاسلامي العظيم، وبجملة دعاته العظماء المتمثِّلين بالأوصياء المنتجَبين من أهل بيت النبوة (عليهم السلام)، نقول: رغم أنَّ هؤلاء المتخصِّصين قد واظبوا علىٰ توجيه مرضاهم نحو هذا المنحىٰ الطبي البحت، وحيث أثبتت الأيام فشلها وعدم صوابها، إلّا أنَّ البعض من أولئك المختصِّين قد توجَّهوا الىٰ مبعث هذه العلَّة ومصدرها، وحيث صرَّحوا بأنَّ السر في ذلك كله يكمن في افتقاد نعمة الايمان بالقوىٰ الغيبية المتمثِّلة بالمبادئ السماوية ومثلها الكبيرة.

ولا مناص من القول بأنَّ التعلُّق بهذه المثل الكبرىٰ يشكِّل حلقة الارتقاء الموصلة نحو عالم الاستقرار النفسي والروحي، وحيث تتمثَّل هذه الحلقات بمراكز متعددة، ونقاط مشرقة محددة.

ولعل الوجود المقدَّس الطاهر للامام الثاني عشر لأهل البيت (عليهم السلام)، الامام المهدي المنتظَر (عليه السلام) هو من تلك الحلقات الكبرىٰ في حياة

البشرية، والمركز الحسّاس المهم الذي تستند عليه في انقاذها من وهدة السقوط والتردي.

نعم، فانَّ التعلُّق بهذا الوجود الطاهر الذي سينتشل البشرية جمعاء من حالات التمزُّق والتشرذم، والذل والاستضعاف، والجور والظلم... ذلك الوجود الممتد من نبي الانسانية، والرحمة الالهية المهداة للعالمين، وأمل كل الباحثين عن عالم السعادة والكرامة والعز والشرف... إنَّ ذلك التعلُّق خير منأى بالنفوس البشرية من حالات القنوط والاحباط، والنكوص والتردي والانهيار.

ومن هنا، فإنّانجد أنَّ في تربية النفس البشرية على تمتين جسور التعلُّق والانتظار المبني على الايمان العقائدي السليم خير وسيلة ترقى بالروح في عالم المعرفة والكمال، وتعرج فيها عالياً في سلَّم الرقي والرفعة.

ثم أنَّ في هذا التعالي الروحي من خلال الالتصاق بالوجود المقدَّس للامام المهدي (عليه السلام)، والتقرُّب الى الله تعالى لانجاح المسائل والطلبات الملحة في حياة الانسان، والتي تخفق في تحقيقها الوسائل المادية المتاحة، يعد بحق من الوسائل الكبرى التي لا يسع أحد الاعراض عنها أو تجاوزها، في السعي الحثيث نحو المعرفة الواضحة بالامام (عليه السلام) وكراماته الكبيرة عند الله تبارك وتعالى.

وأخيراً فإنّا لا بدَّ لنا من أن نعرِّج على بعض المواقف والمشاهدات المروية في كتب الأصحاب، كمرتكز أساسي في حديثنا هذا، واسلوب موصل الى حقيقة ما تقدَّم منّا ذكره.

الموقف الاول

يقول صاحب كتاب الكمالات الروحية في ذكره لعلة تدوينه لجملة البركات التي يفيضها التشبُّث بهذا اللون من الكتابات التي تتعرَّض لمشاهدات البعض ولقائهم بالامام المهدي (عليه السلام):

أنَّه طالما فاز أشخاص قرأوا هذا اللون من الكتابات بفيوضات عالية، وقفت أنا نفسي على كثير منها، وشهدت كيف حدث لدى قراءة هذه الكتابات أن نال العديد من المصابين بأمراض مستعصية ـ عجز عنها الأطباء ـ ما يبغون من العافية والشفاء... بعد ضراعتهم وتوسُّلهم الى الله تعالى بإمام الزمان (عليه السلام).

في المدة الواقعة بين عامي ١٣٥١ ـ ١٣٥٥ هـ ش استلفتت نظري هذه المسألة، وهي أنّي ـ مع ثلَّة مع الأصدقاء ـ كنا نذهب اسبوعياً الى المستشفيات ونوزِّع باليد كرّاساً على بضعة سطور، الهدف من وراء هذا أنّي كنت أرى أنَّ هؤلاء المرضى سوف يستمدون طاقة معنوية ـ من خلال قراءة هذه الوقائع ـ ويتماثلون للشفاء سريعاً، إذا كان ثمَّة مصلحة في بلوغهم الشفاء...

وأضاف: وعلى مدار بضع سنين كنت أكتب كرّاسات بعنوان (رسالة الأمل) وأوزعها على المستشفيات، وبعد مدة وجيزة شاهدت بعيني مئات المصابين بأمراض شتى ممَّن قرأوا هذه الكرّاسات، وفازوا بالشفاء، ثم جاءوني وهم يقولون أنَّ شفاءهم ما كان بسبب المعالجة الطبية، إنَّما هو منوط بقراءة تلكم الكرّاسات.

يقول: في أحد الأيام ذهبت لعيادة شاب مسلول راقد في مستشفى

التدرن الرئوي... وكان في وضع سيء للغاية، وعندما جلست عنده فتح عينيه وقال لي: ادع لي، فالأطباء قد يئسوا من حالتي... قالوا لي: إنَّك لن تتحسن، وعليك أن تظل تعاني من هذا المرض، وتكابد حتىٰ آخر حياتك.

قلت له: ما يقوله الأطباء فانَّما يقولونه وفق النظرة العلمية، لكنِّي أتيت لك برسالة أمل، فلا تيأس بعدها، اقرأ هذا الكرّاس تتحسن باذن الله تعالىٰ.

واستمر الكاتب في سرده لقصَّة هذا الشاب، وكيف أنَّه التقىٰ به بعد أشهر في أحد شوارع مدينة مشهد سليماً معافىٰ، وكيف ان ذلك الشاب هو الذي تعرف عليه حين خفي ذلك علىٰ الكاتب للتفاوت الحاصل في حاله.

ثم أنَّ المؤلِّف يستطرد في ذكر حديثه مع ذلك الشاب، وأنَّه سأله عن كيفية شفائه، وعن هذه الصحة والعافية التي ينعم بها، والتغيُّر الكبير في حاله، وبهذا الشكل.

يقول: قال الشاب: لما جئت لعيادتي في المستشفىٰ وأعطيتني كرّاس (رسالة الامل) فتحت الكرّاس في اللحظة نفسِّها، وقرأت بعضه، ولكنِّي قلت في نفسي بعد ذلك: لا ينبغي أن أقرأ هذا الكرّاس الآن، بسبب كثرة الغادين والرائحين، ممّا لا يسمع لحالة التوجُّه في القراءة أن تستمر، لهذا أجَّلت قراءته الىٰ آخر الليل.

ويستمر المؤلِّف في سرده لقصة هذا الشاب، وكيف أنَّه بعد ذلك قرأ هذا الكرّاس المتحدِّث عن كرامات الامام المهدي (عليه السلام) التي نالت الكثيرين من محبيه ومن شيعته، وأنَّ هذا الشاب قد أخذ بالبكاء والتوسُّل بكرامة الامام (عليه السلام) عند الله تعالىٰ، سائلا إيّاه الشفاء والعافية كما من بها

علىٰ غيره من محبّي هذا الامام (عليه السلام) والمتوسّلين بما له من عظيم الكرامة عنده جل اسمه.

يقول الشاب: فواصلت تلك الليلة البكاء والتوسُّل طويلاً بحرقة وتشبث حتىٰ أخذني النوم، أو أنّي وقعت في اغماء رأيت فيه مناماً، ولكنّي نسيته.

وأضاف مخاطباً مؤلّف هذا الكتاب: وفي الصباح استبان لي أنّ معاناتي المرضية الصعبة التي رأيتني فيها لمّا عدتني كلّها قد انجلت، وأنّي قد عوفيت.

* * * * *

الموقف الثاني

وروىٰ الميرزا النوري في كتابه الموسوم بجنّة المأوىٰ عن كتاب الدمعة الساكبة عن بركات الوجود المقدّس للامام المهدي (عليه السلام) جانباً معيّناً منه ذكر فيه مؤلّفه:

أنّه أُصيب ولده الوحيد بمرض شديد كان يزداد آناً فآناً، فيورثه أحزاناً وأشجاناً، الىٰ أن حصل للناس من برئه اليأس.

يقول: وكان العلماء والطلاّب والسادات الأنجاب يدعون له بالشفاء في مظان استجابة الدعوات بتوسُّل والحاح، بيد أنَّ حاله لم تكن تتحسن، بل كان يزداد سوءً بعد سوء.

وأضاف: فلمّا كانت الليلة الحادية عشرة من مرضه، اشتدت حاله، وثقلت أحواله، وزاد اضطرابه، وكثر التهابه، فانقطعت بي الوسيلة، ولم يكن لنا في ذلك حيلة، فالتجأت بسيّدنا القائم عجّل الله تعالىٰ ظهوره وأرانا نوره.

فخرجت من عنده وأنا في غاية الاضطراب، ونهاية الالتهاب وصعدت سطح الدار، وليس لي قرار، وتوسّلت به (عليه السلام) الىٰ الله تعالىٰ خاشعاً، وانتدبت خاضعاً، وأقول: يا صاحب الزمان أغثني، يا صاحب الزمان أدركني، متمرّغاً في الأرض، ومتدحرجاً في الطول والعرض، ثم نزلت ودخلت عليه.

فلمّا وافيت عنده، وجلست بين يديه، رأيته بفضل الله تعالىٰ وببركة الإمام القائم (عليه السلام) مستقر الأنفاس، مطمئن الحواس، قد بلّه العرق، لا بل بلّه الغرق، فحمدت الله تعالىٰ، وشكرت نعماءه التي

تتوالىٰ.

يقول الراوي: فألبسه الله تعالىٰ لباس العافية ببركة الامام المهدي (عليه السلام).

* * * * *

الموقف الثالث

ومن ذلك ما رواه الميرزا النوري الطبرسي في كتابه المتقدم أيضاً حيث قال:

قال آية الله العلاّمة الحلّي (رحمه الله) تعالىٰ في آخر منهاج الصلاح في دعاء العبرات: الدعاء المعروف، وهو مروي عن الصادق جعفر بن محمّد (عليه السلام)، وله من جهة السيّد السعيد رضي الدين محمّد بن محمّد الآوي قدّس الله روحه حكاية معروفة بخط بعض الفضلاء - في هامش ذلك الموضع - : روىٰ المولىٰ السعيد فخر الدين محمّد ابن الشيخ الأجل جمال الدين، عن والده، عن جده الفقيه يوسف، عن السيّد الرضي المذكور: أنّه كان مأخوذاً عند أمير من أمراء السلطان جرماغون مدة طويلة، مع شدة وضيق، فرأىٰ في نومه الخلف الصالح المنتظر (عليه السلام)، فبكىٰ وقال: يا مولاي، اشفع في خلاصي من هؤلاء الظلمة. فقال (عليه السلام): ادع بدعاء العبرات.

فقال: ما دعاء العبرات؟

فقال (عليه السلام): إنّه في مصباحك.

فقال: يا مولاي، ما في مصباحي؟

فقال (عليه السلام): انظر تجده.

فانتبه من منامه، وصلىٰ الصبح، وفتح المصباح، فلقي فيه ورقة مكتوب فيها هذا الدعاء بين أوراق الكتاب، فدعا به أربعين مرة[1].

---

(١) قال النوري في ذيل هذا الخبر: قال السيّد الأجل في آخر مهج الدعوات: ومن

=

. . . .

= ذلك ما حدَّثني به صديقي والمؤاخي لي محمَّد بن محمَّد القاضي الآوي ضاعف الله جل جلاله سعادته، وشرَّف خاتمته. وذكر له حديثاً عجيباً، وسبباً غريباً، وهو: أنَّه كان قد حدثت له حادثة فوجد هذا الدعاء في أوراق لم يجعله فيها بين كتبه، فنسخ منه نسخة، فلمّا نسخه فقد الأصل الذي كان قد وجده... الىٰ أن ذكر الدعاء، وذكر له نسخة أُخرىٰ من طريق آخر يخالفه.

قال: ونحن نذكر النسخة الأُولىٰ تيمُّناً بلفظ السيِّد، فإنَّ بين ما ذكره ونقل العلاّمة أيضاً اختلافاً شديداً، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهمَّ إنّي أسألك يا راحم العبرات، ويا كاشف الكربات، أنت الّذي تقشع سحائب المحن وقد أمست ثقالاً، وتجلو ضباب الاحن وقد سحبت أذيالاً، وتجعل زرعتها هشيماً، وعظامها رميماً، وتردُّ المغلوب غالباً، والمطلوب طالباً.

إلهي فكم من عبد ناداك «إنّي مغلوب فانتصر» ففتحت له من نصرك أبواب السماء بماء منهمر، وفجَّرت له من عونك عيوناً، فالتقىٰ ماء فرجه علىٰ أمر قد قدر، وحملته من كفايتك علىٰ ذات ألواح ودُسُر.

يا ربِّ إنّي مغلوب فانتصر، يا ربِّ إنّي مغلوب فانتصر، فصلِّ علىٰ محمَّد وآل محمَّد وافتح لي من نصرك أبواب السماء بماء منهمر، وفجِّر لي من عونك عيوناً ليلتقي ماء فجري علىٰ أمر قد قدر، واحملني يا ربِّ من كفايتك علىٰ ذات ألواح ودُسُر.

يا من إذا ولج العبد في ليل من حيرته يهيم، فلم يجد له صريخاً يصرخه من وليّ ولا حميم، صلِّ علىٰ محمَّد وآل محمَّد، وجد يا ربِّ من معونتك صريخاً معيناً، ووليّاً يطلبه حثيثاً، ينجيه من ضيق أمره وحرجه، ويظهر له المهمَّ من أعلام فرجه.

اللّهمَّ فيا من قدرته قاهرة، وآياته باهرة، ونقماته قاصمة، لكلِّ جبّار دامغة لكلِّ كفور ختّار، صلِّ يا ربِّ علىٰ محمَّد وآل محمد وانظر إليَّ يا ربِّ نظرة من نظراتك رحيمة، تجلو بها عنّي ظلمة واقفة مقيمة، من عاهة جفَّت منها الضروع، وقلفت منها الزروع، واشتمل بها علىٰ القلوب اليأس، وجرت بسببها الأنفاس.

=

. . . .

= اللّهمّ صلِّ علىٰ محمَّد وآل محمَّد ، وحفظاً حفظاً لغرائس غرستها يد الرَّحمٰن ، وشربها من ماء الحيوان ، أن تكون بيد الشيطان تُجزُّ ، وبفأسه تُقطع وتُحزُّ .

إلهي من أولىٰ منك أن يكون عن حماك حارساً ومانعاً . إلهي إنَّ الأمر قد هال فهوِّنه ، وخشن فألنه ، وإنَّ القلوب كاعت فطمِّنها والنفوس ارتعات فسكِّنها .

إلهي تدارك أقداماً قد زلَّت ، وأفهاماً في مهامه الحيرة ضلَّت ، أجحف الضرُّ بالمضرور ، في داعية الويل والثبور ، فهل يحسن من فضلك أن تجعله فريسة للبلاء وهولك راج ؟ أم هل يجمل من عدلك أن يخوض لجَّة الغمّاء ، وهو إليك لاج .

مولاي لئن كنت لا أشقُّ علىٰ نفسي في التّقىٰ ، ولا أبلغ في حمل أعباء الطّاعة مبلغ الرِّضا ، ولا أنتظم في سلك قوم رفضوا الدنيا ، فهم خمص البطون ، عمش العيون من البكاء ، بل أتيتك يا ربِّ بضعف من العمل ، وظهر ثقيل بالخطأ والزلل ، ونفس للراحة معتادة ، ولدواعي التسويف منقادة .

أما يكفيك يا ربِّ وسيلة إليك ، وذريعة لديك ، أنّي لأوليائك موال ، وفي محبَّتك مغال ، أما يكفيني أن أروح فيهم مظلوماً ، وأغدو مكظوماً ، وأقضي بعد هموم هموماً ، وبعد رجوم رجوماً ؟

أما عندك يا ربِّ بهذه حرمة لا تضيع ، وذمَّة بأدناه يقتنع ، فلم لا يمنعني يا ربِّ وها أنا ذا غريق ، وتدعني بنار عدوِّك حريق ، أتجعل أولياءك لأعدائك مصائد ، وتقلِّدهم من خسفهم قلائد ، وأنت مالك نفوسهم ، لو قبضتها جمدوا ، وفي قبضتك موادُّ أنفاسهم ، لو قطعتها خمدوا .

وما يمنعك يا ربِّ أن تكفَّ بأسهم ، وتنزع عنهم من حفظك لباسهم ، وتعريهم من سلامة بها في أرضك يسرحون ، وفي ميدان البغي علىٰ عبادك يمرحون .

اللّهمّ صلِّ علىٰ محمَّد وآل محمَّد ، وأدركني ولمّا يدركني الغرق ، وتداركني ولمّا غيب شمسي للشفق .

إلهي كم من خائف التجأ إلىٰ سلطان فآب عنه محفوفاً بأمن وأمان ، أفأقصد يا ربِّ بأعظم من سلطانك سلطاناً ؟ أم أوسع من إحسانك إحساناً ؟ أم أكثر من اقتدارك أقتداراً ؟ أم أكرم من انتصارك انتصاراً .

اللّهمّ أين كفايتك الّتي هي نصرة المستغيثين من الأنام ، وأين عنايتك الّتي هي جنّة المستهدفين لجور الأيّام ، إليَّ إليَّ بها ، يا ربِّ ! نجّني من القوم الظالمين إنّي

=

وكان لهذا الامير امرأتان، احدهما عاقلة مدبِّرة في أُموره، وهو كثير الاعتماد عليها.

فجاء الأمير في نوبتها، فقالت له: أخذت أحداً من أولاد أمير

= مسَّني الضرُّ وأنت أرحم الراحمين.

مولاي ترىٰ تحيُّري في أمري، وتقلُّبي في ضرِّي، وانطوائي علىٰ حرقة قلبي وحرارة صدري، فصلِّ يا ربِّ علىٰ محمَّد وآل محمَّد، وجُد لي يا ربِّ بما أنت أهله فرجاً ومخرجاً، ويسِّر لي يا ربِّ نحو اليسرىٰ منهجاً، واجعل لي يا ربِّ مَنْ نصب حبالاً لي ليصرعني بها صريع ما مكره، ومن حفر لي البئر ليوقعني فيها واقعاً فيما حفره، واصرف اللّهمَّ عنّي شرَّه ومكره، وفساده وضرَّه، ما تصرفه عمَّن قاد نفسه لدين الديّان، ومناد ينادي للإيمان.

إلهي عبدك عبدك، أجب دعوته، وضعيفك ضعيفك فرِّج غمَّته، فقد انقطع كلُّ حبل إلّا حبلك، وتقلّص كلُّ ظلّ إلّا ظلّك

مولاي دعوتي هذه إن رددتها أين تصادف موضع الاجابة، ويجعلني إن كذَّبتها أين تلاقي موضع الاجابة، فلا تردَّ عن بابك من لا يعرف غيره باباً، ولا يمتنع دون جنابك من لا يعرف سواه جناباً.

ويسجد ويقول: إلهي إنَّ وجهاً إليك برغبته توجَّه، فالراغب خليق بأن تجيبه، وإنَّ جبيناً لك بابتهاله سجد، حقيق أن يبلغ ما قصد، وإن خدَّاً إليك بمسألته يعفَّر، جدير بأن يفوز بمراده ويظفر، وها أنا ذا يا إلهي قد ترىٰ تعفير خدِّي، وابتهالي واجتهادي في مسألتك وجدّي، فتلقَّ يا ربِّ رغباتي برأفتك قبولاً، وسهِّل إليَّ طلباتي برأفتك وصولاً، وذلِّل لي قطوف ثمرات إجابتك تذليلاً.

إلهي لا ركن أشدَّ منك فآوي إلىٰ ركن شديد، وقد أويت إليك، وعوَّلت في قضاء حوائجي عليك، ولا قول أسدَّ من دعائك، فأستظهر بقول سديد، وقد دعوتك كما أمرت، فاستجب لي بفضلك كما وعدت، فهل بقي يا ربِّ الّا أن تجيب، وترحم منّي البكاء والنحيب، يا من لا إله سواه، ويا من يجيب المضطرَّ إذا دعاه.

ربِّ انصرني علىٰ القوم الظالمين، وافتح لي وأنت خير الفاتحين، والطف بي يا ربِّ وبجميع المؤمنين والمؤمنات، برحمتك يا أرحم الرّاحمين.

المؤمنين علي (عليه السلام) . ؟

فقال لها : لِمَ تسألين عن ذلك ؟

فقالت : رأيت شخصاً وكأنَّ نور الشمس يتلألأ من وجهه ، فأخذ بحلقي بين أصبعيه ، ثم قال : أرىٰ بعلك أخذ ولدي ، ويضيّق عليه المطعم والمشرب .

فقلت له : يا سيدي من أنت ؟

قال : أنا علي بن أبي طالب ، قولي له : إن لم يخل عنه لأخربنَّ بيته .

فشاع هذا النوم من السلطان ، فقال : ما أعلم ذلك . وطلب نوّابه ، فقال : من عندكم مأخوذ ؟

فقالوا : الشيخ العلوي ، أمرت بأخذه .

فقال : خلّوا سبيله ، وأعطوه فرساً يركبها ، ودلّوه علىٰ الطريق . فمضىٰ الىٰ بيته .

* * * * *

الموقف الرابع

ومن كتاب اثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للشيخ المحدِّث الجليل محمَّد بن الحسن الحر العاملي (رحمه الله) قال:

قد أخبرني جماعة من ثقاة الأصحاب أنَّهم رأوا صاحب الامر (عليه السلام) في اليقظة، وشاهدوا منه معجزات متعددة، وأخبرهم بعدة مغيَّبات، ودعا لهم بدعوات مستجابات، وأنجاهم من أخطار مهلكات.

قال (رحمه الله) تعالىٰ: وكنّا جالسين في بلادنا في قرية مشغر في يوم عيد، ونحن جماعة من أهل العلم والصلحاء، فقلت لهم: ليت شعري، في العيد المقبل من يكون من هؤلاء حياً، ومن يكون قد مات؟

فقال لي رجل كان اسمه الشيخ محمَّد، وكان شريكنا في الدورس: أنا أعلم أنِّي أكون في عيد آخر حياً، وفي عيد آخر حياً، وعيد آخر الىٰ ستة وعشرين سنة.

يقول الشيخ: وظهر منه أنَّه جازم بذلك، من غير مزاح.

فقلت له: انت تعلم الغيب؟!

فقال: لا، ولكنِّي رأيت المهدي (عليه السلام) في النوم وأنا مريض، شديد المرض، فقلت له: أنا مريض وأخاف أن أموت، وليس لي عمل صالح ألقىٰ الله عزّ وجل به.

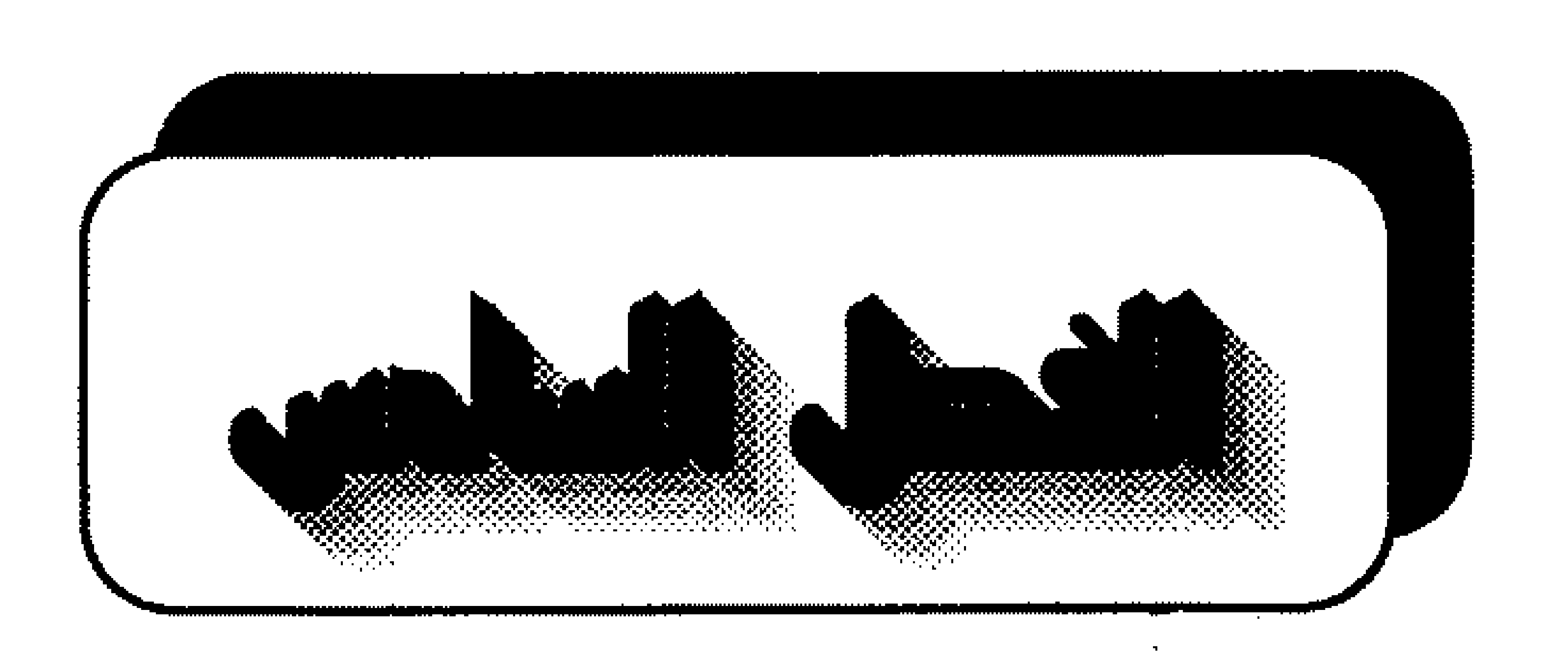
فقال (عليه السلام): لا تخف، فانَّ الله تعالىٰ يشفيك من هذا المرض، ولا تموت فيه، بل تعيش ستاً وعشرين سنة. ثم ناولني (عليه السلام) كأساً في يده، فشربت منه، وزال عني المرض، وحصل لي الشفاء، وأنا أعلم أنَّ هذا ليس من عمل الشيطان.

فلمّا سمعت كلام الرجل كتبت التأريخ، وكان سنة ألف وتسعة وأربعين.

ومضت لذلك مدة، وانتقلت الىٰ المشهد المقدس سنة ألف واثنين وسبعين، فلمّا كانت السنة الأخيرة وقع في قلبي أنَّ المدة قد انقضت، فرجعت الىٰ ذلك التأريخ وحسبته، فرأيته قد مضىٰ ست وعشرون سنة، فقلت: ينبغي أن يكون الرجل قد مات.

فما مضت نحو شهر أو شهرين حتىٰ جاءتني كتابة من أخي ـ وكان في البلاد ـ يخبرني أنَّ الرجل المذكور مات.

* * * * *



حكومته (عليه السلام)
وعصره المزدهر بالخير والعطاء

وأخيراً ها نحن نطوي سوية محطات الحديث المترادف عن الامام المهدي (عليه السلام) لنحط رحالنا عند المحطة الاخيرة من تجوالنا العاجل هذا في مراكز النور الالهي والمتمثّلة بالوجود المقدّس للحلقة الأخيرة من حلقات الامامة المباركة التي جعلها الله تبارك وتعالىٰ كالسفينة الفارهة التي لن ينال المتخلّف عنها إلّا الغرق، والعازف والمناوئ لها إلّا الهلاك.

بلى، لقد جبنا متعجّلين المسافات المتطاولة الممتدة منذ الاشارات الاولىٰ لانبثاق نجم الامامة الثاني عشر الامام المهدي المنتظَر (عليه السلام)، وما يتعلّق به، مستعرضين جملة متفرّقة من الأحداث الجسام التي لازمت ذلك الانبثاق، وأحاطت به، وما تفرّع عنها، وامتد من خلالها.

ثم استفضنا في حديثنا كثيراً في تناول بعض تلك الحلقات المتلاحقة، استفاضة متناسبة مع حدود كتابنا المختصرة، مشيرين الىٰ أنّ عظم المواجهة التي تحيط بالإمام (عليه السلام) وبأتباعه تتناسب وحجم الدور المناط به (عليه السلام) في عصر حضوره، والفعل العظيم والمؤثر القاطع في اقامة حكومته العادلة التي ستقام بإذن الله تعالىٰ علىٰ انقاض الحكومات المادية الفانية التي جرّعت المستضعَفين والمغلوبين مرارة الحنظل طوال دهور القهر والاستعباد.

ولا غرو في ذلك، فانّ الركائز الفاسدة التي قامت عليها الحكومات الفاسدة والظالمة التي جهدت في أن تلغي الاسلام واطروحته من البرنامج العملي في حياة البشر، قد ترسّخت جذورها وقواعدها بتقادم الأيام والدهور، بل وازدادت تفرّعاتها وتعقّداتها، حتىٰ أمست كالاخطبوط الذي يجثم علىٰ صدور المخلصين والصالحين، ويضيّق عليهم أنفاسهم، ويقيّد

منهم كل حركاتهم.

بلىٰ لقد كان لتقادم الأيام والدهور علىٰ المصادرة المعلنة للمنصب الإلهي المناط بأهل بيت النبوة (عليهم السلام) من قبل مناوئيهم ومخالفيهم، ودأب تلك المراكز علىٰ تثبيت أركان وجودها، مع جهدها المتواصل علىٰ تصفية وتحجيم الوجود الفكري والمادي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وبأساليب ومناهج شتىٰ، كل ذلك أعطىٰ أعداء الدين ـ متوافقاً مع السياسة الخرقاء لهذه المراكز ـ القدرة الأكبر في تمزيق المجتمع الاسلامي الواحد، وبناء جملة كبيرة من الكيانات الفاسدة المتينة البنيان، وطرحها ـ وذلك ممّا تغص به الحلوق ـ كبدائل مفترضة عن النظام الالهي المتكامل الذي نادىٰ به جميع الأنبياء والمرسَلين، والأوصياء والصالحين.

وممّا لا ريب فيه أنَّ النتائج المترتِّبة على ذلك أفضت الى امتلاك تلك الدوائر والمراكز الفاسدة للقدرات المادية الضخمة التي وفَّرها لهم استحواذهم هذا علىٰ مراكز القوىٰ التي تحكم البشرية في كل مكان، وبالتالي ـ وكنتيجة منطقية لا بدَّ منها ـ استرسالها في تنفيذ برامجها وسياساتها الموصلة الىٰ تحقيق أغراضها وأهدافها المتعارضة كلياً مع الشرائع السماوية وأهدافها العادلة.

نعم، إنَّ الالتفاف الىٰ هذه الحقيقة الثابتة، والاقرار بوجودها يظهر للمرء مدىٰ تجذُّر القواعد التي ترتكز عليها هذه الأنظمة، وبالتالي ما ستلجأ اليه من ردود فعل كبرىٰ في دفاعها المستميت عن وجودها وعن مصالحها الذاتية، بل ـ وهذا هو الاهم ـ وعظم الدور المناطة به الثورة الكبرىٰ للامام المهدي (عليه السلام) وما يعنيه ذلك من قيام حالة الصدام الدموية التي لا بدَّ من وقوعها بين النقيضين الممثِّلين لخلاصة حالتي التنافر الثابتة المتمثلتين بالخير والشر، والظلم والعدالة، والعتمة والنور، وحيث ستكون

هذه المواجهة الشرسة هي فاصلة المطاف في نقض البناء المتراكم للفساد والظلم الذي أحاط بالبشرية دهوراً متلاحقة ومتواصلة، وبالتالي اقامة للنظام الذي وعد الله تعالىٰ عباده بقيامه في يوم من الأيام.

ثم أنَّ في إقامة هذا النظام الإلهي عند ظهور الامام المهدي (عليه السلام) التنفيذ العملي للبرامج السماوية المتلاحقة التي شرعت منذ بدء البشرية وحتىٰ ختمت بالرسول الاكرم محمَّد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله).

وإذا كنّا قد تعرَّضنا في مباحثنا السالفة الىٰ الآمال المناطة بقيام دولة الامام المهدي (عليه السلام) من خلال مناقشتنا لمفهوم الانتظار في زمن الغيبة الكبرىٰ، ومن خلال ما نقرأه في دعاء الندبة الشهير، فإنّا ومن خلال التدبُّر في بعض مفردات هذا الدعاء سندرك بوضوح بعض الجوانب المهمة المنبثقة عن برامج حكومة الإمام المهدي (عليه السلام) العادلة، وبالتالي حجم التغيير المناط بها في ذلك الزمن العسر، والتي منها:

١ ـ قطع دابر الظَلَمة.

٢ ـ اقامة الامت والعوج.

٣ ـ ازالة الجور والعدوان.

٤ ـ تجديد الفرائض والسنن.

٥ ـ اعادة الملّة والشريعة.

٦ ـ احياء الكتاب وحدوده.

٧ ـ احياء معالم الدين وأهله.

٨ ـ قصم شوكة المعتدين.

٩ ـ هدم أبنية الشرك والنفاق.

١٠ ـ ابادة أهل الفسوق والعصيان.

١١ ـ حصد فروع الغي والشقاق.

١٢ ـ طمس آثار الزيغ والأهواء.

١٣ ـ قطع حبائل الكذب والافتراء.

١٤ ـ ابادة أهل العناد والمردة.

١٥ ـ استئصال أهل العناد والتضليل والالحاد.

١٦ ـ نشر راية الهدىٰ.

١٧ ـ المطالبة بذحول الأنبياء.

١٨ ـ المطالبة بدم الامام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته واصحابه.

١٩ ـ الانتصار علىٰ المعتدين والمفترين.

٢٠ ـ نشر العدل واماتة الظلم.

بلىٰ هذه جملة مختصرة من برامج الحكومة الإلهية المرتقبة التي سيتولىٰ الامام المهدي (عليه السلام) اقامتها وادارتها بعد ظهوره من غيبته المتطاولة هذه، وهذا ما سنستعرض جانباً منه في مباحثنا التالية باذن الله تعالىٰ.

* * * * *

العالم عشية الظهور المقدّس

تقدّم منّا الحديث آنفاً عن أنّ العصر المقارب لزمن ظهور الامام المهدي (عليه السلام) سيشهد اضطراباً ومخاضاً عسيراً، وسنيناً شاقة تطحن بفكيها وأسنانها الناس من خلال تلاحق الفتن والاضطرابات، والشدائد والبلايا، وانتشار الظلم والجور بشكل لم يسبق له نظير، ولم يعهد له شبيه.

وأنّ هذه الغيبة التي تكون أشبه بالحيرة المضلّة لمن لم يكن أهلاً للخوض في غمراتها، وتكون شديدة الوطأة على المؤمنين الذين آلوا الا ان ينالوا شرف مصاحبة الامام (عليه السلام) في ثورته المباركة

نعم، فقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: تكون لغيبته حيرة يضل فيها أقوام ويهتدي آخرون، اولئك خيار الأمّة مع أبرار العترة[١].

وعن الامام محمّد بن علي الباقر (عليه السلام) قال: يخرج بعد غيبة وحيرة، لا يثبت فيها على دينه إلّا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله تعالى ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الايمان، وأيّدهم بروح منه.[٢].

بل وروي عن الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) قوله: لا بدّ للناس من فتنة صماء صيلم، يسقط فيها كل بطانة ووليجة[٣].

---

(١) اعلام الورى: ٤٠٠.
(٢) كشف الغمة ٣: ٣١١، اعلام الورى: ٤٠١، منتخب الأثر: ٢٢٩.
(٣) غيبة النعماني: ٩٤، عيون أخبار الامام الرضا (عليه السلام) ٢: ٦.

وأمّا الامام الحسن العسكري (عليه السلام) فقد روي عنه قوله: والله ليغيبن غيبة لا ينجو فيها إلّا من يثبّته الله تعالىٰ على القول بامامته، ووفّقه للدعاء بتعجيل فرجه.

ولمّا سُئل (عليه السلام) عن غيبة الامام المهدي (عليه السلام) أتطول؟

قال (عليه السلام): أي وربي، حتىٰ يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به، ولا يبقى إلّا من أخذ الله عزّ وجلّ عهده بولايتنا، وكتب في قلبه الايمان، وأيّده بروح منه[1].

بل، وتبلغ الحالة من السوء بالمؤمن بحيث لا يجد له مقاماً في تلك الأرض التي يتحكّم فيها الطغاة الفاسدون الذين عجّت بأفعالهم الأرض وضجّت حتىٰ قيل أنّه لا يكاد يُرىٰ هناك أثر للخير وأهله، بل قلوب عميت، ومحارم انتهكت، وأهواء اتبعت، وأعراض ودماء استحلّت، وخراب ودمار تبدو آثاره لكل ناظر ومتأمّل.

روىٰ أبو سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: ينزل بأُمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يُسمع ببلاء أشد منه، حتىٰ تضيق عليهم الأرض الرحبة، حتىٰ تملأ الارض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يتلجئ إليه من الظلم[2].

بل وترىٰ هذا البلاء شديداً علىٰ شيعَة أهل البيت (عليهم السلام)[3] محيطاً بهم، مطبقاً عليهم، لا يجدون منفذاً ولا وليجة يلجون فيها هرباً من سوء الحال الذي هم فيه.

---

(١) اعلام الورىٰ: ٤١٥.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٤٦٥.

(٣) قال الامام الباقر (عليه السلام): لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلّا من أطاع الله تعالىٰ. (الكافي ١: ٧٣).

نعم، فالإطباق على الشيعة المقتفين لآثار أهل بيت النبوة (عليهم السلام) يكون شديداً محكماً، تعضده كثرة الفتن فيهم، حتىٰ ترىٰ أنّه لن يبقىٰ نتيجة هذه الحال علىٰ الحق الذي هم عليه إلّا الأقل فالأقل، وذلك وعد موعود به الشيعة من قبل، وجاءهم الخبر به عن أئمة الهدىٰ (عليهم السلام).

قال الامام علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام) مخاطباً شيعته: والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتىٰ تمحّصوا وتميّزوا، وحتىٰ لا يبقىٰ منكم إلّا الأندر فالأندر[1].

وعن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) قوله: لا بد لصاحب هذا الامر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الامر من كان يقول به، انما هي محنة من الله تعالىٰ امتحن بها خلقه[2]

بل تطبق عليهم أسنان الدهر من كل حدب وصوب، وتتناوشهم البلايا والمحن والفتن، ويلوكهم الموت بفكّيه حتىٰ لا يدع منهم إلّا النزر القليل.

روىٰ سليمان بن خالد عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قوله: قدّام القائم موتان: موت أحمر، وموت أبيض، حتىٰ يذهب من كل سبعة خمسة[3].

وخاطب (عليه السلام) أبا حمزة الثمالي: يا أبا حمزة، لا يقوم القائم إلّا علىٰ خوف شديد، وزلازل، وفتنة، وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد بين الناس، وتشتُّت في دينهم، وتغيُّر من حالهم، حتىٰ يتمنّىٰ المتمنّي الموت صباحاً ومساءً من

(١) غيبة النعماني: ٢٠٨ / ١٥.
(٢) غيبة الطوسي: ٢١٥.
(٣) كمال الدين ٢: ٦٥٥ / ٢٧، الفصول المهمة: ٣٠١.

عظم ما يرىٰ من كلب الناس، وأكل بعضهم بعضاً، وخروجه إذا خرج عند الإياس والقنوط[1].

بلىٰ هكذا ترىٰ الأمّة عشية الظهور المقدّس للإمام المهدي (عليه السلام)، في تشتُّت وتبعثر، وتفرُّق وتمزُّق، لم يبق فيها من المخلصين إلّا العدد المعدود اليسير الذي تتلاعب به صروف الدهر، ومصائب الزمن، ويجد في تمنّي الموت والخلاص من الدنيا راحة له من فتنها ومحنها.

نعم، إنّه ـ علىٰ ما تذكره الأخبار ـ زمن تضيع فيه الأمانة، ويُستحل فيه الكذب، وأكل الربا، وأخذ الرشا، وقول البهتان.

زمن تخبث فيه سرائر الناس، وتسوء أفعالهم، ويستخفّون بالدماء والأعراض.

زمن يكون فيه الحلم ضعيفاً، والظلم فخراً، والأمراء فجرة، والقرّاء فسقة...

بيد أنَّ ذلك الزمن العسر الذي لم ير مثله في السوء مثيلاً يحمل في طيّاته بذور الانعطافة الكبيرة في حياة البشرية، وتحقُّق الحلم الموعود الذي تلاحقت أعين الدهور والقرون في ترقُّبه وانتظاره... إنّـه زمـن الظهور المقدّس للإمام الغائب عن الأنظار، والمتربِّع في القلوب، زمن اعلان الثورة الكبرىٰ، والمعركة الفاصلة بين الحق والباطل، وبين الظلمة والنور.

ولا غرو في ذلك، فكل ولادة يسبقها مخاض، ومخاض هـذه الولادة وان كان قد طال به الزمن، وامتدت به الدهور، حتىٰ قيل: متى؟ وكيف؟ بيد أنّه هنا يتجاوز آخر مراحله، ونهاية معاناته، وساعات ليله

---

(١) غيبة النعماني: ٢٣٤ / ٢٢

الاخيرة، حيث ستكتحل عيون العلم برؤية وريث الانبياء والائمّة والاوصياء، وريث الحق والعدالة، والعز والفخر...

نعم، إنّه عصر تنتفض فيه الأرض جذلاً، وتبكي السماء فرحاً بعد ما طال منها البكاء حزناً وتألُماً... تباهياً وتفاخراً بظهور الامام المهدي (عليه السلام) الذي سيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ـ دهوراً طويلة ـ ظلماً وجوراً.

* * * * *

مدخل في عصر الظهور

لقد عفىٰ الدهر عن حقب تلاحقت وطوت في ثناياها المتغضنة الكثير من الاحزان والآلام المترادفة التي خطَّت بألوانها المعتمة القاتمة حياة أُمم وشعوب استُضعِفت وأحاط بها الذل والتضييق حتىٰ امسىٰ علماً بارزاً تُعرف به، وتُوسم بسماته.

نعم، لقد قاد التطواف الكبير في العصور المرة المتطاولة خطا الأُمَّة المنهكة بعد هذا المسير الشاق والعسير أخيراً نحو عالم المثل العظيم الذي شخصت عيون ملايين لا تعد من البشر نحو الأفق البعيد الذي كان من المؤمل أن يشهد اشراقته الجميلة واطلالته المشرقة.

ذهب كل ذلك، ليشهد العالم بأم عينيه حقيقة العدل، ومنبع الرحمة، والتجسيد الفعلي لأحلام المساكين والمستضعفين، والفقراء والمظلومين.

نعم، إنَّه عصر الظهور المقدَّس الذي طال الزمن في هذه الأُمَّة ارتقابه، وبعدت بين المغرب والمشرق شقَّته، وألمَّ الانهاك بقلوب المخلصين الصادقين حتىٰ قالوا: متىٰ، وأين؟

إنَّه عصر بدأت ترتعش فيه لصدىٰ خطوات المساكين بروج المستكبِرين وقلاعهم الحصينة، واختبوا كالجرذان في حجورهم المعتمة هرباً من القصاص الذي لا بدَّ منه، ولا مهرب من مواجهته.

عصر تزدان الأرض فيه بأجمل زينة، وتتوشح فيه السماء بابهىٰ حلَّة، ويتسرَّب السرور بلا استئذان الىٰ كل القلوب، وكل الزوايا، وكل البقاع، حتىٰ الأرواح المؤمنة التى طواها الموت بعجلاته الثقيلة سيتنابها

الجذل وتغمرها السعادة بهذا اليوم العظيم.

لقد ظهر الامام المهدي الذي غاب عن أعين شيعته منذ زمن بعيد يصعب علىٰ عجالة حصر أيامه، وعد سنيه... عاد ذلك الإمام المغيَّب ليمسح بيديه الكريمتين علىٰ كل الرؤوس الحزينة، والقلوب المكلومة، والنفوس المنطوية... عاد (عليه السلام) لتضيء بمقدمه كل الزوايا المعتمة، والأرواح المقروحة بتلاحق المآسي والفتن.

نعم، لقد ولىٰ كل شيء يحمل معنىٰ الذل، الحزن، والخوف، والفقر، والضعف، وحل محله العز، والقوة، والفرح، والغنىٰ.

ولا يسعني وأنا أدون هذه الأسطر المعبِّرة عن ذلك العالم الجميل الذي طال ارتقابه إلّا أن أسال الله تعالىٰ أن لا يحرمنا من التشرُّف بتشمم عبيره، والتزود من شذىٰ عطره، إن امتد بنا العمر بإذنه، أو طوتنا الأرض في جوفها كما هو حال كثير من محبِّي هذا الامام (عليه السلام)، وشيعته...

* * * * *

لمحات من عصر الظهور

تحدَّثت الروايات كثيراً عن الزمن المـرتقب الذي تـعاصر سـنيه الحضور المقدَّس الظاهري للإمام المهدي (عليه السلام)، وما ستكون عليه الأمَّة من حال مشرق مزدهر كان لا يراود مخيلتها إلّا في الأحلام، والأماني المكتومة.

ولمّا كنّا قد أشرنا آنفاً الىٰ بعض من الشواهد المختلفة المتعلِّقة بهذا الزمن القادم باذن الله تعالىٰ، فانّا سنحاول هنا وسوية استعراض بعض الجوانب المختصة به، والمتحدِّثة عنه.

روىٰ أبو سـعيد الخـدري، وجـابر بـن عـبدالله الأنـصاري عـن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: أُبشِّركم بالمهدي، يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً.

فقال له رجل: ما معنىٰ صحاحاً؟

فقال (صلى الله عليه وآله): بـالسوية بـين النـاس، ويـملأ أُمَّة مـحمَّد غـنىٰ، ويسعهم عدله، حتىٰ يأمر منادياً ينادي فيقول: من له في المال حاجة فليقم.

فما يقوم من الناس إلّا رجل واحد فيقول: أنا.

فيقول له: أئت السدان ـ يعني الخازن ـ فقل: إنَّ المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً.

فيحثو له في ثوبه حثواً، حتىٰ إذا صار في ثوبه يندم ويقول: كنت أخشع أُمَّة محمَّد (صلى الله عليه وآله) نفساً أعجز عما وسعهم.

فيرده الىٰ الخازن، فلا يقبل منه، فيقول: إنّا لا نأخذ شيئاً ممّا أعطنيا[١].

وعن زيد بن وهب الجهني، عن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه صلوات الله تعالىٰ عليهما، أنَّه قال: يبعث الله تعالىٰ رجلاً في آخر الزمان، وكلب الدهر، وجهل من الناس، يؤيده الله تعالىٰ بملائكته، ويعصم أنصاره، وينصره بآياته، ويظهره علىٰ الأرض، حتىٰ يدينوا طوعاً أوكرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها، لا يبقىٰ كافر إلّا آمن، ولا طالح إلّا صلح، وتصطلح في ملكه السباع، وتخرج الأرض نبتها، وتنزل السماء بركتها، وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين[٢].

وقال (عليه السلام) أيضاً: بنا يفتح الله، وبنا يختم الله، وبنا يمحو ما يشاء، وبنا يثبت، وبنا يدفع الله تعالىٰ الزمان الكلب، وبنا ينزل الغيث، فلا يغرنّكم بالله الغرور، ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عزّ وجلّ، ولو قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتىٰ تمشي المرأة بين العراق الىٰ الشام لا تضع قدميها إلّا علىٰ النبات، وعلىٰ رأسها زبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه[٣].

وعن الامام السجّاد (عليه السلام): إذا قام قائمنا أذهب الله عزّ وجل عن

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٩٧. وقال في آخره: وهذا حديث حسن ثابت أخرجه شيخ أهل الحديث أحمد بن حنبل في مسنده.
نعم، رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٣: ٢١، والترمذي في صحيحه ٢: ٣٦.

(٢) الاحتجاج: ١٨٣.

(٣) كشف الغمة ٢: ٢٦٣.

شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، ويكونون حكّام الأرض وسنامها[١].

وروى المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إنَّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى الناس عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمّر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثى، وتظهر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بماله ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، واستغنى الناس بما رزقهم الله تعالى من فضله[٢].

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: تنعم أُمّتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلّا أخرجته، والمال يومئذ كدوس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني. فيقول: خذ[٣].

وأمّا ابن مسعود فقد روى أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا ليلة لطوّل الله تعالى تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، ويقسم المال بالسوية، ويجعل الله تعالى الغنى في قلوب هذه الأُمّة[٤].

وعنه (صلى الله عليه وآله) انه قال: يخرج المهدي من أُمّتي، يبعثه الله تعالى غياثاً للناس، فتنعم الأمّة، وتعيش الماشية، وتخرج الارض نباتها، ويعطى

---

(١) الخصال ٢: ٥٤١ / ١٤.

(٢) ارشاد المفيد ٢: ٣٨١، اعلام الورى: ٤٣٤.

(٣) عقد الدرر: ٢٢٥.

(٤) عقد الدرر: ٢٢٤.

المال صحاحاً[١].

وروىٰ أبو سعيد الخدري عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: ينزل بأُمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يسمع ببلاء أشد منه، حتىٰ تضيق عليهم الارض الرحبة، حتىٰ تملأ الارض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يتلجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عزّ وجل رجلاً من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً، يرضا عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلّا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلّا صبّته عليهم مدراراً[٢].

وأضاف القندوزي في رواية أُخرىٰ: حتى يتمنىٰ الأحياء الأموات تعيش في ذلك[٣].

وفي مستدرك الحاكم أضاف: تتمنىٰ الإحياءَ الأمواتُ ممّا صنع الله عزَّ وجلَّ بأهل الأرض من خيره[٤].

وروىٰ مثل ذلك أحمد بن حنبل في مسنده[٥]

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: يبعث المهدي (عليه السلام) الىٰ أمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس، وترعىٰ الشاة والذئب في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيّات والعقارب، لا يضرهم شيء، ويذهب الشر ويبقىٰ الخير، ويزرع الانسان مداً يخرج له سبعمائة مد، كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ

---

(١) عقد الدرر: ٢٢٢.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤: ٥٥٨ البيان في آخر الزمان: ٣١٦، مصابيح السنة ٢: ١٩٤.

(٣) ينابيع المودة ٣: ٨٧.

(٤) مستدرك الحاكم ٤: ٤٦٥، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد.

(٥) مسند أحمد ٣: ٢٦.

مائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ﴾[١].

ويذهب الربا والزنا، وشرب الخمر والرياء، وتقبل الناس على العبادة، والمشروع، والديانة، الصلاة في الجماعات، وتطول الاعمار، وتؤدىٰ الامانة، وتحمل الاشجار، وتتضاعف البركات، وتهلك الاشرار، ويبقىٰ الأخيار، ولا يبقىٰ من يبغض أهل البيت (عليهم السلام)[٢].

* * * * *

(١) البقرة ٢ :٢٦١.

(٢) عقد الدرر : ٢١٢.

الظهور والبيعة

تحدثت الروايات المختلفة عن ان الامام المهدي (عليه السلام) سيظهر أول أمره في مكة المكرمة، حيث البلد الامين، وبيت الله الحرام، ذلك البيت الذي يأمن فيه كل شيء، وهو مركز كل شيء.

نعم يظهر الامام المهدي (عليه السلام) هناك مستجيراً ببيت الله تعالىٰ، وحيث يصله خبر هلاك السفياني وجيشه، فيدعو (عليه السلام) الناس الىٰ بيعته، فيقول بعد حمد الله تعالىٰ والثناء عليه:

انا ولي الله، أنا أولىٰ بالله وبمحمد (عليه السلام)، فمن حاجني في نوح فأنا أولىٰ الناس بنوح، ومن حاجني في ابراهيم فأنا أولىٰ الناس بابراهيم، ومن حاجني في محمد فأنا أولىٰ الناس بمحمد، ومن حاجني في النبيين فأنا أولىٰ الناس بالنبيين.

ان الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ اللهَ اصطَفىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيمَ وَآلَ عِمرانَ علىٰ العالَمينَ * ذُرِّيَّةً بَعضُها مِنْ بَعضٍ وَاللهُ سَميعٌ عَليمٌ﴾[1].

فأنا بقية آدم، وخيرة نوح، ومصطفىٰ إبراهيم، وصفوة محمَّد، ألا ومن حاجّني في كتاب الله تعالىٰ فأنا أولىٰ بكتاب الله تعالىٰ، ألا فمن حاجّني في سنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأنا أولى بسنّة رسول الله (عليه السلام) وسيرته، وأنشد الله تعالىٰ من سمع كلامي لمّا يبلّغ الشاهد الغائب[2].

وفي رواية عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال: يقول القائم لأصحابه: يا قوم أنّ أهل مكّة لا يريدونني، ولكنّي مرسل اليهم لأحتج عليهم بما

---

(١) آل عمران ٣: ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) بحار الانوار ٥٢: ٣٠٥/٧٨.

ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم.

فيدعو (عليه السلام) رجلاً من أصحابه فيقول له: امض الىٰ أهل مكّة فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان اليكم، وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذريّة محمّد (صلى الله عليه وآله)، وسلالة النبيِّين، وإنا قد ظُلمنا، واضطُهِدنا، وابتُزَّ منّا حقّنا، منذ قُبض نبيّنا الىٰ يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا.

فإذا تكلّم هذا الفتىٰ بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية.

فإذا بلغ ذلك الامام (عليه السلام) قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أنَّ أهل مكة لا يريدوننا.

فلا يدعونه حتىٰ يخرج، فيهبط من عقبة طوىٰ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجل، عدة أهل بدر، حتىٰ يأتي المسجد الحرام، فيصلّي فيه عند مقام ابراهيم (عليه السلام) أربع ركعات، ويسند ظهره الىٰ الحجر الاسود، ثم يحمد الله تعالىٰ، ويثني عليه، ويذكر النبي (صلى الله عليه وآله) ويصلّي عليه، ويتكلّم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس.

فيكون أوّل من يضرب علىٰ يده ويبايعه جبرئيل وميكائيل[١].

وروىٰ أبان بن تغلب عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) أنّه قال: إنَّ أوّل من يبايع القائم (عليه السلام) جبرئيل (عليه السلام)[٢].

وقد أشارت جملة متعددة من الأخبار الواردة عن الصادقين من أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ الإمام المهدي (عليه السلام) لا يخرج إلّا في وتر من السنين،

---

(١) بحار الانوار ٥٢ : ٣٠٦ / ٧٩.

(٢) حلية الابرار ٢ : ٦١٦

سنة احدىٰ، أو ثلاث، أو خمس، أو سبع، أو تسع[1].

كما ذكرت تلك الروايات بأنَّه يُنادىٰ باسم القائم (عليه السلام) في ليلة ثلاث وعشرين، وأنَّه يظهر في يوم السبت العاشر من المحرم، في اليوم الذي أستشهد جده الإمام الحسين (عليه السلام) للبيعة.

فقد روي عن الامام الصادق (عليه السلام) قوله: يُنادي باسم القائم (عليه السلام) في ثلاث وعشرين، ويقوم في يوم عاشوراء، وهو اليوم الذي قُتل فيه الحسين (عليه السلام)، لكأني به في يوم السبت العاشر من محرم قائماً بين الركن والمقام، جبرئيل علىٰ يمينه ينادي: البيعة لله تعالىٰ. فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، تُطوىٰ لهم طيّاً، حتىٰ يبايعوه، فيملأالله تعالىٰ به الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً[2].

وروىٰ عنه (عليه السلام) المفضَّل بن عمر الجعفي أنَّه قال: إذا أذن الله عزَّ اسمه للقائم في الخروج، صعد المنبر، فدعا الناس الىٰ نفسه، وناشدهم بالله، ودعاهم الىٰ حقِّه، وأن يسير فيهم بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويعمل فيهم بعمله.

فيبعث الله جل جلاله جبرئيل (عليه السلام) حتىٰ يأتيه، فينزل علىٰ الحطيم يقول له: الىٰ أي شيء تدعو؟

فيخبره القائم (عليه السلام)، فيقول جبرئيل (عليه السلام): أنا أوَّل من يبايعك، أبسط يدك.

---

(١) انظر: الغيبة للطوسي: ٤٥٣/ ٤٦٠، ارشاد المفيد ٢: ٣٧٩، اعلام الورىٰ: ٤٢٩، الفصول المهمة: ٣٠٢، كشف الغمة ٢: ٤٦٢، منتخب الانوار المضيئة: ٣٥، الخرائج والجرائح ٣: ١١٦١، العدد القوية: ٧٦/ ١٢٨، كشف الاستار: ٢٢٣، روضة الواعظين: ٢٦٣، العرائس الواضحة: ٢٠٩، العطر الوردي: ٥١.

(٢) كشف الغمة ٢: ٤٢٦، اعلام الورىٰ: ٥٠٤، وفيه: سوم ست وعشرين من رمضان.

فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيبايعوه، ويقيم بمكّة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف نفس، ثم يسير الى المدينة[١].

بل وانّ التأمّل في بعض الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) تشير الى أن هناك توقيتاً في هذا الظهور، وأنّ هناك ما حال دون وقوعه.

بيد أنّ هناك من الروايات ما يقطع بانّ الظهور أمر غير معلوم، لا يمكن لأحد أن يتكهن متى يكون، وفي أي زمان، وأنّ هذا الظهور قد يكون في كل عام، وفي كل يوم، وأنّه سر من أسرار الله تعالى، متعلّق به وحده.

فمن ذلك ما روي عن عبدالرحمن بن كثير من أنّه قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) إذ دخل عليه مهزم الأسدي فقال: أخبرني جعلت فداك متى هذا الأمر الذي تنتظرونه، فقد طال؟

فقال (عليه السلام): يا مهزم، كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلّمون، والينا يصيرون[٢].

وما رواه منذر الجوّاز عنه (عليه السلام): كذب الموقّتون، ما وقّتنا فيما مضى، ولا نوقّت فيما يستقبل[٣].

وعن الفضل قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام): هل لهذا الأمر من وقت؟

فقال (عليه السلام): كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون، كذب الوقّاتون[٤].

وروى الشيخ الطوسي (رحمه الله) تعالى في غيبته بسنده عن محمّد بن

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ٣٨٢، اعلام الورى: ٤٣١.
(٢) غيبة الطوسي: ٤٢٦/٤٢٣، الكافي ١: ٣٦٨/٢، غيبة النعماني: ١٩٧/٨.
(٣) غيبة الطوسي: ٤٢٦/٤١٢، منتخب الاثر: ٤٦٣/٢.
(٤) الكافي ١: ٣٦٨/٥، غيبة الطوسي: ٤٢٦/٤١١، منتخب الاثر: ٤٦٣/١.

بشر الهمداني، عن محمّد ابن الحنفية ـ في حديث قال أنّه اختصر منه موضع الحاجة ـ أنّه قال: إنّ لبني فلان ملكا مؤجّلاً، حتىٰ إذا أمنوا واطمأنوا وظنّوا أنّ ملكهم لا يزول صيح فيهم صيحة، فلم يبق لهم راع يجمعهم، ولا داع يسمعهم، وذلك قول الله عزّ وجل: ﴿ **حَتّىٰ إذا أخَذَتِ الأرضُ زُخرُفَها وَازيَنَّت وَظَنَ أهلُها أنَّهم قادِرونَ عَلَيها أتاها أمرُنا لَيلاً أو نَهاراً فَجَعَلناهُم حَصيداً كَأنْ لَمْ تَغنَ بِالأمسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَومٍ يَتَفكَّرونَ** ﴾[1].

قلت: جعلت فداك، هل لذلك وقت؟

قال: لا، لأنّ علم الله تعالىٰ غلب علم الموقّتين، إنّ الله تعالىٰ وعد موسىٰ ثلاثين ليلة وأتمها بعشر لم يعلمها موسىٰ (عليه السلام)، ولم يعلمها بنو اسرائيل، فلمّا جاوز الوقت قالوا: غرّنا موسىٰ. فعبدوا العجل.

ولكن إذا كثرت الحاجة والفاقة في الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، فعند ذلك توقّعوا أمر الله تعالىٰ صباحاً ومساء[2].

وعن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قوله: من وقّت لكم من الناس شيئاً فلا تهابن أن تكذّبه، فلسنا نوقّت لأحد وقتاً[3].

بيد أنّ الجمع بين الأخبار، والتأمّل في مطاويها، سواء منها المصرّحة بتعيين وقت لظهوره (عليه السلام)، أو النافية لذلك، يظهر بأنّ جملة من المداخلات المتعددة هي التي فرضت هذا التفاوت في التصريحين.

ولعل في التأويل الذي ذكره الطوسي (رحمه الله) تعالىٰ لذلك الأمر ما يميط جانباً من الالتباس في هذا الامر.

---

(١) يونس ١٠ : ٢٤.

(٢) الغيبة للطوسي: ٤٢٧/ ٤١٥، غيبة النعماني: ٢٨٩ / ٧

(٣) غيبة الطوسي: ٤٢٦/ ٤١٤، غيبة النعماني: ٢٩٠ / ٣

قال (ﷺ) تعالىٰ: فالوجه في هذه الأخبار أن نقول ـ إن صحت ـ: أنّه لا يمتنع أن يكون الله تعالىٰ قد وقّت هذا الامر في الأوقات التي ذُكرت، فلمّا تجدّد ما تجدّد تغيّرت المصلحة، واقتضت تأخيره الىٰ وقت آخر، وكذلك فيما بعد، ويكون الوقت الأوّل وكل وقت يجوز أن يؤخّر مشروطاً بأن لا يتجدّد ما يقتضي المصلحة تأخيره الىٰ أن يجيء الوقت الذي لا يغيّره شيء فيكون محتوماً.

وعلىٰ هذا يتأوّل ما روي في تأخير الأعمار عن أوقاتها، والزيادة فيها عند الدعاء والصدقات وصلة الأعمار، وغير ذلك، وما روي في تنقيص الأعمار عن أوقاتها الىٰ ما قبله عند فعل الظلم، وقطع الرحم، وغير ذلك.

وهو تعالىٰ وإن كان عالماً بالأمرين، فلا يمتنع أن يكون احدهما معلوماً بشرط والآخر بلا شرط، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل.

وعلىٰ هذا يتأوّل أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمّنة للفظ البداء، ويبين أنّ معناها النسخ علىٰ ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ، أو تغيُّر شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات، لأنَّ البداء في اللغة هو الظهور، فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالىٰ ما كنّا نظن خلافه، أو نعلم ولا نعلم شروطه(١).

* * * * *

---

(١) الغيبة للطوسي: ٤٢٩.

سنة الظهور

الدلائل المشيرة الىٰ قرب ظهور الامام المهدي (عليه السلام) تقدَّم منّا الكثير منها في طيّات مباحثنا السالفة، ومن ثم فقد قادنا تسلسل متابعة الأحداث هذه الىٰ السنة التي تشير الروايات الىٰ انها سنة هذا الظهور المرتقب.

وإذا تقدَّم منّا القول بأنَّ سنة الظهور هذه باعتماد بعض الروايات المشيرة اليها تكون في وتر من السنين، فانَّ هناك اشارات الىٰ مواصفات مشخَّصة لتلك السنة الموعوة، تميِّزها عن غيرها من السنين.

نعم، فإذا اشارت الروايات الىٰ أنَّ الفترة السابقة لظهور الامام المهدي (عليه السلام) ستكون فترة بلاء ومحنة وشدة، فانَّ من تلك الروايات ما يشير الىٰ أنَّ سنة ظهوره (عليه السلام) ستكون سنة خير وخصب، كثيرة المطر والخير والعطاء.

فقد روي عن سعيد بن جبير أنَّه قال: إنَّ السنة التي يقوم فيها المهدي (عليه السلام) تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة، ترىٰ آثارها وبركاتها[1].

وهذه الرواية مقاربة للرواية التي تقدَّم منّا ذكرها آنفاً، والتي رواها عبدالكريم الخثعمي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) من أنَّه قال: وإذا آن قيامه مطر الناس جمادىٰ الآخرة، وعشرة أيام من رجب مطراً لم يرَ الخلائق مثله[2].

---

(١) ارشاد المفيد ٢ : ٣٧٣، الغيبة للطوسي : ٤٤٣ / ٤٣٥، اعلام الورىٰ : ٤٢٩.

(٢) ارشاد المفيد ٢ : ٣٨١، اعلام الورىٰ : ٤٣٢.

ذيوع ظهوره (عليه السلام)

وليس ثمة ريب بأنَّ حالة الظهور المرتقبة للإمام المهدي (عليه السلام) تأخذ أصداءها ومداها الأكبر في الانتشار والذيوع بحيث لا تخفى على أحد من الناس، وذلك أمر مفروغ منه، مقطوع بوقوعه.

فثورة الإمام المهدي (عليه السلام) لا يختلف أحد بأنَّها لا تتحدد قطعاً باطار معيَّن، ولا بحد مرسوم، بل هي ثورة شاملة، عامة، تحتوي في مطاويها كل الجوانب المتعلِّقة بالدين والدنيا، وهذا ما يستلزم معرفة الجميع بها، وادراكهم لها.

ولا غرابة في ذلك، فإنَّ واقع الثورة، واستلزامها الاحاطة الكاملة بكل مجريات الحياة يستدعي بها الذيوع والانتشار، ومن هنا تجد كثرة التصريحات الصادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) حول قيام هذه الثورة، وظهور هذا الامام (عليه السلام) واحاطة الامة علما بعلاماته واشاراته.

نعم، إنَّ جملة الدلائل والاشارات المعلنة لقرب زمن الظهور، وما يعرف بعلامات الظهور قد تقدَّم الكثير منّا عنها في طيّات صفحات كتابنا السابقة، بيد أنَّ هناك من العلامات المصرَّحة بحدوث هذا الظهور ووقوعه، ومن ذلك ما يعرف بالصيحة المدوية التي ستكون كجرس الإنذار المعلن بقيام الثورة الكبرى بقيادة الامام المهدي (عليه السلام).

بلى، فقد روي أنَّه يُنادي المنادي عند ظهور الامام المهدي (عليه السلام) من السماء بصوت يسمعه من في الأرض جميعاً: ألا أنَّ حجة الله تعالى

قد ظهر عند بيت الله ، فاتبعوه ، فإنَّ الحق فيه ومعه[١] .

وما روي عن أبي جعفر (عليه السلام) وقد سأله حنّان بن سدير عن قول الله عزّ وجلّ : **﴿إن نَشَأْ نُنَزِّلْ﴾** الآية [٢] .

فقال (عليه السلام) : نزلت في قائم آل محمَّد (عليه السلام) يُنادىٰ باسمه من السماء[٣] .

بل وما رواه محمَّد بن مسلم عنه (عليه السلام) : يُنادي مناد من السماء باسم القائم (عليه السلام) ، فلا يبقىٰ راقد إلّا قام ، ولا قائم إلّا قعد ، ولا قاعد إلّا قام علىٰ رجليه من ذلك الصوت ، وهو صوت جبرئيل الروح الامين[٤] .

وأمّا الحسن بن زياد بن صقيل فقد روىٰ عنه (عليه السلام) قوله : إنَّ القائم لا يقوم حتىٰ يُنادي مناد من السماء تسمع الفتاة في خدرها ، ويسمع أهل المشرق والمغرب ، وفيه نزلت هذه الآية **﴿إنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِم مِنْ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أعناقُهُم لها خاضِعينَ﴾**[٥] [٦] .

بل وتذكر الروايات أنَّ أخبار ظهور الامام المهدي (عليه السلام) ، لا تتوقف حدودها عند الأحياء ، بل تتجاوزهم الىٰ الأموات من المؤمنين أيضاً ، والذين شاءت ارادة الباري جلَّ اسمه أن يُحرموا معاصرة هذا الظهور في حياتهم الدنيا ، حيث تراهم ـ كما تشير الىٰ ذلك الأخبار ـ قد أُحيطوا علماً بظهوره (عليه السلام) ، فهم يتباشرون بتحقق الحلم الذي طال

---

(١) ينابيع المودة : ٤٤٨ .

(٢) الشعراء ٢٦ : ٤ .

(٣) كنز الفوائد : ٣٤٥ .

(٤) غيبة الطوسي : ٤٥٤ / ٤٦٢ ، اثبات الهداة ٣ : ٦٨/٧٢٩ ، منتخب الاثر : ٧/٤٤٨ ، عقد الدرر : ١٣٧ .

(٥) الشعراء ٢٦ : ٤ .

(٦) غيبة الطوسي : ١٣٤/١٧٧

انتظاره، واشتد الشوق الىٰ تحقُّقه.

فقد روي عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قوله: ولا يبقىٰ ميِّت من المؤمنين إلّا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره[1].

* * * * *

(١) كمال الدين ٢ : ٦٥٣، حلية الابرار ٢ : ٦١٧.

أصحاب الامام المهدي (عليه السلام)

تردَّد منّا الحديث كثيراً عن أنَّ من أهم عناصر نهضة الإمام المهدي (عليه السلام) هو توفُّر الأرضية الصلبة التي تستند اليها ثورته الكبرىٰ، ولعل في توافر الاعوان المخلصين المصطفين أصحاب المواصفات المتميِّزة التي يعسر أن تجدها في الكثير من البشر، من أهم تلك الركائز الأساسية لثورته المباركة.

ومن هنا، فانَّ من أشارت اليهم الروايات المختلفة بأنَّهم أصحاب الإمام المهدي (عليه السلام)، والذين ينهضون بعبء كبير في مواصلة الثورة مع الامام (عليه السلام)، هم بلا شك خاصَّة الخاصَّة، وثمالة المؤمنين، وخلاصة المتقين.

هم بلا شك من أفاضل العباد الذين امتحن الله تعالىٰ قلوبهم، واختبر ايمانهم، فكانوا خير مؤتمَن علىٰ هذه الرسالة الكبرىٰ والثورة العظيمة.

ولعل من يستقرئ الروايات المتحدِّثة عنهم يجدها كثيرة الاشادة بهم، مبالغة في الاطراء عليهم والثناء عليم، تصفهم دائماً بأرفع الأوصاف وأسماها، وبأبهىٰ الأوصاف وأبهاها.

فهم الاوتاد، والعصائب، والنجباء، والرفقاء، والأخيار، وأصحاب الألوية، وغير ذلك.

وأنَّ الروايات تذكر بأنَّ الله تعالىٰ يجمعهم مع إمامهم (عليه السلام)، وإن كانت قد تفرَّقت أبدانهم، وتباعدهم أماكنهم، فيبايعونه (عليه السلام)، ويعاهدونه علىٰ متابعته والتسليم لارادته، وهو تالله أمر عظيم لاتحتمله

السهول، ولا تطيقه الجبال.

ولنتأمّل في ما تنطوي عليه الروايات المختلفة المتحدّثة عن هذه الثلة المخلصة المصطفاة التي أُعدت للقيام بخير أمر مع خيرة خلق الله تعالىٰ في أرضه، وبقيه الأوصياء، وخلاصة الأنبياء والصالحين.

فمن ذلك ما رواه حكيم بن سعد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من قوله: أصحاب المهدي شباب لا كهول فيهم إلّا مثل الكحل في العين، والملح في الزاد، وأقل الزاد الملح[1].

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): يُبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيّف عدة أهل بدر، فيهم: النجباء من أهل مصر، والابدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله تعالىٰ ان يقيم[2].

وروىٰ أبو بصير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: لا يزال الناس ينقصون حتىٰ لا يُقال: الله، فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه، فيبعث الله قوماً من أطرافها، يجيئون قزعا[3] كقزع الخريف.

والله أني لأعرفهم، وأعرف أسماءهم، وقبائلهم، واسم أميرهم، ومناخ ركابهم، وهم قوم يحملهم الله تعالىٰ كيف شاء، من القبيلة الرجل والرجلين ـ حتىٰ بلغ تسعة ـ فيتوافوز من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر، وهو قول الله عزّ وجل: ﴿**أينما تكونوا يأتِ**

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٧٦ / ٥٠١، غيبة النعماني: ٣١٥ / ١٠.

(٢) غيبة الطوسي: ٤٧٦ / ٥٠٢، منتخب الاثر: ٤٦٨ / ٢

(٣) القزع: قطع السحاب، واحدتها قزعة.

بِكُمُ اللهُ جَميعاً إنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾[١] حتىٰ أنَّ الرجل ليحتبي فلا يحل حبوته حتىٰ يبلغه الله تعالىٰ ذلك[٢].

بل وترىٰ وضوح صفاتهم في وصف الامام الصادق (عليه السلام) لهم في الرواية التي يرويها عنه الفضيل بن يسار، حيث يقول (عليه السلام) فيها: رجال كأنَّ قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله، أشد من الحجر، لو حملوا علىٰ الجبال لأزالوها، لا يقصدون برايتهم بلدة إلّا خربوها، كأنَّ في خيولهم العقبان، يتمسَّحون بسرج الامام (عليه السلام)، يطلبون بذلك البركة، ويحفُّون به، ويقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم.

رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قياماً علىٰ أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيِّدها، كالمصابيح كأنَّ قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله تعالىٰ مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنُّون أنْ يُقتلوا في سبيل الله تعالىٰ، شعارهم: يالثارات الحسين.

إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون الىٰ المولىٰ ارسالاً، بهم ينصر الله تعالىٰ امام الحق[٣].

وعن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنَّه قال في معرض حديثه عن ظهور الامام المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان: فيجمع الله تعالى له قوماً قزعاً كقزع السحاب، يؤلِّف الله تعالى بين قلوبهم، فلا يستوحشون الىٰ أحد، ولا يفرحون بأحد دخل فيهم، على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأوَّلون، ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا

---

(١) البقرة ٢ : ١٤٨.
(٢) الغيبة للطوسي: ٤٧٨ / ٥٠٣.
(٣) بحار الانوار ٥٢ : ٢٠٨ / ٨٢.

معه النهر[١].

والمستقرئ في مجمل الروايات هذه وغيرها من التي تناولت سمات وسيرة أصحاب الامام المهدي (عليه السلام) فانَّ استقراؤه هذا سيقوده الىٰ جملة واضحة من الحقائق الخاصة بهم، والتي امتازوا بها عن غيرهم من المؤمنين، بيد أنَّ الملفت للنظر ما ورد من جمعهم من نقاط متفرقة في ليلة واحدة[٢] ليلحقوا بامامهم وقائدهم (عليه السلام) وفي ذلك تنبيه بيِّن لما

---

(١)عقد الدرر: ٥٩.

(٢) إنَّ جملة من الروايات المختلفة تشير الى أنَّ الامام المهدي (عليه السلام) سيخاطب أصحابه حين ظهوره على تفرُّقهم في البلدان، وتوزُّعهم في الأمصار، وأنّهم سيجتمعون به (عليه السلام) في ليلة واحدة، ويبايعونه، ويعاهدونه، وينطلقون معه في ثورته الكبرىٰ المنتظرة الموعودة.

ورغم أنَّ الحديث عن هذا الامر في تلك العصور السالفة كان يُحمل على وجوه شتىٰ من التأويل والتفسير، إلّا أنّها ترتكز بالتالي على القدرة المطلقة لله تعالىٰ في نصرة وليه، وتدعيم ثورته.

نعم، نحن لا نختلف في قطعية هذا الامر، وما يفيضه الله تعالى من الكرامات الخارقة للعادة علىٰ هذا الامام الذي يشكِّل خلاصة الدعوة اليه الممتدة منذ بدء البشرية وحتى انتهاءها به (عليه السلام)، بيد أنَّ ذلك لا يلغي التأمُّل والتدبُّر في الظروف المادية التي يفرزها التطور العلمي المتراكم في حياة البشرية، والمتلاحق التصاعد مع تقادم الأيام، وتوالي العصور.

فالامكانيات العلمية المادية المتوافرة في عصرنا الحاضر تظهر مدىٰ يسر امكان حصول هذا الامر الذي كان يشق على الأُمم السالفة تصوُّره دون حمله على الوجوه المتقدِّمة.

بلى، إنَّ هذه المخاطبة التي أشار اليها أهل البيت (عليهم السلام) في عصرهم ذاك، وتحيَّر في كيفيتها أهل ذلك العصر، قد أمست أقرب الىٰ الفهم في عصرنا هذا، ولعلها ستكون أكثر وضوحاً ويسراً في عصر ظهور الامام (عليه السلام) وذلك أمر بديهي يفترضه التصاعد البياني في التطور العلمي.

هم عليه من الكرامة والأهمية والتأثير الكبير في مجمل الأحداث الكبرى التي ستشهدها المعمورة أبّان الظهور المقدَّس للامام المهدي (عليه السلام).

ثم أنَّ التأمُّل في جملة متفرِّقة من الروايات المختصة بهؤلاء الصالحين يوشي بأنَّ أكثرهم من أهل الشرق، وفي ذلك توجيه دقيق الى ترسُّخ خط الولاء الامامي في فكر شعوب تلك المنطقة، وانتظارهم الحقيقي للامام المغيَّب (عليه السلام).

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: المهدي يكون مبدؤه من قِبَل المشرق[1].

وفي هذا القول اشارة واضحة الى أنَّ بداية الحركة الممهِّدة لظهور الامام المهدي (عليه السلام) ستكون من قبل المشرق.

ويعضد ذلك ما روي عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) من قوله: يخرج ناس من المشرق فيوطِّئون للمهدي سلطانه[2].

وما روي عنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً من قوله: اذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فانَّ فيها الخليفة المهدي[3]

كما أنَّه روي عن الامام علي (عليه السلام) قوله: ويحاً للطالقان، فانَّ لله

= فما أعظم أهل هذا البيت، وما أكرمهم على الله تعالىٰ حيث أفاض عليهم من العلوم والمعارف التي تخاطب الأُمم على امتداد الدهور، وتلاحق الأزمنة.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٦.

(٢) ينابيع المودة ٣: ٩١، اثبات الهداة ٧: ١٩٧.

(٣) في بعض المصادر: فان فيها خليفة الله المهدي. والمراد بذلك هو انطواء هذه الرايات على فكرة المهدوية كما يبدو ذلك للمتأمل، والله تعالى هو العالم.

انظر مصادر الخبر في: كشف الغمة ٢: ٤٧٧، ينابيع المودة ٣: ٨٨، الحاوي للفتاوي ٢: ١٣٣، الصواعق المحرقة: ١٦٣، الملاحم والفتن: ٤٢، البيان: ١٧.

تعالىٰ بها كنوزاً ليست بذهب ولا فضة، ولكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله تعالىٰ حق معرفته، وهم أنصار المهدي في آخر الزمان[١].

وعن علقمة بن عبدالله قال: بينا نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) اذ أقبل فتية من بني هاشم، فلمّا رآهم النبي (صلى الله عليه وآله) اغرورقت عيناه وتغيّر لونه.

قال علقمة: فقلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله): ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟

فقال (صلى الله عليه وآله): إنّا أهل بيت اختار الله تعالىٰ لنا الآخرة على الدنيا، وأنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتىٰ يأتي قوم من قِبَل المشرق ومعهم رايات سود، فيسألون الخير ولا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيُعطون ما سألوا ولا يقبلونه حتىٰ يدفعوهاالىٰ رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج[٢].

ورغم أنّ هناك من يذهب الىٰ القول بأنّ هذه الرايات السود المشار اليها في هذه الروايات وفي غيرها هي اشارة الىٰ ثورة أبي مسلم الخراساني الممهّدة لحكم العبّاسيين، وحيث يعضد ذلك كون راياتهم التي زحفوا بها على حكم الأمويين الفاسد كانت سوداء اللون كما تشير الىٰ ذلك جملة من الأخبار المتفرّقة، إلّا أنّ القائلين بخلاف ذلك يردُّون على هذا بانّ جملة هذه الأخبار وغيرها تشير الىٰ الترابط العضوي بين هذه الرايات وبين الامام المهدي (عليه السلام) وأنها ممهّدة له (عليه السلام) ومتصلة به، فكيف يصح هذا بالنسبة للعبّاسيين مع ما يُعرف من مفاسدهم ومن عدائهم البيِّن لاهل البيت (عليهم السلام)؟

(١) كشف الغمة ٢ : ٤٨٧، اثباة الهداة ٧ : ١٩٧.
(٢) كشف الغمة ٢ : ٤٧٨، ينابيع المودة ٣ : ٠

ثم كيف يمكن افتراض ذلك مع هذه الفاصلة الزمنية الكبيرة بين الاثنين، وانتهاء حكم العبّاسيين وانهيار دولتهم؟

ثم أنَّ القائلين بارتباط هذه الرايات مع ثورة المهدي (عليه السلام) يردون على قول الطرف الأول بانَّ العبّاسيين هم الذين بادرو الى وضع هذه الأحاديث ترويجاً لدعوتهم، واستقطاباً لدعم الشيعة لحركتهم، بانَّ هذا الافتراض يرد عليه من عين هذا القول، وهو ما الذي يمنع من القول بانَّ العبّاسيين هم الذين صادروا وتلاعبوا بهذه الأحاديث، وأرادوا حملها على دعوتهم وحركتهم.

وعلى أي حال فانَّ هذا الأمر يتطلَّب بحثاً دقيقاً، ودراسة علمية رصينة متفحِّصة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر تجد التصريح في جملة أُخرى من الروايات بانَّ أصحاب الامام المهدي (عليه السلام) هم لفيف من بقاع مختلفة من الأرض الاسلامية، ففيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، وهو ما تقدَّمت منّا الاشارة اليه آنفاً.

بل وأنَّ هناك جملة متفرِّقة من الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) تشير الى أنَّ هؤلاء الأصحاب عند أهل البيت (عليهم السلام) مذكورة أسمائهم، معروفة أوصافهم، مشخَّصة عناوينهم.

فمن ذلك ما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قوله: إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم[1]

ومن ذلك أيضاً ما روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من أنَّه قال: والله إنِّي لأعرفهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وحلاهم،

---

(١) الزام الناصب: ١٨٧.

ومواقع منازلهم، ومراتبهم، وهم المفقودون عن فرشهم وقبائلهم، السائرون في ليلهم ونهارهم الىٰ مكّة[١].

وأخيرا فان من أبلغ الصفات العظيمة المكرمة لهؤلاء الصحابة المتخيّرين ما ذهبت اليه جملة الأخبار المنقولة عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) عند تعرُّضهم لتفسير قوله تعالى: **﴿وَلَقَد كَتَبنا في الزَّبُورِ مِنْ بَعدِ الذِّكرِ إنَّ الأرضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحونَ * إنَّ في هذا بَلاغاً لِقَومٍ عابِدينَ﴾**[٢].

حيث تذكر بأنَّ المراد بذلك الامام المهدي (عليه السلام) وأصحابه[٣].

وكذا قوله تعالى: **﴿الَّذينَ إنْ مَكَنّاهُم في الأَرضِ أقامُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَمَروا بِالمَعروفِ وَنَهوا عَنِ المُنكَرِ وَللهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾**[٤].

حيث روىٰ أبو الجارود عن الامام محمَّد بن علي الباقر (عليه السلام) قوله: نزلت هذا الآية في المهدي وأصحابه، يملِّكهم الله تعالىٰ مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الله تعالىٰ بهم الدين، حتىٰ لا يُرىٰ أثر من الظلم والبدع[٥]

* * * * *

---

(١) بشارة الاسلام: ٢٠٨، منتخب الاثر: ١٦٢.

(٢) الانبياء ٢١: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٣) ينابيع المودة ٣: ٨٠، مجمع البيان ٤: ٦٦، تفسير علي بن أبراهيم القمي عند تعرضه لتفسير الآية الكريمة.

(٤) الحج ٢٢: ٤١.

(٥) ينابيع المودة ٣: ٨٠.

هبوط عيسىٰ بن مريم (عليه السلام)

لما شاءت الارادة الربانية أن تنأىٰ بنبيِّها المكرَّم عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) عن قبضة اليهود ـ أشر خلق الله تعالىٰ ـ والذين أحبكوا مؤامرة قتله وتصفيته للقضاء علىٰ دعوة الحق التي جاء بها، والمؤذنة بسقوط أحلامهم وأمبراطورياتهم الوهمية التي أقاموها علىٰ أشلاء الضعفاء، والمساكين، فقد رفع الىٰ السماء، وتوهَّم أعداؤه أنهم قتلوه وحقَّقوا أغراضهم من مؤامرتهم الوسخة هذه كباقي أفعالهم المنحرفة الأخرىٰ.

يقول الله تعالىٰ في سورة آل عمران: **﴿إذْ قالَ اللهُ يا عيسىٰ إنِّي مُتَوفيكَ وَرافِعُكَ اليَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذينَ كَفَروا وَجاعِلُ الَّذينَ اتَّبَعوكَ فَوقَ الَّذينَ كَفَروا الىٰ يَومِ القِيامَةِ ثُمَّ إليَّ مَرجِعُكُم فَأحكُم بَينَكُم فيما كُنتُم فيهِ تَختَلِفونَ﴾**(١).

نعم، لقد أكرم الله تعالىٰ نبيه الكريم (عليه السلام) من نجاسة الكافرين والفاسدين المنحرفين الذين كذبوه وطعنوا في دعوته، ورفعه إليه وطهره ووعده بان يقتص من أعدائه ويريهم نتيجة أعمالهم ومفاسدهم.

وفي موضع آخر من الكتاب العزيز يجد المتأمل الكثير من التفصيلات المختصة بهذا الامر، والتي تفتح الآفاق واسعة علىٰ منافذ اخرىٰ من التكليف المناط بهذا النبي الكريم.

يقول جل اسمه شارعاً بالتحدُّث عن مفاسد اليهود: **﴿فَبِما نَقضِهِم مِيثاقَهُم وَكُفرِهِم بِآياتِ اللهِ وَقَتلِهِمُ الأنبياءَ بِغَيرِ حَقٍ وَقَولِهِم قُلُوبُنا**

---

(١) آل عمران ٣: ٥٥.

غُلفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيها بِكُفرِهِم فَلا يُؤمِنونَ إلّا قَليلاً * وَبِكُفرِهِم وَقَولِهِم عَلىٰ مَريَمَ بُهتَاناً عَظيماً * وَقَولِهِم إنّا قَتَلنا المَسيحَ عِيسىٰ بنَ مَريَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُم وَإنَّ الَّذينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلمٍ إلّا اتِّباعَ الظَنِّ وَما قَتَلوهُ يَقيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً * وَإنَّ مِنْ أهلِ الكِتابِ إلّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ وَيَومَ القِيامَةِ يَكونُ عَلَيهِمْ شَهيداً﴾[1].

بلىٰ إنَّ جملة هذه الآيات المباركة صريحة بانَّ القتل أو الصلب الذي أراده اليهود ـ قبّحهم الله تعالىٰ ـ لم يقع بعيسىٰ (عليه السلام)، وأنَّ هناك من قتل بدلاً عنه، حيث شبّه عليهم الأمر فظنّوا أنَّ من قتلوه هو بغيتهم، فخاب سعيهم وضلوا ضلالاً بعيداً.

ثم أنَّ هذه الآيات تبيّن للجميع بانَّ هذا النبي الكريم (عليه السلام) قد رفعه الله تعالىٰ إليه الىٰ أجل مسمّىٰ، حيث سيعيده الىٰ الدنيا لأمر أراده جلَّ اسمه منه، وهذا ما سنستعرض جانباً منه لاحقاً إن شاء الله تعالىٰ.

ولنتأمّل أوّلاً ـ وبعجالة ـ الوقائع التي ترتب عليها هذا الحدث الذي أشرنا إليه.

ففي معرض ذكره سبحانه لأفعال اليهود القبيحة، ومجازاته اياهم أشار سبحانه أوّل الأمر الىٰ نقضهم عهودهم التي عاهدوا الله تعالىٰ عليها أن يعملوا بها في التوراة، ثم جحودهم باعلام الله تعالىٰ وحججه وادلّته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله، ثم لجوئهم الىٰ قتل الأنبياء بعد قيام الحجّة عليهم بصدق أولئك الأنبياء.

ثم تعرّض سبحانه الىٰ ما افتروه علىٰ عيسىٰ وأُمّه (عليهما السلام) في البهتان

---

(١) النساء ٤: ١٥٥ ـ ١٥٩.

العظيم، حيث روي عن ابن عباس والسدّي أنَّ عيسىٰ (عليه السلام) مر برهط منهم فقال بعضهم لبعض: قد جاءكم الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فقذفوه بأُمّه، فسمع ذلك عيسىٰ (عليه السلام) فقال: اللّهم أنت ربّي، خلقتني ولم أُتّهم من تلقاء نفسي، اللّهم العن من سبّني وسبَّ والدتي.

فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير.

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: لما مسخ الله تعالىٰ الذين سبُّوا عيسىٰ وأُمّه بدعائه، بلغ ذلك يهوذا، وهو راس اليهود، فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود فاتفقوا علىٰ قتله فبعث الله تعالىٰ جبرئيل (عليه السلام) يمنعه منهم، ويعينه عليهم، وذلك معنىٰ قوله تعالى: ﴿**وأيّدناهُ بِروحِ القُدسِ**﴾[1].

يقول: فاجتمع اليهود حول عيسىٰ (عليه السلام)، فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود، إنَّ الله تعالىٰ يبغضكم. فساروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرئيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها، فرفعه جبرئيل الىٰ السماء، فبعث يهوذا ـ رأس اليهود ـ رجلاً من أصحابه أسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله.

فدخل عليه طيطانوس فلم يره، وأبطأ عليهم، فظنوا أنّه يقاتله في الخوخة، فالقىٰ الله تعالىٰ عليه شبه عيسىٰ (عليه السلام)، فلمّا خرج علىٰ أصحابه قتلوه وصلبوه.

وقيل: أُلقيَ عليه شبه وجه عيسىٰ (عليه السلام)، ولم يلق عليه شبه جسده، فقال بعض القوم: إنَّ الوجه وجه عيسىٰ، والجسد جسد طيطانوس.

---

(١) البقرة ٢: ٨٧ و ٢٥٣.

غُلفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيها بِكُفرِهِم فَلا يُؤمِنونَ إلّا قَليلاً * وَبِكُفرِهِم وَقَولِهِم عَلىٰ مَريَمَ بُهتاناً عَظيماً * وَقَولِهِم إنّا قَتَلنا المَسيحَ عِيسىٰ بنَ مَريَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُم وَإنَّ الَّذينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفي شَكٍ مِنهُ ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلمٍ إلّا اتِّباعَ الظَنِّ وَما قَتَلوهُ يَقيناً * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إليهِ وَكانَ اللهُ عَزيزاً حَكيماً * وَإنَّ مِنْ أهلِ الكِتابِ إلّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ وَيَومَ القيامَةِ يَكونُ عَلَيهِمْ شَهيداً﴾[1].

بلىٰ إنَّ جملة هذه الآيات المباركة صريحة بانَّ القتل أو الصلب الذي أراده اليهود ـ قبّحهم الله تعالىٰ ـ لم يقع بعيسىٰ (عليه السلام)، وأنَّ هناك من قتل بدلاً عنه، حيث شبّه عليهم الأمر فظنُّوا أنَّ من قتلوه هو بغيتهم، فخاب سعيهم وضلوا ضلالاً بعيداً.

ثم أنَّ هذه الآيات تبيِّن للجميع بانَّ هذا النبي الكريم (عليه السلام) قد رفعه الله تعالىٰ إليه الىٰ أجل مسمّىٰ، حيث سيعيده الىٰ الدنيا لأمر أراده جلَّ اسمه منه، وهذا ما سنستعرض جانباً منه لاحقاً إن شاء الله تعالىٰ.

ولنتأمّل أوّلاً ـ وبعجالة ـ الوقائع التي ترتب عليها هذا الحدث الذي أشرنا إليه.

ففي معرض ذكره سبحانه لأفعال اليهود القبيحة، ومجازاته ايّاهم أشار سبحانه أوّل الأمر الىٰ نقضهم عهودهم التي عاهدوا الله تعالىٰ عليها أن يعملوا بها في التوراة، ثم جحودهم باعلام الله تعالىٰ وحججه وادلّته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله، ثم لجوئهم الىٰ قتل الأنبياء بعد قيام الحجّة عليهم بصدق أولئك الأنبياء.

ثم تعرّض سبحانه الىٰ ما افتروه علىٰ عيسىٰ وأُمّه (عليهما السلام) في البهتان

---

(١) النساء ٤: ١٥٥ ـ ١٥٩.

العظيم، حيث روي عن ابن عباس والسدّي أنَّ عيسىٰ (عليه السلام) مر برهط منهم فقال بعضهم لبعض: قد جاءكم الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فقذفوه بأُمّه، فسمع ذلك عيسىٰ (عليه السلام) فقال: اللَّهم أنت ربّي، خلقتني ولم أتّهم من تلقاء نفسي، اللَّهم العن من سبّني وسبَّ والدتي.

فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير.

روي عن ابن عبّاس أنّه قال: لما مسخ الله تعالىٰ الذين سبُّوا عيسىٰ وأُمّه بدعائه، بلغ ذلك يهوذا، وهو راس اليهود، فخاف أن يدعو عليه، فجمع اليهود فاتفقوا علىٰ قتله فبعث الله تعالىٰ جبرئيل (عليه السلام) يمنعه منهم، ويعينه عليهم، وذلك معنىٰ قوله تعالى: **﴿وأيَّدناهُ بِروحِ القُدسِ﴾**[1].

يقول: فاجتمع اليهود حول عيسىٰ (عليه السلام)، فجعلوا يسألونه فيقول لهم: يا معشر اليهود، إنَّ الله تعالىٰ يبغضكم. فساروا إليه ليقتلوه، فأدخله جبرئيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها، فرفعه جبرئيل الىٰ السماء، فبعث يهوذا ـ رأس اليهود ـ رجلاً من أصحابه أسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله.

فدخل عليه طيطانوس فلم يره، وأبطأ عليهم، فظنوا أنَّه يقاتله في الخوخة، فالقىٰ الله تعالىٰ عليه شبه عيسىٰ (عليه السلام)، فلمّا خرج علىٰ أصحابه قتلوه وصلبوه.

وقيل: أُلقيَ عليه شبه وجه عيسىٰ (عليه السلام)، ولم يلق عليه شبه جسده، فقال بعض القوم: إنَّ الوجه وجه عيسىٰ، والجسد جسد طيطانوس.

---

(١) البقرة ٢: ٨٧ و ٢٥٣.

وقال بعضهم: إنَّ كان هذا طيطانوس فأين عيسىٰ؟! وان كان هذا عيسىٰ فاين طيطانوس؟! فاشتبه عليهم الأمر.

ثم تنتقل بنا الآيات المباركة نحو الأمر الذي يشكّل حلقة الوصل التي تربطه بموضوع بحثنا، فقوله تعالىٰ **﴿وَإِنَّ مِنْ أَهلِ الكِتابِ إلّا لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوْتِهِ﴾**.

فانَّه يذهب جملة من المفسّرين في تأويلاتهم لهذا القول الىٰ أنَّه لن يبقىٰ أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ إلّا ويؤمننَّ بالمسيح قبل موته (عليه السلام) إذا أنزله الله تعالىٰ الىٰ الأرض وقت خروج المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان لقتل الدجّال، فتصير الملل كلها ملّة واحدة، وهي ملّة الاسلام الحنيفية، دين ابراهيم (عليه السلام)[1][2].

نعم، ان المسيح عيسىٰ بن مريم (عليه السلام) سيعود آخر الزمان ليلتحق بالإمام المهدي (عليه السلام)، بل ويأتم به في صلاته، كما تذكر ذلك جملة الروايات المتفرّقة المروية عند الفريقين.

فمن ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم[3].

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يلتفت المهدي وقد نزل عيسىٰ بن مريم كأنّما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدَّم، وصلِّ بالناس.

---

(١) انظر: مجمع البيان ٦: ١٣٤.

(٢) روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله عن الآية المتقدِّمة: أنَّ عيسىٰ (عليه السلام) قبل يوم القيامة ينزل الىٰ الدنيا، فلا يبقىٰ أهل ملّة، يهودي ولا غيره، إلّا آمن به قبل موته، ويصلّي خلف المهدي(عليه السلام).

(٣) صحيح البخاري ٤: ١٤٣، عقد الدرر: ٢٩١.

فيقول عيسىٰ بن مريم: إنَّما أُقيمت الصلاة لك.

فيصلّي عيسىٰ خلف رجل من ولدي[١].

وعن أبي أُمامة الكاهلي قال: خطبنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذكر الدجّال، وقال فيه ـ الىٰ أن قال (صلى الله عليه وآله): ـ وإمامهم المهدي، رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلّي بهم الصبح اذ نزل عيسىٰ بن مريم حين كبَّر للصبح، فرجع ذلك الامام ينكص ليتقدَّم عيسىٰ يصلّي بالناس، فيضع عيسىٰ يده بين كتفيه فيقول: تقدَّم فصلِّها، فانَّها لك أُقيمت. فيصلّي بهم إمامهم[٢].

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: منّا الذي يصلّي عيسىٰ بن مريم خلفه[٣].

وفي رواية أُخرىٰ عنه (صلى الله عليه وآله) أخرجها السيِّد ابن طاووس بسنده عن عبدالله بن عمرو: المهدي الذي ينزل عليه عيسىٰ بن مريم من السماء ويصلّي خلفه[٤].

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنَّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله علىٰ الخلق بعدي لاثنا عشر، أولهم علي، وآخرهم ولدي المهدي، فينزل روح الله عيسىٰ بن مريم (صلى الله عليه وآله) فيصلّي خلف المهدي، وتشرق الأرض بنور ربِّها، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب[٥].

---

(١) ينابيع المودة ٣: ٩٠، عقد الدرر: ٢٩٢.
(٢) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٥٩، الملاحم والفتن للسيد ابن طاووس ١: ٥٤.
(٣) العرف الوردي ٢: ٦٤.
(٤) الملاحم والفتن ١: ٥٧.
(٥) ينابيع المودة: ٤٤٧.

ولا يخفىٰ على أحد ما في ذلك الائتمام من كبير التكريم للإمام المهدي (عليه السلام)، والابانة لدوره وفضله، حيث ترىٰ نبيّاً مكرّماً يأتم به في صلاته، لا سيما ونحن نعلم أنَّ الصلاة خلف أي امام اقرار بصفات معيَّنة يتسم بها ذلك الإمام عن المؤتم به.

نعم، فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: أنَّ أقرأ القوم هو الذي يأُمُّهم، فإن استووا فأعلمهم، فإن استووا فأفقههم، فإن استووا فأقدمهم هجرة، فإن استووا فأصبحهم وجهاً.

ولمّا كان الاثنان معصومان، ولا يتّبعان الهوىٰ والمحاباة في تطبيق أحكام الشريعة، فلا بدَّ أن تكون جملة هذه الشروط مورد اعتبارهما عند تقديم أحدهما للآخر في الصلاة والائتمام به.

* * * * *

قيام دولة الحق

لم يعد ثمة شك بانَّ في ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وشروعه باعلان ثورته الكبرىٰ المرتقبة، وتصدِّيه لا زلة كل مظاهر الظلم والفساد التي يصطبغ بها العالم من أقصاه إلىٰ أقصاه، وتوفُّر الأرضية المؤاتية التي ترتكز عليها هذه الثورة، يعني كل ذلك بالتالي بداية العد التنازلي المؤدي الىٰ انقضاء عهود العتمة والاستبداد، وقيام دولة الحق الكبرىٰ التي لا مثيل لها ولا بديل.

نعم، إنَّ قيام القائم (عليه السلام) يعني ترجمة واقعية لكل الرسائل السماوية، وخير تجسيد لمناهجها العادلة، وبالتالي التحقيق الميداني لمفهوم الخير والعدالة في الأرض.

قال الامام الصادق (عليه السلام): إذا قام القائم حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق الىٰ أهله، ولم يبق أهل دين حتىٰ يظهروا الإسلام، ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله تعالىٰ يقول: **﴿وَلَهُ أسلَمَ مَنْ في السَّمٰواتِ وَالأرضِ طَوعاً وَكرهاً وَإليهِ تُرجَعونَ﴾**(1).

وحكم بين الناس بحكم داود (عليه السلام)، وحكم محمَّد (صلى الله عليه وآله).

فحينئذ تُظهر الأرض كنوزها، وتُبدي بركاتها، فلا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته، لا لبرِّه، لشمول الغنىٰ جميع المؤمنين.

ثم قال (عليه السلام): إنَّ دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة

---

(1) آل عمران ٣: ٨٣.

إلّا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا بمثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ: **﴿وَالعاقِبَةُ لِلمُتَقينَ﴾**[١][٢].

نعم، فما أن يأذن الله تعالىٰ بقيام دولته (عليه السلام)، ويتجمّع له أصحابه وأنصاره الخيِّرين المنتجَبين حتىٰ ينفجر البركان المقدّس ليكتسح باندفاعه العظيم كل السدود الوهمية المصطنعة التي جهد أعداء النور علىٰ أقامتها بوجه الفجر القادم في غبش الصبح.

بلىٰ إنّ هذه الثورة الكبرىٰ للإمام المهدي (عليه السلام) في اندفاعها العارم هذا لا تدع أى مظهر من مظاهر الفساد ـ التي تطاول علىٰ نشأتها الزمان، وتوالت علىٰ ذلك الدهور ـ حتىٰ تقتلعها، ولا بدعة من بدع المنحرفين والفاسدين إلّا وأزالتها، كما يؤيد ذلك قول أبي جعفر (عليه السلام) من أنّه: لا يترك بدعة إلّا وأزالها، ولا سنّة إلّا أقامها[٣].

بل وكما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يميِّز الله تعالىٰ أولياءه وأصفياءه، حتىٰ يطهِّر الأرض من المنافقين والضالِّين وأبناء الضالِّين[٤].

ولا يتأتىٰ ذلك بيسر دون عناء، بل بجهد ومعاناة ومواجهات تهتز لهولها الجبال، ولا تقف أمام هديرها ودمدتها إلّا الشجعان الأبطال الذين امتحن الله تعالىٰ قلوبهم، وابتلىٰ نفوسهم، فكانوا أهلاً لذلك الأمر، وحملة له.

ترىٰ الخط المتواصل بتقدُّم الإمام (عليه السلام) نحو عاصمته التي سيقيمها

---

(١) الاعراف ١٢٨:٧، القصص ٨٣:٢٨.

(٢) ارشاد المفيد ٢: ٢٨٣، اعلام الورىٰ: ٤٢٢، الملاحم والفتن: ٥٥، منتخب الاثر: ٣٠٨.

(٣)ارشاد المفيد ٢: ٣٨٣، أعلام الورىٰ: ٤٣١، غيبة الطوسي: ٤٩٢/٤٧٢.

(٤) أمالي المفيد: ٢/١٤٤.

في الكوفة خطا قانياً يتطلّب سواعد لا تكل من حمل السلاح ، ولا تسأم من قعقعته .

روىٰ أبو الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه: إذا قام القائم (عليه السلام) سار الىٰ الكوفة ، فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس يدعون البترية ، عليهم السلاح ، فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتىٰ يأتي علىٰ آخرهم .

ويدخل (عليه السلام) الكوفة فيقتل بها كل منافق مرتاب ، ويهدم قصورها، ويقتل مقاتلتها حتىٰ يرضىٰ الله عزّ وجلّ[1] .

فلا يبقىٰ حينئذ كافر ولا مشرك علىٰ وجه الأرض إلّا وطاله حكم الامام (عليه السلام) ، وناله قصاصه العادل ، وحكمه الذي يتناسب وأفعاله ، فتضيق عليهم الأرض بما رحبت ، ولا يجدون ملجأ يلجئون إليه من العقاب القادم إليهم كالطوفان المتدافع .

قال أبو بصير: قال أبو عبدالله الصادق (عليه السلام) في قوله عزّ وجلّ **﴿هوَ الَّذي أرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدىٰ وَدينِ الحَقِّ لِيظهِرَهُ علىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كرِهَ المُشرِكونَ﴾**[2] .

قال (عليه السلام): والله ما نزل تأوليها بعد ، ولا ينزل تأويلها حتىٰ يخرج القائم (عليه السلام) ، فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ، ولا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه ، حتىٰ لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله[3] .

وفي رواية أُخرىٰ: ولو أنَّ الرجل الكافر دخل جحر ضب ، أو

---

(١) أرشاد المفيد ٢: ٣٨٤ ، أعلام الورىٰ: ٤٣١ .

(٢) التوبة ٩:٥٣ .

(٣) كمال الدين ٢:٦٧/١٦ .

توارىٰ خلف مدرة أو حجر أو شجر لأنطق الله تعالىٰ ذلك الشيء الذي يتوارىٰ فيه حتىٰ يقول: يا مؤمن خلفي كافر فخذه، فيؤخذ ويقتل[١].

نعم، فتطهر حينذاك الأرض من رجس الكافرين والمشركين، وتشرق بنور ربّها، ويعيش المؤمنون في عصر يفيض الخير من جوانبه، ويزهر العطاء في جميع أطرافه، بعد دهور متلاحقة الظلم والانتكاس الروحي الذي يوصل البشرية الىٰ حد تصبح فيه شلأء مقهور فكرياً، ضائعة تستنجد المنقذ الذي ينتشلها من وهدة التردي والسقوط هذه، وحيث تجد في الإمام المهدي (عليه السلام)، وفي عدله وسياسته الرحيمة المرفأ الأمين الذي طال تخبُّط هذه الشعوب في وسط بحور الحيرة والضلال بحثاً عنه، وطلباً له.

نسأل الله تعالىٰ أن لا يحرمنا من بركات وخير ذلك الزمن الطاهر النقي، إنَّه خير من سُئِل، وأكرم من أعطىٰ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّىٰ الله علىٰ محمَّد وعلىٰ أهل بيته الطيبين الطاهرين.

---

(١) حلية الأبرار ٢: ٦٣٥.

الفهرس الموضوعي

صدر للمؤلّف :

١ ـ العرفان (نهج خاص) .

٢ ـ رسالة عقائدية (رد علىٰ كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي) .

٣ ـ خطر الافيون .

٤ ـ الحج أحكاماً وفلسفة ودعاء .

٥ ـ التوحيد ، دراسة معاصرة ، الحلقة الاولىٰ من سلسلة دراسات في أُصول الدين .

٦ ـ الاشراف علىٰ ترجمة ونشر كتاب أجود المناظرات .

مؤلّفات في الطريق إليك :

١ ـ مبحث في أصل العدل .

٢ ـ مبحث في أصل النبوة .

٣ ـ مبحث في أصل الامامة .

٤ ـ دراسة في الفقه الإسلامي .

٥ ـ دراسة في علم التفسير .

٦ ـ دراسة في الفلسفة الإسلامية .

٧ ـ السنَّة النبوية المطهَّرة ، دراسة وتحليل .

٨ ـ رسالةُ المرأة في القرن العشرين ، دراسة معاصرة .

٩ ـ دراسة في الاخلاق .

١٠ ـ من الجمعة الىٰ الجمعة . سلسلة محاضرات المؤلِّف التي ألقاها في مسجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) من خلال خطب الجمعة .